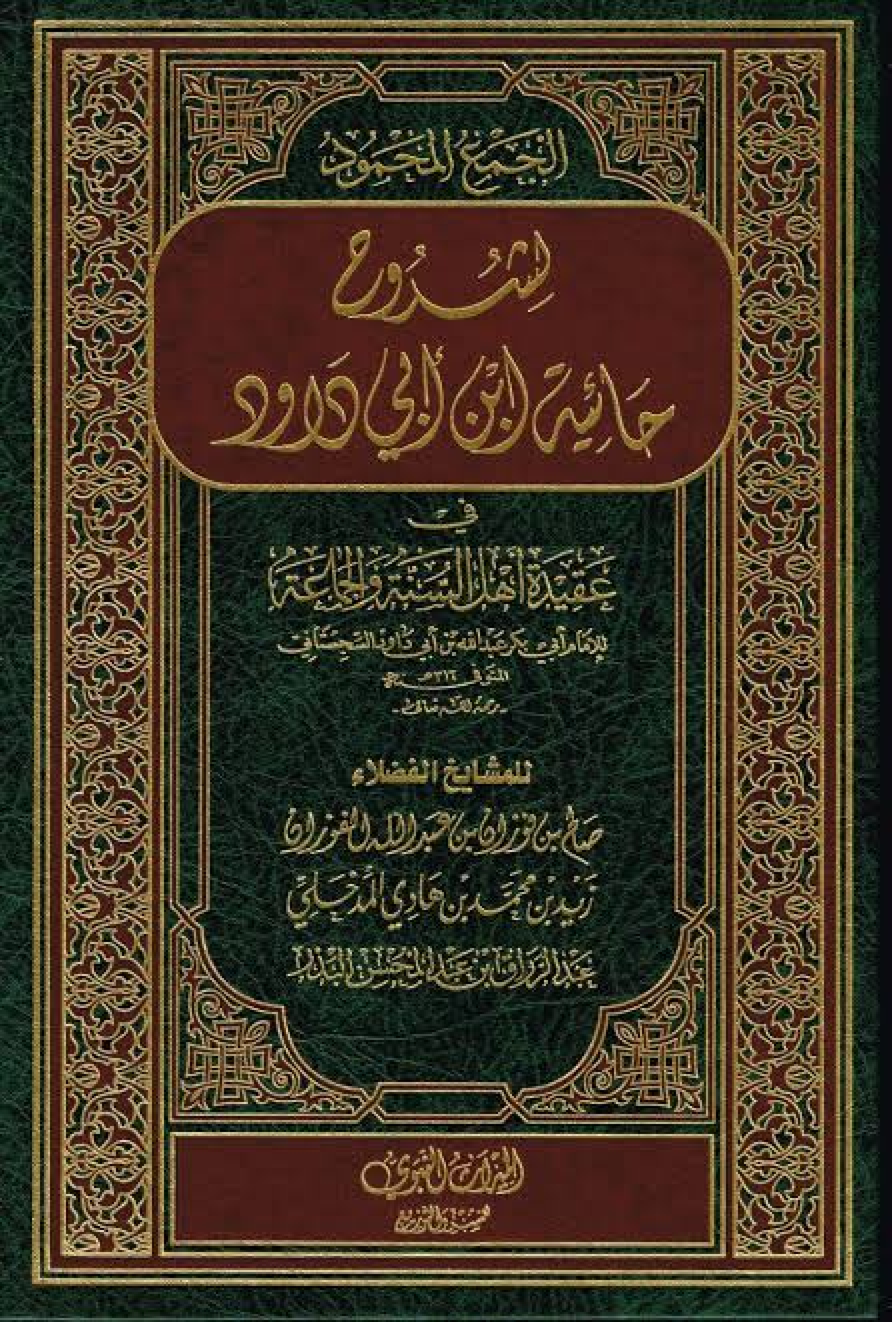
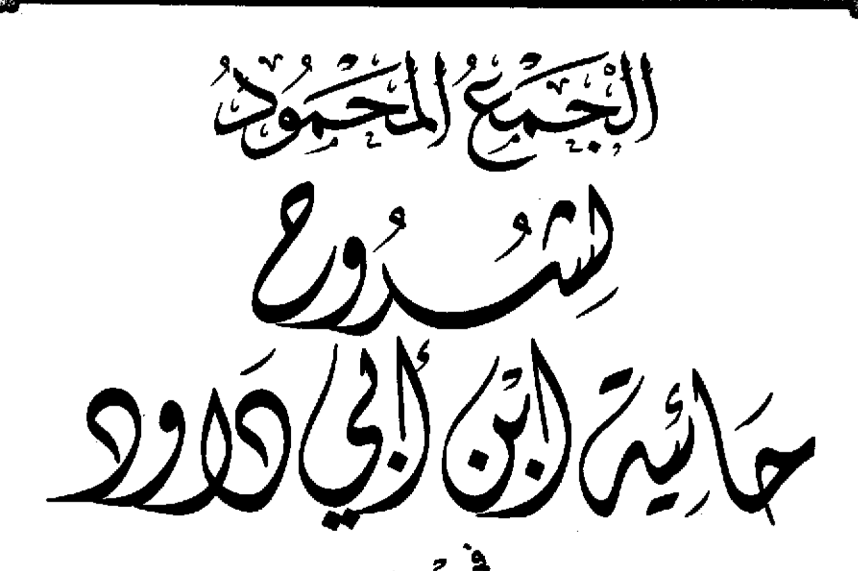

الجمع المحمود
لشروح
حائية ابن أبي داود
في
عقيدة أهل السنة والجماعة
للإمام أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني
المتوفى ٣١٦ هـ
رحمه الله تعالى
للمشايخ الفضلاء
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
زيد بن محمد بن هادي المدخلي
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
الميراث النبوي



في

عقيدة أهل السنة والجماعة

للإمام أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني
المتوفى ٣١٦هـ
- رحمه الله تعالى -

للمشايخ الفضلاء

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الميراث النبوي
للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبعد: فقد أذنت للأخوين الشيخين: عادل الرفاعي وعصام المري بطباعة كتابي: شرح المنظومة الحائية في العقيدة للإمام أبي بكر ابن أبي داود رحمهما الله - رجاء النفع بهذا الشرح - إن شاء الله.

وجزى الله الأخوين عادلاً وعصاماً خير الجزاء على ما بذلاه من العناية بإخراج هذا الشرح على خير ما يرام. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه الشارح:

صالح بن فوزان الفوزان

د. صالح بن فوزان الفوزان

٧/٦/١٤٢٦هـ

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات : 661409999 (00213)
الفاكس : 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

صورة الإذن الخطي من العلامة الشيخ صالح الفوزان لدار الميراث النبوي للنشر والتوزيع

طلب إذن خطي لدار الميراث النبوي للنشر والتوزيع بالجزائر من الشيخ العلامة صالح الفوزان بطباعة الكتب الآتية :

شرح المنظومة الحائية في عقيدة أهل السنة – نصيحة خاصة بالمرأة المسلمة– مكانة المرأة في الإسلام– تنبيهات على أحكام تختص بالمؤمنات – شرح القواعد الأربع – من فقه المعاملات – الربا وبعض صوره المعاصرة – شرح أبيات وصف الجن من القصيدة النونية –المنحة الربانية في شرح الأربعين النووية – مختصر أحكام الجنائز –.

مؤسسة النشر والتوزيع الميراث النبوي
برج الكيفان - الجزائر
0554.25.00.98
0552.92.07.89
س.ت 68 أ 1433943 - 16/01

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
وبعد : فلا مانع من تصوير الكتاب من الكتب المذكورة المطبوع والله الموفق

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
١٤٢٠/١٠/٥ هـ



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين. وبعد:

فهذا شرح:

المنظومة الحائية

للإمام

أبي بكر عبد الله ابن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني

-رحمهما الله تعالى-

وكان هذا الشرح يتكون من دروس ألقاها في المسجد فضيلة الشيخ:

الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز بالرياض، ابتداءً من يوم الأحد الموافق للخامس والعشرين من شهر محرم عام ستة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة، نسأل الله -جل وعلا- أن ينفع به، وأن يجزي الماتن والشارح خير الجزاء، إنه سميع مجيب.

* * *



المقدِّماتُ التَّمْهِيديَّةُ

وهي أربع مقدمات:

المقدمة الأولى: ترجمة ناظم الحائية.

المقدمة الثانية: ترجمة شارح الحائية.

المقدمة الثالثة: التعريف بالمنظومة الحائية.

المقدمة الرابعة: متن المنظومة الحائية.

* * *



المقدمة الأولى

ترجمةُ صاحب المنظومة الحائية

أبي بكر بن أبي داود السجستاني

(ت: ٣١٦)

وفيه تسعة مباحث[١]:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: مشايخه.

---

(١) مصادر الترجمة: الفهرست لابن النديم: (ص٢٣٢)، تاريخ أصبهان: (٢/ ٦٦)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (٩/ ٤٦٤)، المنتظم لابن الجوزي: (٦/ ٢١٨)، الكامل لابن الأثير: (٦/ ٧٣٥)، تذكرة الحفاظ للذهبي: (٧/ ٧٦٧)، العبر له: (٢/ ١٦٤)، ميزان الاعتدال له: (٢/ ٤٣٣)، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٢٢١)، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: (٢/ ٥١-٥٢)، طبقات ابن السبكي: (٣/ ٣٠٧-٣٠٩)، طبقات القراء لابن الجزري: (١/ ٤٢٠)، لسان الميزان للحافظ ابن حجر: (٣/ ٢٩٣)، مرآة الجنان لليافعي: (٢/ ٢٦٩)، المقصد الأرشد لابن مفلح: (٢/ ٣٤-٣٦)، المنهج الأحمد للعليمي: (٢/ ١٤)، النجوم الزاهرة: (٣/ ٢٢٢)، طبقات المفسرين: (١/ ٢٣٦-٢٣٨)، شذرات الذهب: (٢/ ٢٧٣)، الأعلام: (٤/ ٩١)، وأشار إليه ابن كثير في البداية إشارة (١١/ ١٦٩)، وترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٤) في سياق ترجمة أبيه.

المبحث الرابع: تلامذته .

المبحث الخامس: عقيدته .

المبحث السادس: مذهبه الفقهي .

المبحث السابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

المبحث الثامن: مؤلفاته وآثاره العلمية .

المبحث التاسع: وفاته .

* * *

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته:

هو أبو بكر عبد اللَّه بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو بن عمران الأزدي، السجستاني، المعروف بـ«ابن أبي داود».

المبحث الثاني: مولده ونشأته:

ولد بإقليم سجستان، سنة ثلاثين ومائتين.

قال أبو بكر بن أبي داود: «أول ما كتبت سنة إحدى وأربعين عن محمد بن أسلم الطوسي، وكان بطوس وكان رجلًا صالحًا، وسُرَّ بي أبي لما كتبت عنه، وقال لي: أول ما كتبتَ كتبتَ عن رجل صالح.

ورأيت جنازة إسحاق بن راهويه، ومات إسحاق سنة ثمان وثلاثين، وكنت مع ابنه في الكُتَّاب».

وقد رحل به والده من سجستان فطوَّف به شرقًا وغربًا، وأسمعه من علماء ذلك الوقت، فسمع بخراسان، وأصبهان، ونيسابور، والبصرة، وبغداد، والكوفة، ومكة، والمدينة، والشام، ومصر، والجزيرة، والثغور، واستوطن بغداد.

وكان ذا همة عالية منذ صغره في التحصيل والطلب، ومن دلائل هذه الهمة قوله رَحِمَهُ اللَّهُ -فيما رواه عنه تلميذه أبو حفص عمر بن شاهين-، قال: سمعت أبا بكر بن أبي داود يقول: «دخلت الكوفة ومعي درهم واحد، فاشتريت به ثلاثين مد باقلاء، فكنت آكل منه مدًّا، وأكتب عن أبي سعيد وعثمان ألف حديث، فلما كان الشهر حصل معي ثلاثون ألف حديث، ما بين منقطع ومرسل».

وقوله: «حدثت من حفظي في أصبهان بستة وثلاثين ألف حديث، ألزموني فيها سبعة أحاديث، فلما انصرفت وجدت في كتابي خمسة منها، على ما كنت حدثتهم به».

المبحث الثالث: مشايخه:

سمع الحديث عن جماعةٍ، منهم:

أحمد بن الأزهر النيسابوري.

وإسحاق بن إبراهيم النهشلي.

وإسحاق بن منصور الكوسج.

وأبو داود سليمان بن معبد السنجي.

وسلمة بن شبيب.

وعلي بن خشرم المروزي.

وعمرو بن علي البصري.

ومحمد بن يحيى الذهلي.

ومحمد بن بشار بندار.

ومحمد بن المثنى.

ومحمد بن عبد اللَّه المخرمي.

ونصر بن علي البصري.

ويعقوب الدورقي.

ويوسف بن موسى القطان.

كما روى عن: زياد بن أيوب، وأحمد بن صالح، وأبي طاهر بن السرح، ومحمد بن سلمة المرادي، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة، وخلق كثير.

المبحث الرابع: تلامذته:

روى عنه الحديث جماعةٌ من الأعلام، ومنهم:

أبو أحمد الحاكم.

وأبو بكر بن مجاهد المقرئ.

وأبو بكر الشافعي.

وأبو بكر محمد بن المظفر الوراق.

وأبو الحسين بن سمعون.

وأبو حفص عمر بن شاهين.

والإمام الدارقطني.

ودعلج بن أحمد.

وأبو طاهر المخلِّص.

وعبد الرحمن بن أبي حاتم.

وأبو عمر بن حيويه.

وعبد الباقي بن قانع.

وأبو عبد اللَّه بن بطة.

ومحمد بن عمر بن زنبور الوراق.

وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب.

ونصف بن علي الوزير.

المبحث الخامس: عقيدته:

يُعد الإمام أبو بكر بن أبي داود السجستاني من أئمة أهل السنة والجماعة، ومن المتبعين للكتاب والسنة، وكان حنبلي المذهب في الفروع، متَّبعًا للإمام أحمد -إمام أهل السنة والجماعة- في الأصول.

وقد عدَّه الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- من أئمة السنة المثبتين لصفة العلو، وأثنى عليه، وذلك في نونيته المسمَّاة بـ«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، في النوع السادس عشر من أنواع أدلة العلو والاستواء، فقال[1]:

وكذا الإمام ابن الإمام المرتضى   حقًّا أبي داود ذي العرفان

تصنيفه نظمًا ونثرًا واضح   في السنة المثلى هما نجمان

ولابن أبي داود في تقرير عقيدته قصيدته الحائية المشهورة (موضع الشرح)، وقد ساقها جماعةٌ من الأعلام في كتبهم العقدية، كما ذكرها بعض مَن ترجم له في ترجمته، وعلى رأسهم: ابن أبي يعلى، كما أوردها الذهبي كاملةً في كتاب العلو[2]، وهي قصيدة في العقيدة وأصول الدين،

(١) الكافية الشافية (ص٦٥).

(٢) انظر: كتاب العلو (ص١٥٣-١٥٤).

حائية الرويِّ، تحتوي على أربعين بيتًا .

وقد جاء عنه أنه قال في تمام هذه القصيدة: «هذا قولي، وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل -رحمه اللَّه تعالى-، وقول من أدركنا من أهل العلم، وقول من لم ندرك من أهل العلم مِمن بلغنا قولُه، فمن قال عليَّ غير ذلك فقد كذب» .

أما ما نُسب إليه من العداء لآل النبي ﷺ، المسمَّى بالنصب، فلم يثبت عنه -رحمه اللَّه تعالى- شيء من ذلك، بل ثبت عنه ضد ذلك ونقيضه، وهو ولاء آل البيت ومحبتهم والثناء عليهم وذكر فضائلهم ومآثرهم، بل لم يتحقق في ترجمته من الذي نسبه إلى النصب وما حجته على ذلك، إلا أن هذه التهمة التُصِقت به في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ وبرَّأ نفسه منها ولم يجعل من رماه بها في حِلٍّ .

قال أحمد بن يوسف بن الأزرق: «سمعت أبا بكر بن أبي داود غير مرةٍ يقول: كل من بيني وبينه شيء، أو قال: كل من ذكرني بشيء فهو في حِل إلا من رماني ببغض علي بن أبي طالب»[١] .

وخير شاهد ودليل على سلامته من هذه التهمة قصيدته هذه التي بين أيدينا[٢]، والتي فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، فقد قال بعد أن ذكر الخلفاء الثلاثة:

ورابعهم خير البرية بعدهم عَلِيٌّ حليف الخير بالخير منجح

(١) ينظر: تاريخ بغداد (٩/ ٤٦٨).

(٢) وللشيخ المعلمي -رحمه اللَّه تعالى- في التنكيل (١/ ٣٠٧- ٣١٤) كلام قيم في تبرئة ابن أبي داود مما نُسب إليه من النصب وغيرها، أجاد فيه وأفاد، فرحمه اللَّه تعالى.

المبحث السادس: مذهبه الفقهي:

المشهور أنه حنبلي المذهب، وقد عدَّه أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء من جملة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل.

وترجم له الحنابلة في طبقاهم، ومنهم: ابن أبي يعلى، وابن مفلح، والعليميُّ.

وعدَّه بعض الشافعية منهم، وترجموا له في طبقاتهم، كما فعل: ابن السبكيِّ.

المبحث السابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

قال عنه تلميذه أبو حفص عمر بن شاهين: «أملى علينا ابن أبي داود سنتين، وما رأيت بيده كتابًا، إنما كان يملي حفظًا، فكان يقعد على المنبر بعدما كبر ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو معمر، بيده كتاب فيقول حديث كذا، فيسرده من حفظه، حتى يأتي على المجلس».

وقال الأزهري: سمعت أحمد بن إبراهيم بن شاذان يقول: «أُخرِج أبو بكر بن أبي داود إلى سجستان في أيام عمرو بن الليث، فاجتمع إليه أصحاب الحديث، وسألوه أن يحدثهم، فأبى، وقال: ليس معي كتاب، فقالوا له: ابن أبي داود وكتاب؟! قال أبو بكر: فأثاروني، فأمليت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي».

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «سألت الدارقطنيَّ عن أبي بكر بن أبي داود، فقال: ثقة».

وقال الحافظ أبو محمد الخلال: «كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، وقد نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق أسند منه، ولم

يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو».

وقال الخطيب البغدادي: «كان فقيهًا عالمًا حافظًا».

وقال ابن خلكان: «كان أبو بكر بن أبي داود من أكابر الحفاظ ببغداد، عالمًا متفقهًا إمامًا».

وقال الذهبي: «وكان من بحور العلم بحيث إن بعضهم فضله على أبيه».

وقال أيضًا: «كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين ما هو بدون أبيه، صنف التصانيف وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد».

وقال أيضًا: «والرجل من كبار علماء المسلمين ومن أوثق الحفاظ».

وقال ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة: «كان فَهِمًا عالمًا حافظًا».

وقال ابن السبكي: «الحافظ ابن الحافظ، أحد الأجِلَّاء . . ».

وقال الداوودي: «كان فقيهًا عالمًا حافظًا».

المبحث الثامن: مؤلَّفاته وآثاره العلمية:

- كتاب: «القصيدة الحائية في العقيدة»، (ط)، وهو محل الشرح في هذا الكتاب.

- كتاب: «المسند».

- كتاب: «الناسخ والمنسوخ».

- كتاب: «التفسير».

- كتاب: «القراءات».

- كتاب: «المصاحف»، (ط).

- كتاب: «المصابيح»، في الحديث.

- كتاب: «نظم القرآن».

- كتاب: «فضائل القرآن».

- كتاب: «شريعة التفسير».

- كتاب: «شريعة المقارئ».

- كتاب: «البعث والنشور».

وذكروا من كتبه كتاب «السنن»، وذكروا أنه عرضه على الإمام أحمد ابن حنبل فاستجاده واستحسنه، وهو على هذا غير كتاب أبيه المعروف بسنن أبي داود.

المبحث التاسع: وفاته:

توفي سنة ست عشرة وثلثمائة، وخلف ثمانية أولاد -رحمه اللَّه تعالى-.

* * *

المقدمة الثانية

ترجمة شارح الحائية

الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان

وفيها ستة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: مشايخه.

المبحث الرابع: تلامذته.

المبحث الخامس: مكانته العلمية والاجتماعية.

المبحث السادس: مؤلفاته وآثاره العلمية.

* * *

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ونسبته:

صالح بن فوزان بن عبد اللَّه آل فوزان، من أهل الشماسية، من قبيلة الدواسر.

المبحث الثاني: مولده ونشأته زمانًا ومكانًا:

ولد الشيخ -حفظه اللَّه تعالى- عام: (١٣٥٤)، في مدينة الشماسية في منطقة القصيم، في المملكة العربية السعودية.

وتوفي والده وهو صغير، فتربى في أسرته.

وتعلم القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة على يد الشيخ حمود بن سليمان التلال -رحمه اللَّه تعالى-، وهو إمام مسجد البلدة، وكان قارئًا متقنًا، وتولى القضاء في بلدة ضرية في منطقة القصيم.

وقد درس الشيخ الدراسة الأولية (الابتدائية) في بلده بمدرسة الحكومة حين افتتاحها في الشماسية، عام: (١٣٦٩هـ)، ثم أكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الفيصلية ببريدة عام: (١٣٧١هـ).

ثم التحق الشيخ بالمعهد العلمي ببريدة عند افتتاحها، عام: (١٣٧٣هـ)، وتخرج فيه عام: (١٣٧٧هـ).

ثم التحق بكلية الشريعة في الرياض، وتخرج فيها عام: (١٣٨١هـ).

ثم نال شهادة الماجستير في الفقه، عام: (١٣٩٧هـ) بأطروحته التي كانت بعنوان: «أهم المسائل الخلافية في المباحث الفرضية»، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، وقد طُبع الكتاب باسم:

«التحقيقات المرضيَّة في المباحث الفرضية»، وكان المشرف عليه شيخه الشيخ العلامة: عبد الرزاق عفيفي -رحمه اللَّه تعالى-.

ثم حصل على درجة الدكتوراه، عام: (١٣٩٩هـ) من نفس الكلية، في موضوع: «أحكام الأطعمة: حِلًّا وحرمةً، واستدلالًا وترجيحًا»، وقد طُبع باسم: «أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية».

المبحث الثالث: مشايخه:

تلقى العلم على يد جماعة من أنبل علماء العصر، ومنهم:

١- الشيخ العلامة المفتي القاضي: عبد اللَّه بن محمد بن عبد العزيز ابن حميد، (ت: ١٤٠٢هـ)، وكان يحضر دروسه في جامع بريدة.

٢- الشيخ العلامة: عبد العزيز بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن باز، مفتي الديار السعودية في وقته، (ت: ١٤٢٠هـ)، رحمه اللَّه تعالى.

٣- الشيخ العلامة: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، صاحب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، (ت: ١٣٩٣هـ)، رحمه اللَّه تعالى.

٤- الشيخ العلامة: عبد الرزاق عفيفي، (ت: ١٤١٥هـ)، رحمه اللَّه تعالى.

٥- الشيخ: صالح بن عبد الرحمن بن إبراهيم السكيتي، (ت: ١٤٠٤هـ)، رحمه اللَّه تعالى.

٦- الشيخ: صالح بن إبراهيم بن محمد البليهي، (ت: ١٤١٠هـ)،

رحمه اللَّه تعالى.

٧- الشيخ: عبد اللَّه بن صالح بن عبد الرحمن الخليفي، (ت: ١٣٨١هـ)، رحمه اللَّه تعالى.

٨- الشيخ : إبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن، (ت: ١٤٢٦هـ)، رحمه اللَّه تعالى.

٩- الشيخ: حمود العقلا، (ت: ١٤٢٢هـ)، رحمه اللَّه تعالى.

١٠- الشيخ: صالح بن علي بن سليمان الناصر، (ت: ١٤٠٦هـ)، رحمه اللَّه تعالى.

كما تتلمذ الشيخ وأخذ العلم على عدد من شيوخ الأزهر الوافدين للتدريس في كلية الشريعة في جامعة الإمام.

المبحث الرابع: تلامذته:

تلقى عنه العلم جماعةٌ من أنبل وأشهر العلماء وطلاب العلم في العصر الحاضر، منهم أساتذة في الجامعة وقضاة وأئمة مساجد منتشرون هنا وهناك لنشر العلم والدعوة إلى اللَّه تعالى.

المبحث الخامس: مكانته العلمية والاجتماعية:

- عمل مدرسًا في مدرسة بلدته الشماسية.
- ثم مدرسًا في المعهد العلمي ببريدة.
- ثم مدرسًا في كلية الشريعة بالرياض.

- ثم مدرسًا في كلية أصول الدين .

- ثم مديرًا للمعهد العالي للقضاء وأستاذًا فيه .

- ثم عضوًا في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وعضوًا في هيئة كبار العلماء، وما يزال في المنصبين .

وشارك في العديد من مؤتمرات : رابطة الشباب المسلم العربي ، والشباب الإسلامي في غرب إفريقيا ، والدعوة الإسلامية ، ورسالة المسجد، وعُيِّن عضوًا في لجنة الإشراف على توجيه الدعاة في الحج ، ولجنة مراجعة مؤلفات مقرر العقيدة للثانوي المطور، إضافة إلى مشاركته المتعددة في الصحف والإذاعة والمحاضرات العامة .

المبحث السادس : مؤلفاته وآثاره العلمية :

- كتاب : «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد» ، مجلد .

- كتاب : «الملخَّص الفقهي» ، مجلدان .

- كتاب : «الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام» .

- كتاب : «أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية» ، مجلد ، (وهو رسالة الدكتوراه) .

- كتاب : «التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية» ، مجلد ، (وهو رسالة الماجستير) .

- كتاب : «الإرشاد إلى توضيح مسائل الزاد» ، حاشية على زاد المستقنع .

- كتاب: «إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان».

- كتاب: «الاجتهاد».

- كتاب: «بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل».

- كتاب: «بيان ما يفعله الحاج والمعتمر وتنبيهات على أخطاء يرتكبها بعض الحجاج».

- كتاب: «البيان فيما أخطأ فيه بعضُ الكُتَّاب»، مجلد.

- كتاب: «تعقيبات على كتاب: السلفية ليست مذهبًا».

- كتاب: «التعقيب على ما ذكره الخطيب» في حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

- كتاب: «التعليق المختصر المفيد على كتاب التوحيد».

- كتاب: «تنبيهات على أحكام تخص المؤمنات».

- كتاب: «التوحيد»، ويقع في جزأين، وهو مقرر في مرحلة الثانوية بوزارة التربية والتعليم في المملكة.

- كتاب: «رد أوهام أبو زهرة في حق شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب».

- كتاب: «رسائل في مواضيع مختلفة».

- كتاب: «الرد على الشيخ السيابي في تعقيبه على فتوى شيخنا عبد العزيز بن باز».

- كتاب: «الذكاة الشرعية وأحكامها وحكم تناول الميتة».

- كتاب: «الذكاة الشرعية وحكم اللحوم المستوردة».

- كتاب: «الشباب دوره ومشكلاته».

- كتاب: «شرح العقيدة الواسطية».

- كتاب: «إعانة المستفيد في شرح كتاب التوحيد»، للشيخ محمد بن عبد الوهاب. مجلدان.

- كتاب: «الضياء اللامع من الأحاديث القدسية الجوامع».

- كتاب: «فتاوى ومقالات»: نشرت في مجلة الدعوة.

- كتاب: «الفرق بين البيع والربا في الشريعة الإسلامية».

- كتاب: «الفقه الأكبر».

- كتاب: «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية»، في أربعة مجلدات.

- كتاب: «كيفية تغسيل الميت وتكفينه».

- كتاب: «لمحة عن الفرق الضالة».

- كتاب: «مجموع فتاوى في العقيدة والفقه»، مفرغة من البرنامج الإذاعي في إذاعة القرآن الكريم «نور على الدرب»، وقد أُنجز منه أربعة أجزاء.

- كتاب: «مجموعة رسائل وفتاوى»، (مشترك).

- كتاب: «مختصر أحكام الجنائز».

- كتاب: «محاضرات في العقيدة والدعوة»، (صدر منه ٣ مجلدات).

- كتاب: «معنى (لا إله إلا الله) ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع».

- كتاب: «من مشاهير المجددين في الإسلام».

- كتاب: «المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان».

- كتاب: «الولاء والبراء في الإسلام».

وللشيخ العديد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية.

* * *

المقدمة الثالثة

التعريف بالمنظومة الحائية

وفيها عشرة مباحث:

المبحث الأول: معلومات عامة عن المنظومة.

المبحث الثاني: اسمها.

المبحث الثالث: تقرير نسبتها للناظم.

المبحث الرابع: مخطوطاتها.

المبحث الخامس: مطبوعاتها.

المبحث السادس: أسانيدها ورواتها.

المبحث السابع: شروحها.

المبحث الثامن: مكانتها عند العلماء.

المبحث التاسع: الناقلون عنها.

المبحث العاشر: موضوعها.

* * *

المبحث الأول: معلومات عامة عن المنظومة:

هي قصيدة في العقيدة وأصول الدين.

حائية الرويِّ: ينتهي كل بيت منها بحرف الحاء.

تحتوي على بضعة وثلاثين أو أربعين بيتًا.

مطلعها:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ التِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّه تَنْجُو وَتَرْبَحُ

إلى أن قال:

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

عدد أبيات المنظومة:

وقد اختلفت الروايات والنسخ والطبعات في عدد أبيات المنظومة الحائية، وهي على النحو التالي:

الأول: أنها تقع في (٣٣) بيتًا، وهذا عدد أبياتها في أكثر المصادر.

وهو الذي رواها به رواة الحائية، ومنهم: الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين، والإمام أبو بكر بن محمد بن الحسين الآجري، وعبيد اللَّه الفقيه الحنبلي، والشيخ أبو بكر أحمد بن إبراهيم، وغيرهم.

وعليه مشى الشيخ د. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر -حفظه اللَّه تعالى- في شرحه للمنظومة.

الثاني: أنها تقع في (٣٦) بيتًا، وقد ذكر العلَّامة السفاريني في شرحه للمنظومة (٢/ ١٠٥-١٠٦): أن ابن البناء الحنبلي زاد عليها ثلاثة أبيات وهي الرواية التي اعتمدها الشارح.

الثالث: أنها تقع في أربعين بيتًا، كما في شرح السنة لابن شاهين (ص٣٥٣).

وقد ذكر بعضهم أن هذه الأبيات الزائدة من بعض الرواة.

وعليه مشى الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر البراك -حفظه اللَّه تعالى- في شرحه للمنظومة.

وكذا الشارح الشيخ صالح بن فوزان، في شرحه هذا.

قال الشيخ د. عبد الرزاق بدر -حفظه اللَّه تعالى- بعد ذكر رواتها: «ولم يزد جميع هؤلاء فيما ذكروه من أبيات هذه المنظومة على ثلاثة وثلاثين بيتًا.

وقد جاء في آخر كتاب السنة لابن شاهين بعد نهاية الكتاب -وهو من لحق بعض النسَّاخ- إيرادٌ لهذه المنظومة، مع زيادة سبعة أبيات بعد الأبيات المتعلقة بالعشرة المبشرين بالجنة، فأصبح مجموع أبيات المنظومة بهذه الزيادة أربعين بيتًا»[1].

والأبيات المزيدة هي:

---

(١) الكتاب اللطيف لشرح مذهب أهل السنة (ص٢٥٥).

وَسِبْطَيْ رَسُولِ اللَّه وَابْنَيْ خَدِيجَةٍ ... وَفَاطِمَةُ ذَاتُ النَّقَاءِ تَبَحْبَحُوا

وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَالُنَا ... مُعَاوِيَةٌ، أَكْرِمْ بِهِ ثُمَّ امْنَحُ

وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ ... بِنَصْرَتِهِمْ عَنْ كَيَّةِ النَّارِ زُحْزِحُوا

وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَآخِذ ... وَأَفْعَالِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا

وَمَالِك وَالثَّوْرِيُّ ثُمَّ أَخُوهُمُ ... أَبُو عَمْرٍو الأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ الْمُسَبِّحُ

وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ ... إِمَامَا هُدًى مَنْ يَتْبَعُ الْحَقَّ يَنْصَحُ

أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ عَفَا اللَّه عَنْهُمُ ... فَأَحْبِبْهُمُ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ

ولا شك في أن هذه الأبيات المزيدة ليست لابن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إذ جميع من رووا القصيدة من تلاميذه لم يذكروا هذه الزيادة، ومن بينهم ابن شاهين رَحِمَهُ اللَّهُ، كما تقدم في رواية الذهبي للمنظومة من طريقه وليس فيها هذه الزيادة، مِما يدل على أنها زِيدت في القصيدة بعدُ.

ثم وَجدتُ أن ثلاثة من هذه الأبيات قد زادها ابن البناء رَحِمَهُ اللَّهُ، كما نبه على ذلك السفاريني في شرحه لهذه المنظومة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «لوائح الأنوار السنية»[1]: «هذه الثلاثة أبيات وأولها قوله:

وعائش أم المؤمنين . . .

وثانيها: وأنصاره والهاجرون ديارهم . . .

وثالثها: ومن بعدهم فالتابعون . . .

(١) لوائح الأنوارالسنية (٢/ ١٠٥).

ليست من كلام الناظم الذي هو الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود، بل من كلام العلامة المحقق ابن البناء من أئمة علمائنا.

ثم قال الشيخ عبد الرزاق: «وعلى هذا فتبقى أربعة أبيات مزيدة على النظم ولا يُدرى مَن زادها، لكننا نقطع أنها ليست لابن أبي داود -رحمه اللَّه تعالى-، ولا تصح نسبتها إليه.

أما معاني هذه الأبيات فلا شك في حسنها وأهميتها، على ضعف تراكيبها وأوزانها، حتى أن القارئ ليدرك بمجرد قراءتها أنها مقحمة مزيدة».

المبحث الثاني: اسم المنظومة:

يقال لها:

١- الحائية، نسبة للروي المنتهية به كل أبياتها.

٢- القصيدة الحائية.

٣- المنظومة الحائية.

والتعبير عنه بالمنظومة أدق من مصطلح القصيدة؛ لأن القصيدة في الغالب للشعر الأدبي ونحوه.

أما الشعر في العلم فجرى الاصطلاح أنه يُطلق عليه لفظ «المنظومة».

المبحث الثالث: تقرير نسبة المنظومة الحائية للناظم:

نسبها له جماعة من المترجمين الذين ترجموا له، ومنهم:

١- ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة.

٢- والذهبي في السير.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتاب العلو:** «هذه القصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الآجري، وصنف لها شرحًا، وأبو عبد اللَّه بن بطة في الإبانة».

المبحث الرابع: مخطوطات المنظومة الحائية:

توجد للمنظومة الحائية عدة مخطوطات في مكتبات متفرقة في أنحاء العالم، ومن ذلك:

المخطوطة الأولى: مخطوطة دار الكتب الظاهرية، بدمشق.

تقع في ثلاث ورقات، ضمن مجموع رقم: (٢٩٦١، عام)، (٧٤-٧٦).

كتبت سنة: (٧٥٣هـ).

المخطوطة الثانية: مخطوطة دار الكتب القطرية، بالدوحة.

تقع في ورقتين.

ضمن مجموع رقم: (١٠١٩)، (٥-٦).

المبحث الخامس: مطبوعات المنظومة الحائية:

لم تُفرد المنظومة الحائية بالطبع في كتاب مستقلٍّ؛ لكونها صغيرة الحجم في نحو صفحتين، ومثل هذا المقدار لا يُناسب إفراده بالطبع، بل يُطبع ضمن كتاب أو شرح، وهو ما عليه حال مطبوعات الحائية.

- فقد طُبعت ضمن مجموعة من الكتب العقدية التي أوردتها كاملة، ومن

ذلك: كتاب: «العلو للعلي الغفار»، للحافظ الذهبي (ص١٥٣- ١٥٤).

كما أنها طُبعت محققة ضمن: «مجلة المحكمة»[١].

المبحث السادس: أسانيد المنظومة الحائية ورواتها:

ممن رواها من العلماء:

١- الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، البغدادي، المحدث الواعظ (ت: ٣٨٥هـ).

قال الذهبي -رحمه اللَّه تعالى-[٢]: «أنشدنا أبو العباس أحمد بن عبد الحميد، قال: أنشدنا الإمام أبو محمد بن قدامة، سنة ثمان عشرة وستمائة، أخبرتنا فاطمة بنت علي الوقاياتي، أخبرنا علي بن بيان، أخبرنا الحسين بن علي الطناجيري، حدثنا أبو حفص بن شاهين، أنشدنا أبو بكر ابن أبي داود لنفسه هذه القصيدة».

٢- الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت: ٣٦٠هـ):

قال -رحمه اللَّه تعالى-: «أملى علينا أبو بكر بن أبي داود في مسجد الرصافة، في يوم الجمعة، لخمسٍ بقين من شعبان سنة تسع وثلثمائة».

٣- عبيد اللَّه الفقيه:

قال ابن أبي يعلى -رحمه اللَّه تعالى- في طبقات الحنابلة[٣]: «أنبأنا

---

(١) العدد (١٢)، بتحقيق هاني بن جبير.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٣٣)، «العلو للعلي الغفار» (ص١٥٣-١٥٤).

(٣) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٣).

علي المحدث عن عبيد اللَّه الفقيه، قال: أنشدنا أبو بكر بن أبي داود من حفظه لنفسه».

٤- أبو بكر أحمد بن إبراهيم:

قال أبو الحسن علي بن محمد المعافري المالقي -رحمه اللَّه تعالى-[1]: قرأت على أبي الحسين أحمد بن حمزة بن علي بن الحسن بدمشق، عن أبي العز أحمد بن عبيد اللَّه بن أحمد بن كادش السلمي العكبري، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري، قال: أنشدنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم، قال: أنشدنا أبو بكر بن عبد اللَّه بن سليمان بن الأشعث لنفسه في السنة رَحِمَهُ اللَّهُ.

وممن رواها بسنده كذلك:

١- أبو عبد اللَّه بن بطة.

٢- ابن شاذان.

٣- والحافظ الذهبي، من طريق أبي حفص بن شاهين، وتقدم سياق إسناده.

وكذا ممن أوردها ضمن كتابه في العقيدة:

الشيخ: علي بن إبراهيم العطار، (ت: ٧٢٤)، في كتابه: «الاعتقاد الخالص من الشك والارتياب».

---

(١) «الحدائق الغناء» (ص١٧٦).

المبحث السابع : شروح المنظومة الحائية :

شَرَحَ المنظومة الحائية عددٌ من العلماء قديمًا وحديثًا ، ومن ذلك :

١- شرح الآجري، قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب العلو : «هذه القصيدة متواترة عن ناظمها ، رواها الآجري ، وصنف لها شرحًا» .

٢- شرح ابن البناء الحنبلي(١) .

٣- شرح : «لوائح الأنوار السَّنِيَّة ولواقح الأفكار السُّنِّيَّة شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية»، تأليف الإمام السفاريني : محمد بن أحمد بن سالم ، أبو عبد اللَّه ، النابلسي ، الحنبلي (ت : ١١٨٨هـ) .

مطبوع في مجلدين ، مكتبة الرشد ، السعودية ، الرياض .

دراسة وتحقيق : عبد اللَّه بن محمد بن سليمان البصيري ، نال بها درجة الدكتوراه ، مع مرتبة الشرف الأولى ، عام (١٤١٢هـ) .

وهو شرح عظيم ، إلا أنه تؤخذُ عليه بعضُ المآخذ .

٤- شرح : «التحفة السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية»، للشيخ محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش ، (ت : ١٣٣٢هـ) .

٥-شرح : «التحفة السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية»، للشيخ د. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر .

---

(١) ذكر ذلك ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة : (١/ ٣٥) .

وأصله دروس ألقاها الشيخ في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، عام (١٤١٧هـ)، كتبها عنه أحد طلاب العلم، ثم قام الشيخ بمراجعته والإضافة عليه وتنقيحه، وطُبعت، وتوجد نسخ كثيرة منها على مواقع المكتبات الإلكترونية في شبكة المعلومات (الإنترنت).

٦- شرح الشيخ سعود الشريم إمام الحرم المكي، ومن ميزاته ما يتعلق بضبط المتن، والاهتمام بالعَروض.

كما قام بشرحها وتدريسها جماعة من علماء العصر في دروسهم العلمية.

المبحث الثامن: مكانة المنظومة الحائية عند العلماء:

للمنظومة الحائية مكانة عالية ومنزلة سامية عند علماء أهل السنة والجماعة على مر العصور وتعاقب الدهور.

وقد تجلّى اهتمام العلماء بها وعنايتهم بشأنها في عدة صور، ومنها:

١- روايتها.

٢- إيرادها في كتبهم العقدية.

٣- النقل عنها.

٤- الثناء عليها.

ومن ذلك قول الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في النونية[1]:

(١) الكافية الشافية (ص٦٥).

وكذا الإمام ابن الإمام المرتضى حقًّا أبي داود ذي العرفان
تصنيفه نظمًا ونثرًا واضح في السنة المثلى هما نجمان

ومما قال فيها الشيخ د. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر في مقدمة شرحه لها: «القصيدة السنية والمنظومة البهية . . . وهي منظومة شائعة الذكر، رفيعة الشأن، عذبة الألفاظ، سهلة الحفظ، لها مكانة عالية ومنزلة رفيعة عند أهل العلم في قديم الزمان وحديثه، تواتر نقلها عن ابن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد رواها عنه غير واحد من أهل العلم كالآجري، وابن بطة، وابن شاهين، وغيرهم، وثلاثتهم من تلاميذ الناظم، وتناولها غير واحد من أهل العلم بالشرح . . . وهي منظومة عظيمة في تقرير المعتقد الحق الذي كان عليه أهل السنة والجماعة، تدل على مكانة ناظمها وسعة باعه، وحسن معتقده وطيب نصحه».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك - حفظه اللَّه تعالى- في شرحه للمنظومة:

«منظومة العلامة الحافظ ابن أبي داود، وهو أبو بكر عبد اللَّه بن سليمان بن أبي داود سليمان بن الأشعث صاحب السنن. . .، ومن آثاره هذه المنظومة المشهورة التي اشتهرت عند المؤرخين للأعلام، فهي مشهورة عند أهل العلم، هذه المنظومة المشهورة بالحائية، حائية أو منظومة ابن أبي داود، ولعلها -يعني- إن لم تكن أول نظم في العقيدة فلا شك أنها من أول ما نسج على هذا المنوال، فإن أهل العلم لما قامت حركة التأليف وحركة الجهاد باللسان والرد على المبتدعين ألفوا في ذلك

المؤلفات الكثيرة، ومعظمها -يعني- بذكر الأدلة وجمع الأدلة، كلها مؤلفات -يعني- على سبيل -يعني- بالنثر . . .

وهذه المنظومة التي نحن بصددها محدودة الأبيات قليلة، غايتها ما أثبت عندكم، أكثر ما وجد هي هذه المجموعة، أربعون بيتًا تقريبًا، ولكنها تضمنت يعني تأصيلًا، وتضمنت بيان معتقد أهل السنة لعله في أهم المسائل، ولابد أن يكون ذلك على وجه الإجمال مع هذا الاختصار لا يمكن إلا أن يكون على وجه الإجمال».

* * *

المقدمة الرابعة

متن المنظومة الحائية

١- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى   وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

٢- وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي   أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا   بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

٤- وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا   كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

٥- وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقًا قِرَاءَةً   فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

٦- وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً   كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

٧- وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ   وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

٨- وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا   بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

٩- رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ   فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

١٠- وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ   وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ   بِلَا كَيْفِ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

١٢- إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ   فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

١٣- يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا   وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

١٤- رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ   أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

١٥- وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ   وَزِيرَاهُ قُدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ

١٦- وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ   عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

١٧- وَإِنَّهُمُ لَلرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيْهِمُ	عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّوْرِ تَسْرَحُ
١٨- سَعِيْدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ	وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ
١٩- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ	وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ
٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِيْنُ بِفَضْلِهِم	وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
٢١- وَسِبْطَيْ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنَيْ خَدِيجَةٍ	وَفَاطِمَةٌ ذَاتُ النَّقَاءِ تَبَحْبَحُوا
٢٢- وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَالُنَا	مُعَاوِيَةٌ، أَكْرِمْ بِهِ ثُمَّ امْنَحُ
٢٣- وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ	بِنُصْرَتِهِمْ عَنْ كَيَّةِ النَّارِ زُحْزِحُوا
٢٤- وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَآخِ	وَأَفْعَالِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا
٢٥- وَمَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ ثُمَّ أَخُوهُمُ	أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ الْمُسَبِّحُ
٢٦- وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ	إِمَامَا هُدًى مَنْ يَتْبَعِ الْحَقَّ يَنْصَحُ
٢٧- أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمُ	فَأَحْبِبْهُمْ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ
٢٨- وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُوْرِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ	دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّيْنِ وَالدِّيْنُ أَفْيَحُ
٢٩- وَلَا تُنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيْرًا وَمُنْكَرًا	وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيْزَانَ إِنَّكَ تَنْصَحُ
٣٠- وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّه الْعَظِيْمُ بِفَضْلِهِ	مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِن الْفَحْمِ تُطْرَحُ
٣١- عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ	كَحَبِّ حَمِيْلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
٣٢- وَإِنَّ رَسُولَ اللَّه لِلْخَلْقِ شَافِعٌ	وَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْحَقِّ مُوضَحُ
٣٣- وَلَا تُكَفِّرَنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا	فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ
٣٤- وَلَا تَعْتَقِد رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ	مَقَالٌ لِمَن يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
٣٥- وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوْبًا بِدِيْنِهِ	أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالدِّيْنِ يَمْزَحُ

٣٦- وَقُلْ إِنَّمَا الإِيْمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ
٣٧- وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ
٣٨- وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهَم فَقَوْلُ رَسُوْلُ اللَّه أَوْلَى وَأَشْرَحُ
٣٩- وَلَا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلْهُو بِدِيْنِهِمُ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيْثِ وَتَقْدَحُ
٤٠- إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيْتُ وَتُصْبِحُ

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *



مُقدِّمةُ الشَّارحِ

الحمدُ للَّه ربِّ العالَمِينَ، وَصلَّى اللَّه وسلَّم عَلىَ نبيِّنا محمَّد، وَعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ أَجْمعِين.

أما بعد:

فهذا شَرحٌ لمنظومةِ أبي بكْرِ بنِ أَبي داود السِّجستانيِّ -رحمه اللَّه تعالى- وهِي تَتضمَّن عقيدته وما كَان عَليه، وأنَّه متَّبعٌ للسَّلف في ذلك وَقَد كانَ المسُلمونَ في الصَّدْرِ الأوَّل -عَصرِ الصَّحابة ومَنْ بعدَهم من القُرون المُفضَّلةِ- يَعتقِدون ما جَاء في القُرآن وفي السُّنَّةِ من غَيرِ تردُّدٍ أو شكٍّ؛ لأنَّهم آمنُوا باللَّهِ ورَسُولِه ﷺ، إيمانًا صَادِقًا قويًّا، فاعتقَدوا مَا جَاء في كِتاب اللَّه وسُنَّة رسولِه ﷺ آمنُوا بكلِّ ما اشتملَ عليه القرآنُ واشتملتْ عليه السنةُ من جميعِ أُمور الدين، فإنهم يُؤمنونَ بها، ولا يَشُكُّونَ في ذلك سواءً كان في العَقائدِ، أو العِبَاداتِ أو المُعاملاتِ، أو الآدَابِ، أو الأخْلاقِ، أَو في الأحْكَامِ الشَّرعيةِ كالحَلالِ والحَرامِ، مَا كانوا يتوقَّفونَ في شَيءٍ من ذَلك؛ لأنَّ هَذا مُقتضَى الإيمانِ، وهم آمَنُوا حقًّا وصِدقًا، فَلا يَتردَّدون فيما ثبتَ في كتابِ اللَّه وسنةِ رَسُولِهِ ﷺ في أيِّ مَوضوعٍ كَانَ، ولا في أخبارِه الماضِيَة والمسُتقبلَة، لاَ يَستثنُون شَيئًا ممَّا جاءَ في الكِتَاب والسنَّة بلْ يُؤمنونَ بِهِ إيمانًا جازِمًا لا يَعتَرِيه شَكٌّ، لأن هذا هو مقتضى الإيمان.

ثُمَّ ظَهرتِ الفِرَقُ الضَّالَّةُ في أَواخِرِ عَهْدِ الصَّحابةِ؛ كفرقَةِ الخَوارِجِ، وفِرقَةِ الشِّيعَةِ، وفِرقَةِ المُرجِئة، وفِرْقَة القَدَريَّة، ظهرتْ هذه الفرقُ، وكانَ أَصحابُها

يتكتّمون في القُرون المفضَّلة، ولا يُظهِرونَ هَذِه المُخالفاتِ، وكلُّ مَنْ أظهرَ شَيْئًا منها فإنه يُؤخَذُ على يَدِه ويُمنع من ذَلك، وإنْ وَصَل به الأمرُ إلى الردَّة فإنه يُقتلُ؛ حِمايةً لهذا الدين من أنْ يَعبثَ به هَؤلاء العَابثونَ.

فلمَّا انقضَت القُرونُ المفضَّلةُ ودخلتِ الثَّقافاتُ الأجْنَبيةُ في بِلادِ المُسلِمينَ؛ كثقافَةِ الرُّوم، وثَقافةِ الفُرْس، حَصَل شيءٌ من الخَلل، ونَشِطَ دُعاةُ الضَّلال في ترويجِ هَذه الأفكارِ المُنحرِفَة، فعندَ ذلك نَشِطَ أهلُ العلمِ في بَيانِ عَقيدةِ أهل السنَّةِ والجَماعةِ التي كانَ عليها صَحابةُ رسُولِ اللَّه ﷺ، وعليها التَابعون وأَتباعُ التَّابعين فحرَّروهَا ودوّنوها في كُتبٍ سمَّوها: الإيمان أو الشَّريعة، أو السنَّة، أو التَّوحيد -وردُّوا فيها عَلى المُخالفين، فصَار هذا من لُطفِ اللَّه بهَذهِ الأُمَّةِ ليبقَى دينُها، فإن اللَّه يُقيِّضُ لهذا الدِّينِ حُماةً في كلِّ زمانٍ يحفظُونه.

قالَ الإمامُ أحمدُ -رحمه اللَّه تعالى-[1]: «الحَمدُ للَّه الذي جَعَل فِي كُلِّ زَمان فِترةٍ من الرُّسل بقايا من أهلِ العلم: يَدْعُون مَن ضَلَّ إلى الهُدى، وَيصْبِرونَ مِنْهم عَلىَ الأذَى، يُحْيُونَ بكتابِ اللَّه المَوْتى، ويُبَصِّرون بنُور اللَّه أهلَ العَمَى -فكَمْ من قَتيلٍ لإبليسَ قد أحْيَوهُ، وكم من ضالٍّ تائِهٍ قد هَدَوه، فمَا أحسَنَ أثرَهم عَلى النَّاس، وأقبحَ أثَرَ النَّاسِ عَليهِم.

ينفُون عن كتابِ اللَّه تَحريفَ الغالين وانتحالَ المُبطِلينَ، وتَأويلَ الجَاهلينَ: الذين عَقَدوا ألويةَ البِدْعَةِ، وأطلقوا عِقالَ الفِتْنَةِ، فهُم مُختلِفونَ

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (ص٨٥)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط(٢)، عام (١٤٠٢)، دار اللواء، الرياض، السعودية.

فِي الكِتاب، مُخَالِفونَ للكِتابِ، مُجمِعُونَ عَلَى مُفارقَةِ الكَتَابِ، يقُولونَ على اللَّهِ وفِي اللَّهِ وفِي كِتابِ اللَّهِ بِغيرِ علمٍ، يتكلَّمون بِالمُتشابهِ من الكَلامِ، ويَخْدَعُونَ جُهَّالَ النَاس بِمَا يُشَبِّهون عَلَيهِم -فَنَعوذُ باللّهِ من فِتَنِ الضَّالِّينَ». اهـ

ثُمَّ إنَّ المُسلِمينَ تَوارثُوا هَذِه الكُتبَ، واستَخْلَصُوا منها كُتَبَ العَقائِدِ، وتَدَاولُوا مَا أَلَّفهُ هَؤلاءِ الأَئِمَّةُ، فوُجِدَتْ كُتبُ العَقِيدةِ التي تتضمَّن جَمِيعَ مسائِلِ العَقِيدة ومَا عليه سَلَفُ هَذه الأُمَّةِ.

ثُمَّ إنَّ بَعْضَ العُلماءِ اعتَنَوا بِمُتُونِ العَقِيدةِ ونَظَمُوها؛ لأنَّ النَّظمَ أَخفُّ عَلى النَّفسِ وأَسرعُ فِي الحِفْظِ، وأَبقى فِي الذَّاكِرَةِ، فنَظَموا هَذِهِ المُتونَ فِي العَقائد لِيَسْهُلَ حِفظُها، ومِن ذلك هَذِهِ المَنظُومَةِ التي بينَ أَيْدِينا، وهي: «**حائِيَّةُ ابنِ أَبي دَاوُدَ**».

وسُمِّيتْ «الحائِيَّة»: لأنَّها عَلى رَوِيِّ الحَاء، مُثلُ المِيمِيَّةِ لابن القيم، والنُّونية له؛ لأنهما عَلى رَوِيِّ النُّون أو الميم، فالنَّظْمُ إذا كَانَ عَلى قَافيةٍ واحِدَةٍ فإِنَّهُ يُسمَّى باسم هذهِ القافيةِ، كأن يكونَ على الحاءِ، أو الميم، أو النُّونِ، فيُقال: الحائية، أو الميمية، أو النونية، وهكذا.

أمَّا إذا كانَ النَّظمُ ليسَ على قَافِيةٍ وَاحدةٍ وهو مَا يُسمَّى بالرَّجَز، فهَذا يُسمَّى بالمَنظومة، أو الأُرْجُوزةِ، مثلُ مَنظومَةِ السَّفَّارِينِيِّ، ومَنظُومَةِ الرَّحَبِيَّة فِي الفرائض، ومِثلُ نَظْمِ ابنِ عبدِ القَويِّ لـ «المُقْنِع» فِي الفقْهِ، ونَظمِه لـ «الآداب الشَّرعيَّة».

والحَاصِلُ: أنَّ النَّظمَ جيِّدٌ؛ لأنَّه يَسْهُلُ حفظُه فَيبقَى، ولأَنَّهُ يُنَظّم

المَعلوماتِ، وإنْ كان النَّثرُ هُو الأَصْلُ، ولكنَّ النظمَ -أيضًا- له فائدتُه في تثبيتِ المعَلوماتِ -ومنهُ هَذهِ المَنظومَةُ الجَيِّدةُ: القصيدةُ الحَائيَّة لأبي بكر ابن أبي داود.

التعريف بمؤلف الكتاب:

وأبُو بَكْرٍ: هو: عبدُ اللَّه بنُ أَبي دَاودَ (سُليمانَ) بنِ الأشْعَثِ السِّجِسْتَانيُّ.

ووالدُه: أبو دَاودَ هو: سليمانُ بنُ الأشعثِ، وهو صَاحبُ السننِ، التي هي إحدى السُّننِ الأَرْبَعِ من دَواوينِ السُّنَّة المُهمَّةِ، وهُو من أصْحَابِ الإمامِ أحمدَ وتَلامِيذِه، وله مَسائلُ مَطْبوعةٌ، رَواها عن الإمامِ أحمَدَ اسمُها «مَسائلُ أَبي دَاودَ».

وابنُه هَذا هو: «النَّاظِمُ عبد اللَّه؛ ويُكنَى أبَا بَكرٍ، وهُو إمامٌ جَليلٌ، أخذ عَن أَبيه، وعَن غَيرِه من عُلمَاءِ وَقتِه، وتَبحَّر فِي العِلْمِ والرِّوايةِ وحَدَّث. وله مَقامٌ عْظِيمٌ في العِلْمِ، لا يقلُّ عن مَقامِ أَبيهِ أَوْ يُقارِبُ مَقَامَ أَبيهِ -رحمهما اللَّه تعالى- فَجاءَتْ هَذِهِ القَصِيدةُ مُتضَمِّنةٌ لعَقِيدةِ السَّلَفِ.

* * *

[التَّمَسُّكُ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ][1]

١- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّه وَاتَّبِعِ الْهُدَى
وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

الشَّرْحُ:

بَدأ النَّاظمُ -رحمه اللَّه تعالى- نظمَهُ بقَولِه: (تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّهِ): أي: تمسَّكْ -أيُّها المُسلِمُ- بحبلِ اللَّه الذي هو القُرآنُ والسُّنَّة، أخذًا من قولِه تَعالىَ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ومن قولِه ﷺ: «**فإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[2].

فهذا البيتُ مأخوذٌ من القُرآنِ والسُّنَّةِ، وهُو الأمرُ بالتَّمسُّكِ بحَبلِ اللَّه، وحبلُ اللَّهِ هُوَ: القُرآنُ وسُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ، أو بعِبارةٍ أُخرى نقول: حَبلُ اللَّه هو وَحيُه الَّذِي أنزَلهُ عَلى رَسُولِه ﷺ، سَواءٌ كَان قُرآنًا أو سُنَّةً.

---

(١) العناوين التي بين معقوفين [ ] ليست من أصل الكتاب المتن، وليست من صنع صاحب المنظومة، وإنما أوردت للتوضيح.

(٢) أخرجه: أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢-٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧)، والدارمي (٩٥) البغا، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٧، ٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٦١٧، ٦٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٥) من حديث العرباض بن سارية ﷺ.

وقوله: (تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّهِ)؛ يعني: اعتصمْ به، كما قَالَ تَعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾، والنبيُّ ﷺ يقولُ: «إِنَّ اللَّه يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَميعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّه أَمْرَكُمْ»(١)، هذه الثلاثُ منها الاعتصامُ بحبلِ اللَّه؛ لأنَّه يَقِي من الافتِراقِ والاختِلاف، فَلا يَحصُلُ الاختلافُ والافتراقُ إلَّا بسببِ عَدمِ التمسُّك بِكتَابِ اللَّه وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ كافتراقِ أَهلِ الكِتَابِ، مَع أَنَّ اللَّه أنزلَ عَليهِمُ التَّوراةَ والإنْجيلَ، ولكنْ لمَّا لم يَعْتَصِموا بحَبلِ اللَّه تفرَّقُوا واختلفُوا؛ ولهٰذا قال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، هَذه طَريقةُ أَهلِ الكِتَابِ أَنَّهم تركُوا كِتابَ ربِّهم فتفرَّقوا.

وَهَذهِ نتيجةٌ حَتميَّةٌ لكلِّ مَن لا يَأخذُ دينَه وعَقِيدتَه من كِتابِ اللَّه وسُنةِ رسُولِه ﷺ، فإنَّ النَّتيجةَ الاختلافُ والتفرُّقُ، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٢- ٥٣]، كُلٌّ أَحْدثَ له مَذهبًا ومَنهجًا يُخالِفُ بِهِ غيرَه، فحَصلَتْ فتنٌ عَظيمةٌ، وشُرورٌ كَثيرةٌ لا عَاصِمَ مِنْها إلَّا بالاعْتِصَامِ بكتَابِ اللَّه وسنةِ رسُولِه ﷺ، ولاسيَّما في الأصْلِ والأساسِ وَهُو العقيدةُ التي يَجمعُ اللَّه بها بينَ النَّاس؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠) (١٧١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ... فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا،... وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

﴿قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

فَلا يُؤلِّفُ بينَ القُلوبِ كَثرةُ العَطاءِ، وكَثرةُ الأَموالِ، بلْ هذهِ تَزيدُ القُلوبَ نُفرةً وتَباغُضًا، مَهمَا أنفقتَ من الأَموالِ فلنْ تؤلِّفَ بينَ القُلوبِ، وإنَّما الذي يُؤلِّف بينَ القُلوبِ هو القُرآنُ والسُّنَّة، وَقَدْ حذَّرَنا اللَّه ﷻ مِمَّا وَقع فِيهِ الأُمَمُ السَّابِقَةُ مِنْ تَفَرُّقِها بَعدَما جَاءتْها البيِّناتُ فقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]، ليسَ لهم عُذرٌ؛ لأنَّ اللَّه بيَّن لهمُ، ولكنَّهم تَركُوا هَذه البيِّنةَ فَتفرَّقُوا، وقَال تَعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وَقالَ تَعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وَلِهَذا كانَ النبيُّ ﷺ يَقولُ إِذا قَامَ يُصلِّي من الليل: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلىَ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[1]، وهَذا دُعاءٌ عظيمٌ يَعْصِمُ اللَّه به المُسلمَ من الأَهواءِ والفِتَنِ والشُّرورِ.

ثم قال الناظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَاتَّبِعِ الهُدَى):

والهُدى: هو الذي بُعث به مُحمَّدٌ ﷺ؛ كَمَا قَالَ تَعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠) (٧٧٠) من حديث عائشة ﵂.

رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، و«الهُدى»: هو: العلمُ النَّافعُ، و«دين الحقِّ»: هو: العَملُ الصالحُ.

ونقرأُ في آخرِ الفَاتِحةِ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦- ٧].

-الذين أَنعمَ اللَّه عليهِم: همُ الذِينَ جَمعُوا بينَ العِلمِ النَّافعِ والعَملِ الصَّالح.

-وَالمَغْضُوبُ عَليهِم: همُ الذِينَ أَخذُوا العِلمَ وتَركُوا العَملَ.

-والضَّالُّون: همُ الذِينَ أَخذوا العَملَ وتَركُوا العِلمَ، كالمُتصوِّفة والعبَّاد الجهَّال.

والهُدى والهدايةُ علَى قِسمينِ[1]:

القِسمُ الأَوَّلُ: الهُدى بِمعنَى الدِّلالةِ والإرشادِ وبَيانِ الحقِّ، وهَذه هِدايةٌ عامَّةٌ، واللَّه هَدى النَّاسَ جَمِيعًا بِمعنَى أَنَّه بيَّن لهم الحقَّ، وَوضَّحهُ لهم كَما قال تَعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، فَهذِه هَدايةُ دِلالةٍ وإرشادٍ.

القِسْم الثَّاني: هِدايةُ التَّوفيقِ للعَملِ بالحَقِّ والتمسُّكِ بهِ، وهَذهِ هِدايةٌ خاصَّةٌ لا تكونُ إلا لأهلِ الإِيمَانِ، ولا يَملِكُها إلا اللَّه ﷻ فلا يَملِكُ هِدايةَ القُلوبِ إلا اللَّه -جل وعلا- قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

---

(١) راجع أقسام الهداية في «شفاء العليل» لابن القيم (ص٦٥) ط. دار الفكر.

وهِدايةُ الدِّلالةِ والإرْشادِ يَملِكُها الرُّسلُ والأنبياءُ، وأهلُ العلمِ، كلُّهم يَدلُّون على الحقِّ ويبيِّنونَه ويُبصِّرون به؛ ولهذا قالَ -تعالى- لنبيِّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وربَّما يَقولُ قائلٌ: لمَاذا قال اللَّه -جلا وعلا- لنبيِّه في آيةٍ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾، وقَال في الآيةِ الأُخرى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، أليس هذا تَعارضًا؟

الجَوابُ: ليسَ هذا تَعارُضًا -حَاشَى وَكلَّا- بل قولُه تَعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: يَعني: تدلُّ وتُرشِدُ وتُبيِّن، وقولُه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: يَعني: لا تَقدرُ عَلى تَوفيقِ النَّاسِ وقَبولِهم الحقَّ، فهَذا لا يَقدِرُ عليه إلَّا اللَّه ﷻ. فَلا تَعارُض بينَ الآيَتينِ، وإنَّما تَتعارض عندَ مَن لا علمَ عندَه، أمَّا البصيرُ بالقُرآنِ، والبصيرُ بالعِلمِ فَلا يَتعارضُ عندَه القرآنُ والسنةُ، فالقرآنُ لا يَتعارضُ أبدًا، والسنةُ لا تتعارضُ؛ لأنَّهما تنزيلٌ من حَكيمٍ حَميدٍ، ولكنَّ الشأنَ في الذي يَفهمُ ويَجمعُ بينَ الأدلَّة.

قولهُ: (وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا):

هَذا نهيٌ، والبِدعيُّ نسبةٌ إلى البِدعَةِ، والبِدعةُ: ما أُحْدِثَ في الدين ممَّا ليس له أصلٌ في كتابِ اللَّه، أو سُنةِ رَسولِه ﷺ.

واللَّه نهانا عن الابتداع في الدِّين، والنبيُّ ﷺ حذَّرنا من الابتداع في الدِّين.

فاللَّه -جلا وعلا- يَقولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣]، فالدِّينُ كاملٌ لا يَحتاجُ إلى أنْ تُضِيفَ إليه أَشياءَ تَستحسِنُها أَو تقلِّدُ

فيها غيرَك ممَّا ليسَ عليه دليلٌ من كِتابٍ أو سنةٍ لتتقربَ بها إلى اللَّه؛ كالأذْكارِ البِدعيَّةِ، والصَّلوات البِدعيَّة، وجَمِيعِ أنواع التقرُّبِ إلى اللَّه إذا لَمْ يَكنْ عَليه دليلٌ فهو بِدعَة، ولو كانتْ نيةُ صَاحبِه حَسَنة ويُرِيدُ الأجرَ، ويُرِيدُ الثَّوابَ، ولا يُرِيدُ المُخالفَةَ، لكنْ رأى أنَّ هذا فيه خيرٌ فاستحسَنه، وهُو في الحَقِيقةِ ليسَ فيهِ خيرٌ، لو كانَ فيه خيرٌ لجَاء به الكتابُ والسنةُ، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فكلُّ الخَيرِ وكلُّ الهدايَةِ في القُرآنِ والسنَّةِ، فمَن جَاء بزيادةٍ ليستْ في الكِتَابِ والسُّنةِ فهي بِدعةٌ مَردودةٌ.

-وقد قال- ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**[1]، **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**[2]، فلا يجوزُ الإحداثُ في الدين، أو عَملُ شَيءٍ لم يأتِ به الرَّسولُ ﷺ، ويُتقرَّبُ به إلى اللَّه! هذا بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضَلالةٌ.

والبِدْعَةُ في اللُّغةِ: ما أُحدِثَ عَلى غَيرِ مِثالٍ سَابقٍ؛ كأنْ تقولَ: هَذا الشيءُ بَدِيعٌ؛ يعني: جديدٌ، واللَّه -جلَّ وعلا- يقول: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، أي مُحدِثُهما عَلى غيرِ مِثالٍ سَبَقَ، ويقولُ لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، يعني: ما أنَا أولُ رَسولٍ، بلْ قَبلي رُسلٌ كَثيرونَ، فأنا لستُ بِدْعًا؛ يعني: جَديدًا لم يَسبِقْ مِثلي فِي الأممِ السَّابقة، فكيفَ تُنكِرونَ عليَّ أنِّي رسولُ اللَّه وقَبلي رُسلٌ كَثيرونَ؟!

أَمَّا البِدْعَةُ فِي الشَّرعِ: فهي ما أُحدِث في الدِّين ممَّا ليسَ منهُ، وليسَ له دليلٌ

(١) رواه مسلم (١٨) (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧) (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

من كِتابِ اللَّه، أو سنَّةِ رَسُولِه ﷺ.

والبِدعُ ليسَ فِيهَا خير، فَهِي تُبعِدُ عن اللَّه، وتُغضِب اللَّه ﷻ أمَّا السُّننُ فإنَّها خَيرٌ كلُّها، يَرضاها اللَّه ويُحِبُّها، ويُثِيبُ عَليها؛ كَما أَنَّ اللَّه تعالى يُبْغِضُ البِدَعَ ويُبْغِضُ أهلَها، ويُعاقِبُ عَليها.

فَلا مَجَالَ للزِّيَاداتِ والإضافاتِ والاستِحسَاناتِ، واتباعِ النَّاس عَلى مَا هُم عَليه، حتَّى نَعرِفَ دليلهم، فإنْ كَانوا عَلى حَقٍّ اتَّبعنَاهم، قالَ تَعالى: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، هَذا الاتِّباعُ عَلى الحَقِّ، أمَّا إذا كَانوا عَلى غَيْرِ حَقٍّ فإنَّنا لا نَتَّبعُهم، وَلوْ كَانوا من أفضل الناس.

والنَّصارَى لمَّا أَحْدَثُوا الرَّهبَانيَّةَ التي مَا كتَبَها اللَّه عَليهم ضَلُّوا بِها، وأيضًا مَا قَامُوا بها؛ لأنَّهم عَجَزُوا عَن أنْ يَقومُوا بها؛ لأنَّهم هُم الذين حَمَّلُوا أنفسَهم مَا لا تُطِيقُ، واللَّه ﷻ لا يُكلِّفُ نَفْسًا إلا وُسعَها، فعَجَزُوا عَنْها وتَركُوها ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، وقولُه: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ أي: أَحْدَثُوهَا يَبْتغونَ بِها رِضْوانَ اللَّه، فَهَذا دليلٌ عَلى أَنَّ العِبرةَ بالدَّليل لا بالمَقاصِدِ والنياتِ فقط.

فَالحَاصِلُ: أنَّ البدعةَ شرٌّ، وَإِنْ زَعَم أَصْحابُها أنها خَيْرٌ!

وإنْ قَالوا: إن البدعةَ تنقَسِمُ إِلى أَقسامٍ: بِدْعةٍ حَسَنةٍ، وبِدْعةٍ سَيِّئةٍ[1]!

---

(١) قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في الاعتصام (١/ ١٨٨-١٩٣) ط. المكتبة التجارية: «ومما يورد في هذا الموضع أن العلماءَ قسَّموا البدعَ بأقسام أحكام الشريعة الخمسة، ولم يعدوها قسمًا واحدًا مذمومًا، فجعلوا منها ما هو واجب، ومندوب، ومباح، ومكروه، ومحرم،=

فنقول: البِدعُ فِي الدِّينِ ليسَ مِنْها شَيءٌ حَسنٌ؛ لأن النبيَّ ﷺ قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1]، فمَن قال: إنَّ من البِدعِ بدعةً حَسَنةً، فإنه يَكونُ مكذِّبًا لقَولِ الرَّسولِ ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وقَولِه: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، فَلا تُوجَدُ بِدْعةٌ حَسنةٌ في الدِّينِ أبدًا.

أمَّا مَا سمَّوه من البِدَعِ الحِسَانِ؛ كَبِناءِ المَدَارِسِ، والرُّبُطِ، وتَأليفِ الكُتب.

= وبسط ذلك القرافي بسطًا شافيًا، وأصل ما أتى به من ذلك شيخُه عز الدين بنُ عبد السلام»، ثم بعد أن نقل كلام القرافي وشيخه في تقسيم البدعة، قال: «... هذا التقسيم أمرٌ مُختَرَعٌ لا يدل عليه دليل شرعي، بل هو في نفسه متدافِع؛ لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده؛ إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثَمَّ بدعةٌ، ولكان العمل داخلًا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخيَّر فيها، فالجمع بيَّن أن تلك الأشياء بدع، وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمعٌ بين متنافيين، أما المكروه منها والمحرَّم فمُسَلَّم من جهة كونها بدعًا لا من جهة أخرى؛ إذ لو دل دليل على منع أمرٍ أو كراهته لم يُثْبِت ذلك كونَه بدعةً؛ لإمكان أن يكون معصيةً، كالقتل والسرقة وشرب الخمر ونحوها، فلا بدعةَ يتصور فيها ذلك التقسيم ألبتة إلا الكراهية والتحريم حسبما يذكر في بابه.

فما ذكره القرافي عن الأصحاب من الاتفاق على إنكار البدع صحيح، وما قسمه فيها غير صحيح». اهـ. بتصرف.

(١) ورد من حديث جابر ﷺ في خطبة النبي ﷺ أنه كان يقول: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَةٌ**»، أخرجه مسلم (٤٥) (٨٦٧)، وقد وردت هذه الجملة مختصرة ومطولة من حديث ابن مسعود ﷺ عند أحمد في المسند (١/ ٣٩٢، ٣٩٣)، وأبي داود (١٠٩٧)، والترمذي (١١٠٥)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ١٠٤، ١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢)، ووردت في حديث العرباض بن سارية ﷺ. سبق تخريجه (ص٤٧).

فنقول: هَذِه لَيْستْ بِدَعًا، بَلْ هِي مِمَّا حَثَّ الدِّينُ عَليهِ، وهي وَسَائلُ إلى أُمورٍ مَشْروعَةٍ، فقد حثَّ عَلى الإحْسانِ، والعَملِ الصَّالحِ، وَفِعْلِ الخَيْرِ، وَهَذه كلُّها من وَسَائلِ الخَيْرِ، وَهِيَ مُعِينَةٌ عَلى فعلِ الخَيْرِ. فهِي ليستْ بِدَعًا، وقَدْ جاء بِها الدِّينُ، وحثَّ عَليْها الرَّسُولُ ﷺ، قالَ تَعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وأمَّا قولُه -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ-: «مَن سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»(١)، فالمقْصُودُ بِهِ أَنَّهُ: أحْيا سُنةً قَدْ أُمِيتَتْ، فَتَبِعهُ النَّاسُ فِي ذلك فَله أَجْرُها وَأجرُ مَن اقتدَى بِه فعَمِل بِهَا، فهَذه ليستْ بِدْعَةً حَسَنةً، وإنَّما هِي سُنَّةٌ حَسَنةٌ.

فَتَعْليمُ العِلْمِ النَّافِعِ، وعَمَلُ مَا يُعِينُ عَلى طَلبِ العِلْمِ مِن فَتْحِ المَدَارِسِ، وإنشاءِ المَعاهِدِ والكُلِّياتِ، وفتح الرُّبُطِ لطَلبَةِ العِلْمِ، هَذا كُلُّهُ مِمَّا يُعِينُ عَلى طَلبِ العِلْمِ، وهو مأمورٌ بِه شَرْعًا، وليسَ من البِدعِ.

وَأَمَّا الأُمورُ المبتَدَعةُ فِي غَيرِ الدِّينِ، كَصِناعةِ الطَّائراتِ والسَّيَّاراتِ، والمَراكبِ البَحْرِيَّة، فَهذه أمورٌ مُباحةٌ وليسَتْ من الابْتِدَاعِ في الدِّينِ، واللَّه -جلَّ وَعلا- يَقولُ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ﴾ [الجاثية: ١٣]، لأجلِ منافِعِكُم ومَصالِحِكم، فهَذِه لا تَدْخلُ في العِباداتِ، لكنْ قد يُستعانُ بِها لأداءِ العِبادَةِ: فَركَبُ السَّيَّارةَ للحجِّ، أو لِصلةِ الرَّحم، أو تَحصِيلِ المُباحَاتِ ونَركَبُها للتجَارةِ، وللنُّزهَةِ، وَهَذه كلُّها من مَنافِعِ السَّمواتِ والأَرْضِ

(١) أخرجه مسلم (٦٩) (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد اللَّه ﷺ.

التي أباحَها اللَّه لنَا، فليست بدعة؛ لأنها ليستْ مِن الدِّين، بل هي من العاداتِ والمُباحاتِ، فَلا نسمِّيها بِدعَةً، إلا إِنْ كَان من ناحيةِ اللُّغةِ؛ لأنَّها شَيءٌ جَديدٌ، وَلِكَونِها ظَهَرَت فِي وَقتٍ، ولـمْ تَظهرْ فيمَا قبلَه، حيثُ قَدِر النَّاسُ عَليها وكَانُوا من قبلُ لَا يَقْدِرون عَليها.

فينبَغِي مَعْرِفةُ هَذه الأمورِ؛ لأنَّ أهلَ الضَّلال يُلَبِّسونَ على النَّاسِ، ويَقولون: هل كلُّ شَيءٍ بِدعةٌ؟! فَنقولُ: لا، لَيْسَ كُلُّ شَيءٍ بِدعةٌ، بَل البدعُ هِي مَا أُحْدِثَ في الدِّينِ ممَّا ليسَ منه، وليسَ له دليلٌ من كِتاب اللَّه، أو سنَّةِ رسولِهِ ﷺ. أمَّا مَا عَداها فَليس بِبدعَةٍ، وإنَّما هو ممَّا أباحَ اللَّه لعبادِهِ. ففَرقٌ بينَ هَذا وَهَذا.

وقَولُ النَّاظِم -رحمه اللَّه تعالى-: (لَعَلَّكَ تفْلِحُ):

يَعني: إذا أَرَدتَ الفَلاحَ، وهُو السَّعادةُ في الدُّنيا والآخِرةِ فتَمسَّكْ بحبلِ اللَّه، واتَّبِعِ الهُدى، هَذا هو سَبيلُ الفَلاحِ. والفَلاحُ هو: كَثْرةُ الخيرِ ونَيْلُ السَّعادةِ، قَال تَعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، إلىَ قولِه تَعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١]، فَهذِه هِي أسبابُ الفَلاحِ.

فإِذَا كُنتَ تُريدُ الفَلاحَ فَعَليكَ بهَذِهِ الأُمورِ الثَّلاثَةِ:

١- تَمَسَّكْ بِكِتابِ اللَّهِ.

٢- واتَّبِعِ الهُدَى.

٣- وتَجَنَّبِ البِدَعَ.

فإِنْ أَخْللتَ بِواحدةٍ من هَذهِ الثَّلاثِ فإنَّك تخسَرُ وَلا تُفْلِحُ أبدًا، قَال تعالى:

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [المؤمنون: ١٠٢- ١٠٣]، فَضِدُّ الفَلاحِ: هُوَ الخَسَارُ -والعِياذُ باللَّهِ- وَلَمْ يَخسَروا الأَمْوالَ، بلْ خَسِروا أنفسَهم. وكَونُ الإنسانِ يَخسَرُ نفسَه هَذا أشدُّ أنْواعِ الخَسَارِ -والعِياذُ بِاللَّه- ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

وَقولُه: (لَعَلَّكَ):

هذا رَجاءٌ؛ لأن العَقيدة الصَّحيحَةَ ألَّا نَجْزِمَ لأحدٍ بِفلاحٍ إلَّا مَنْ شَهِدَ لَهُ رَسولُ اللَّه ﷺ، أو جَاء في القُرآنِ أنَّه من أهلِ الفَلاحِ، أمَّا مَنْ لَمْ يأتِ فِي الكِتابِ أو السنَّةِ تَعْيينُهُ أنَّهُ من المُفلِحينَ، فَإنَّنا لا نَجزِمُ لَهُ بِالفلاحِ، ولكنْ نَرجُو للمُحْسِنِ، ونَخَاف على المُسِيء، وَأَيْضًا المُسلِمُ لا يَغترُّ بِعَملِه.

فمَعنى قولِه: (لَعَلَّكَ تفْلِحُ): أي: لا تَغْتَرَّ بِعملِكَ، ولكنْ عَليكَ أَنْ تأتيَ بالأعمالِ الصَّالحةِ، وتَرجُو اللَّه أنْ يَجعلَكَ من المُفلِحين، ولا تَعتمِدَ عَلى الرَّجاء فَحَسْبُ بِدُونِ عَملٍ؛ لأنَّ هَذه طَريقةُ الضَّالين، وَهَذا هُو الرَّجاءُ المذمومُ، والرَّجاءُ المَحمودُ هو الذي يَكونُ مَعهُ عَملٌ صَالحٌ، فَتعملُ السَّببَ وَتَرجُو من اللَّه ﷻ.

* * *

٢- وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّه وَالسُّنَنِ الَّتِي
أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّه تَنْجُو وَتَرْبَحُ

الشرح:

قول الناظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَدِنْ): يعني: اتَّبِعْ فِي دِينكَ كِتابَ اللَّهِ، واتَّبِعْ سُنَنَ الرَّسولِ ﷺ، فاجعلْ عملَك مَأخُوذًا مِنْ كِتابِ اللَّه، ومِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ، ليسَ مَأخوذًا عَنِ الأهواءِ والبِدعِ والمُحدَثاتِ.

قولُه: (والسُّنَنِ): جَمعُ سُنةٍ، وهِي طريقةُ الرَّسُولِ ﷺ القَائِلِ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»[1]، أيْ: طَرِيقَتِي.

وَأمَّا عِندَ المُحَدِّثينَ وَفي عِلْمِ مُصطَلَحِ الحَدِيثِ، فالسنَّةُ: هي مَا ثبتَ عن النبيِّ ﷺ من قَولٍ أوْ فِعْلٍ أَوْ تقريرٍ أَوْ صِفَةٍ.

فلَها إطلاقٌ عامٌّ، وهي الطَّريقةُ التي كَان عليها الرَّسُولُ ﷺ.

وإطْلاقُها الخاصُّ هُو تَفصِيلُ المُحدِّثينَ.

وهَذا فِيه أنَّه لابدَّ من الاحتِجاجِ بالسنَّة بعدَ القُرآنِ، فالسنةُ هي المَصدرُ الثَّاني من مَصادِرِ الإسلام بعدَ القُرآن الكَريم.

وأُصُولُ الاسْتدلالِ عند الأُصوليِّينَ منها مَا هُو مُتَّفَقٌ عَليه، ومِنها مَا هُو مُختَلَفٌ فيه، لكنَّ المتَّفق عَليهِ أربعةُ أُصولٍ:

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٧).

الأَصلُ الأوَّلُ: القُرآنُ الكَريمُ.

الأَصلُ الثاني: السُّنَّةُ النَّبويَّةُ؛ لأَنَّها الوحيُ الثَّاني بعدَ القُرآنِ، واللَّه -جلَّ وَعَلا- يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ويقول -جل وعلا-: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، هَذا هو الأَصْلُ الثَّاني، وهُو سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ، وهو ﷺ كَما وصفَه ربُّه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]؛ ولهَذا يَصِفُها العُلماءُ بالوحْي الثَّاني بعدَ القُرآنِ الكَريمِ.

فَما صَحَّ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجب عَلينا أَخْذُه واتِّباعُه والعَملُ به، سَواءً كانَ مُتواتِرًا أو آحَادًا، خِلافًا للمُبتدِعَة الذين يُنكِرونَ السنَّة، ويَقُولونَ: يَكفِينا العَملُ بالقُرآن!

ومِن المعْلومِ والمقرَّر أنَّ العَملَ بالسنَّةِ من العَملِ بالقُرآنِ؛ لأن اللَّه -جلَّ وعَلا- يقولُ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وهَؤلاء يَقُولونَ: يَكفينا القُرآن!

وقال -جلَّ وعَلا-: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وَقَال تَعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

فَهؤُلاء كَذبوا في قَولهِمْ: نَعملُ بالقرآن! فهم لم يَعمَلوا بالقُرآنِ، لمَّا عَطَّلوا السنَّةَ.

وأيضًا فالقُرآنُ فيه مُجمَلاتٌ، والسُّنةُ هي التي تُبيِّنُها وتفصِّلُها، واللَّه -جلَّ

وعلا- يَقولُ لنبيِّه : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فالسنةُ لها ارتِباطٌ وثيقٌ بالقُرآنِ؛ لأنَّها بيانٌ له وتوضِيحٌ، وَهي تفْصِيلٌ لمُجمَلِهِ، وتقْييدٌ لمُطْلَقِهِ. وقد يُنسَخُ القُرآنُ بالسنَّةِ، والسنَّةُ بالقُرآنِ، والقُرآنُ بالقُرآنِ والسنةُ بِالسنَّةِ، فلابدَّ من هذه المطالب العظيمة.

وبهذا يُعلم منزلة السنة من القُرآن ومكانتها في الإسلام.

وَهَؤُلاءِ الذينَ يُعرِضُونَ عَن السنَّةِ قد أَخبرَ عنهم النَّبيُّ ﷺ، وَحذَّرَ منهم؛ فقال: «أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ مُتَّكِئٌ عَلىَ أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَديثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّه ﷻ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ! أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّه مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّه»[1].

وكَذَا قولُه ﷺ: «أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» يعني: السنةَ.

وَقال تَعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فالكتابُ هُو القُرْآنُ، والحِكْمةُ هِي السنَّةُ.

فَالسَّنةُ لابُدَّ مِنها، وَهي الأَصْلُ الثَّاني من أُصُولِ الأَدلَّةِ المُجْمَعِ عَليها.

ولا عِبرَةَ بِخلاف هَؤلاءِ الذينَ يُعرِضونَ عَنها؛ لأَنَّهم إمَّا خَوارجُ، أو جُهَّالٌ، أو مُتَعَالِمُونَ، أو لهم أغْراضٌ سيِّئةٌ يُريدونَ إطفاءَ الدينِ شيئًا فشيئًا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وأحمد (٤/ ١٣١)، وابن حبان (١/ ١٨٨) من حديث المقدام بن معديكرب، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٨٣).

فلا يُعتدَّ بِخِلافِهِم، وَلا يَنظَرُ إلى قَولِهم، بلْ يُؤخَذُ بِالسنَّةِ الصَّحيحَةِ: سواءً فِي الفُروعِ أو فِي الأُصولِ.

ولا يُعتدُّ بقولِهم: أَخبارُ الآحَادِ لا يُؤخَذُ بِها فِي العَقائدِ إنّما يُؤخَذُ بها في الفُروعِ؛ لأنّها أَدِلَّةٌ ظَنِّيَّةٌ!!

نَقولُ: ظنيةٌ عِندَكم، أمَّا عِنْدَ أهلِ الإيمانِ فهي ليستْ ظَنِّيَّةً، بل هي تُفيدُ اليقينَ، مَا دَامتْ صحَّتْ عن رَسُولِ اللَّه ﷺ، فهي تفيدُ العلمَ، وليستْ ظَنِّيَّةً، فيُؤخذُ بِهَا في العَقَائِدِ والمُعاملاتِ، وفِي غيرِهَا.

الأَصْلُ الثَّالثُ: الإجْمَاعُ، ودليلُه قولُه تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقولُه -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ-: «**لَا يَجْمَعُ اللَّه أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ**»[(١)]، فالإجماعُ القَوليُّ حُجَّةٌ قَاطِعةٌ، أمَّا الإجماعُ السُّكوتيُّ فإنَّهُ حُجَّةٌ ظنيَّةٌ؛ لأنَّه قد يَكونُ هُناك مُخالِفٌ ولـمْ يَتبيَّنْ، ولكنْ إذا قَالَ العُلماءُ كلُّهم قولًا وأجمعوا عليهِ، ولم يُخالِفْ فيه أحدٌ، فهو حُجَّةٌ قَاطِعةٌ.

الرَّابعُ: القِياسُ: وهو إلحاقُ الفَرْعِ بالأَصلِ فِي الحُكمِ لِعلَّةٍ تَجمَعُ بينَهما.

وهو مَا يُسمُّونَه «قياس العلَّة»، وقد قَال به جُمهورُ أهلِ العلمِ، وأنكرَه الظَّاهريةُ، وبعضُ الحَنابِلةِ، وطَوائفُ قليلةٌ من أهْلِ العلمِ، ولكنَّ جمهورَ الأمَّةِ

(١) هذا الحديث ورد عن عدد من الصحابة ﷺ، منهم: أبو مالك الأشعري عند أبي داود (٤٢٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٤٠)، وابن عمر عند الترمذي (٢١٦٧)، وقال: (غريب من هذا الوجه)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٠٠)، وأنس عند ابن ماجه (٣٩٥٠).

على القَول بالقِياسِ، وهُو دليلٌ صَحيحٌ إذا توفَّرت شروطُه المَذكورةُ في كُتبِ الأُصولِ.

تَبقَى عدَّةُ أُصولٍ مثلُ: قَولِ الصَّحابِيِّ ومثلُ: استِصْحَابِ الأَصْلِ، هَذه أمورٌ اختَلَفَ العُلماءُ فيها، والخِلافُ فيها قويٌّ.

أمَّا الخِلافُ في القِياسِ فهُو خِلافٌ ضَعيفٌ، والجُمهورُ عَلى الاحتِجاجِ بِالقِياسِ ولكنَّ الإمامَ أحمد يقولُ: (القياسُ يُذهَبُ إِلَيْهِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ)[1]، مثلُ الميتةِ، حيثُ يُذهَبُ إليها عندَ الضَّرورةِ، فإذا وُجِدَ النصُّ في كتابِ اللَّه أو سنَّةِ رسُولِهِ ﷺ فلا حَاجةَ إلى القياس، فإنْ لم يُوجدْ يُذهبُ إلى القِياسِ من بابِ الضَّرورةِ.

فقولُ النَّاظِمِ -رحمه اللَّه تعالى-:

ودِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ والسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّه تَنْجُو وَتَرْبَحُ

يعني: اجعلْ دينَكَ مَأخُوذًا عن كتاب اللَّه ﷻ وسنةِ رسُولهِ ﷺ، وهي الأحاديثُ الصَّحيحةُ، أمَّا ما جاءَ عن غيرهِ: فيُنظرُ فيه، فإنْ وَافق الكِتابَ والسنَّة أُخِذَ به، وإنْ خَالفَ الكِتابَ والسنَّةَ فإنَّه يُردُّ على صَاحِبِهِ. والأئمةُ يُوصونَ بهذا.

يقولُ الإمامُ الشَّافِعيُّ -رحمه اللَّه تعالى-[2]: (إذا خَالفَ قَولي قولَ

---

(١) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص٢٠٤)، والذهبي في «السير» (١٠/ ٧٧).

(٢) انظر أقوال الأئمة في الحث على الأخذ بالحديث ونبذ ما خالفه من الأقوال والآراء في: «قواعد التحديث» للقاسمي (ص٢٧٣) ط. دار الكتب العلمية، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٥)، و«الرد على الأخنائي» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٨٥) ط. المطبعة=

رَسُولِ اللَّه ﷺ فَخُذوا بقولِ رسُولِ اللَّه ﷺ، واضْرِبُوا بقولي عُرْض[1] الحَائِطِ).

ويقولُ الإمامُ مالكٌ -رحمهُ اللَّه تعالى-: (كُلُّنَا رَادٌّ ومَردودٌ عَليه إلَّا صاحبَ هذا القبر).

يعني: رسولَ اللَّه ﷺ؛ لأنَّه كان يُدرِّسُ في المسجد النبوي، فيقول: (إلا صاحب هذا القبر)، فالرسولُ لا يُردُّ عليه أبدًا، وإنما يُقبَل قولُه -عليه الصَّلاة والسَّلامُ-، أمَّا غيرُه فإنْ وافَق الكِتابَ والسنَّةَ أُخِذَ بِهِ وإنْ خالف يُردُّ.

والإمامُ أبو حنيفة وهو أول الأئمة الأربعة -رحمهم اللَّه تعالى- يقول: (إنْ جَاءَ الحَدِيثُ عن رَسولِ اللَّه ﷺ فَعلى الرَّأسِ والعَينِ، وإذَا جَاء الحَديثُ عن أصْحابِ رَسُولِ اللَّه ﷺ فعلى الرَّأسِ والعَينِ، وإذا جَاء الحَدِيثُ عَن التَّابِعينَ فهُم رجالٌ ونحنُ رجالٌ). يعني: الذي جاءَ عن غيرِ اللَّه ورسُولِه وأَصحابِهِ يُنظرُ فيه، ولو كَان مَن جاءَ عنه من أفضلِ النَّاس، ولو كانَ من التَّابعينَ: فإنْ وافقَ الكِتاب والسنةَ أَخذنا به، وإنْ خالفَ تركناه.

وقال الإمامُ أحمدُ -رحمه اللَّه تعالى-: (عَجِبْتُ لقومٍ عَرفوا الإسْنادَ وصحَّته يَذهبونَ لرأي سفيانَ)! [أي: سفيان الثوري الفقيه الإمام الجليل]، قال: واللَّه

= السلفية، و«الصارم المسلول» له (١/ ٣٠٦) ط. دار ابن حزم، بيروت، و«إعلام الموقعين» لابن القيم (٣/ ٢٨٧) ط. دار الجيل، و«تيسير العزيز الحميد» (ص٥٦٣) ط. مكتبة التراث الإسلامي.

(١) عُرْض الحائط: بِضَم العين وسكون الراء المهملتين، أي: جانبه ووسطه، كذا قال الحافظ في «فتح الباري» عند شرحه لحديث أنس أن النبي ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ**» كتاب (٩) مواقيت الصلاة، باب (١١) وقت الظهر عند الزوال رقم (٥٤٠)، (٢/ ٣٠).

تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فلا يَجوزُ أخذُ قول الفقيهِ مَهما بلغَ من الفِقه والعِلْم إلَّا إذا كانَ مبنيًّا على دليلٍ صَحيحٍ، أمَّا إنْ كَان مُخالِفًا للدَّليلِ فلا يُؤخَذُ به؛ لأنه لا قولَ لأحدٍ مع قولِ الرَّسولِ ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

* * *

[عَقِيدَةُ السَّلَفِ فِي كَلَامِ اللَّه ﷻ]

٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيْكِنَا
بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

الشرح:

مِن عَقيدةِ أَهلِ السُّنةِ والجَماعَةِ من الصَّحابةِ والتَّابعينَ ومَن تَبِعَهم: أنَّهم لا يَشُكُّون بأنَّ القُرآنَ كَلامُ اللَّه حَقيقةً، تكلَّم اللَّه به ﷻ وَأوحاه إلى جِبريلَ ﷺ، فسَمعهُ جبريلُ من اللَّه، ونزل بِه إلى محمَّدٍ ﷺ، وبلَّغه مُحمدٌ ﷺ إلى الأُمَّة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].

﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: تكلَّم به ونَزَل من عندِه ﷻ.

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾: وهو جِبْريلُ المُوكَّلُ بالوحْي.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: هَذا خِطابٌ للرَّسُولِ ﷺ بأنه تلقّاهُ عن جبريلَ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾: لغةُ القُرآنِ أنَّه عربيٌّ، وهي أفصحُ اللُّغاتِ.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؛ يَعني: جِبريلَ ﷺ.

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾: وهُو اللَّه ﷻ.

﴿مَكِينٍ﴾: يعني: جِبريلَ ﷺ، أعطاهُ اللَّه قوةً، وأعطَاه اللَّه مَكانةً وقُربًا منه

-جَلَّ وعلا-.

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾: تُطِيعهُ المَلائِكَةُ.

﴿أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩- ٢١]: أمينٌ على وحْي اللَّه ﷻ.

هذه أوصافُ جَبريلَ عليه السلام، فهو أمينٌ على وحْي اللَّه، لا يَزيدُ فيه ولا يَنْقُصُ، وإنما يُبلِّغُه كَما تحمَّله عن اللَّه -جلَّ وعَلا-.

ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾؛ يعني: محمدًا ﷺ، ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]: كَمَا يَقولُه المُشرِكُون، نفَى عنه الجُنونَ.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: أيْ: رَأى جَبريلَ عليه السلام عَلى صُورته المَلَكِية، رَآه فوقَه بِبطحَاءِ مكَّةَ(١).

﴿بِٱلْأُفُقِ﴾ [التكوير: ٢٣]؛ يَعنِي: عَنَانَ السَّماءِ، رآهُ رُؤيةَ عِيَان.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، قال زر بن حبيش في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٩، ١٠]: حدثنا ابن مسعود رضي الله عنه: (أنه رأى جبريلَ له ستمائة جناح)، ورواه مسلم (٢٨٠) (١٧٤)، ورواه البخاري أيضًا (٣٢٣٥) من حديث عائشة قالت: (ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وإنما أتى هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق)، ورواه مسلم (١٧٧) (٢٨٧) (٢٩٠).
قال ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن اللَّه ﷻ على الصورة التي خلقه اللَّه عليها له ستمائة جناح ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾» انظر «تفسير ابن كثير» (٩/ ١٣٠) ط. المنار.

ثم قال -جلَّ وعَلا-: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؛ أي: رأى محمدٌ ﷺ جِبريلَ عَلى صُورتِه مَرةً ثانيةً عند سِدرة المُنْتَهى ليلةَ المِعْراج[١]. فنبيُّنا محمدٌ ﷺ رأى جِبريلَ على صُورتِه التي خَلَقَه اللَّه عَليها مرَّتين: مرةً في مَكَّة، ومرةً في المَلأ الأعْلى عند سِدْرةِ المُنْتَهى، ومَا عدا ذلك فإنَّ جَبريلَ يأْتي إلى محمَّدٍ ﷺ في صُورةِ رَجلٍ، وعِنْدَهُ أَصْحابُه يَرونَه رَجُلًا؛ لأنَّهم لا يُطيقُونَ رُؤيتَه عَلى صُورتِه المَلَكيَّةِ.

فَهذا توثيقٌ لسندِ القُرآنِ الكَريمِ، أنَّه تلقَّته أمةُ مُحمَّدٍ ﷺ عن محمَّدٍ عَن جَبريلَ عن اللَّه ﷻ، فهُو كَلامُ اللَّه.

وأمَّا إضَافتُه إلى المَلَك في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]، وإضَافتُه إلى محمَّدٍ ﷺ في قَولِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠- ٤١] فَهِي إضَافةُ تَبليغٍ، فَمحمَّدٌ ﷺ وجِبريلُ ﵇ كِلاهُما مُتحمِّلٌ ومبلِّغٌ لكَلامِ اللَّه.

والكَلامُ إنَّما يُضافُ إلى مَن قالَه مُبتدِئًا، لا إلى مَن قالَه مُبلِّغًا مُؤدِّيًا[٢]؛ لأنَّه

---

(١) روى مسلم (١٧٤) (٢٨٠) في الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى: قال زر بن حبيش عن ابن مسعود ﵁: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: رأى جبريل ﵇ له ستمائة جناح.
وروى أحمد حديث ابن مسعود مرفوعًا (١/ ٤٦٠) قال ابن مسعود في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾»: قال رسول اللَّه ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، يَنْتَثِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاوِيلُ: الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ». قال ابن كثير: إسناده جيد قوي.
ورواه أحمد (١/ ٤٠٧) من طريق أخرى مرفوعًا بلفظ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ». قال ابن كثير: إسناده جيد.
(٢) انظر: الواسطية (ص١٣٦) بشرح المؤلف -حفظه الله-، ط. مكتبة المعارف بالرياض.

لا يُمكِنُ أنْ يكونَ الكَلامُ من ثلاثةٍ، فاللَّه أخبرَ أنَّه كلامُه. وأضَافَه إلى الرَّسُولِ المَلَكي، وإلى الرَّسُول البَشَري من باب إضافةِ التَّبلِيغِ فَحَسْب، وهو كَلامُ اللَّه ابتداءً، وهُو كلامُ جِبريلَ ومحمَّدٍ ﷺ تبلِيغًا عن اللَّه ﷻ.

لا يَشكُّ المُسلِمونَ فِي هَذا، أنَّه كَلامُ اللَّه، منزَّلٌ غيرُ مَخلوقٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١]، وقال تعالى: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

واللَّه -جَلَّ وعَلا- وَصَفه بأنَّه كلامُه، فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، فوصَفَه بأنَّه كلامُه، وأنَّه هو الذي أنزَله.

أَمَّا الأشاعِرةُ فيَقولونَ: إنَّه مَكْتُوبٌ في اللَّوحِ المَحْفوظِ، وإنَّ جِبَريلَ أخذه من اللَّوح المَحْفوظِ، ونَزلَ به عَلى مُحَمَّدٍ ﷺ!

وهَذا قولٌ بَاطِلٌ؛ فإنَّ جِبْريلَ لَمْ يأخُذْه عَن اللَّوحِ المَحْفُوظِ، وإنَّما أخذَه عن اللَّه ﷻ، نعمْ هو مَكتوبٌ في اللَّوحِ المَحْفوظِ، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١- ٢٢]، ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، يعني: القُرآنَ، فهو مَكتوبٌ في اللَّوحِ بلا شكٍّ، ولكنَّ جِبريلَ لم يأخذْه عن اللَّوحِ -كما تقولُه الأشَاعرةُ- وإنَّما أخذه عن اللَّه -جلَّ وعَلا- فينبغي معرفةُ هذا؛ لأنَّ هذا مذكورٌ في عَقائِد الأشاعرةِ، وقد ردَّ الشيخُ محمدُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا القولِ في رسالةٍ مطبوعةٍ -وهي أيضًا مع فتاواه-

سمَّاها: «الجَوابُ الوَاضِحُ المُسْتقِيمُ فِي كَيفيَّةِ نُزولِ القُرآنِ الكَريم»(١)، ردَّ على هذا القَولِ وأَبْطَلهُ؛ لأنَّ القولَ: بأنَّه أخذَه من اللَّوح المَحفوظِ وَسيلةٌ إلى أنَّ اللَّه خلقَه في اللَّوحِ المَحفُوظِ، كمَا تقُولُهُ الجَهْمِيَّةُ، فهَذا مأخوذٌ من قول الجَهميَّةِ، وهو قولٌ باطلٌ يجبُ التَّنبيهُ عَليهِ.

واللَّهُ -جلَّ وعَلا- من صفاتِه الفِعليَّةِ أنَّه يتكلَّمُ؛ كمَا أنَّه يَخلُقُ ويَرْزُقُ ويُحْيي ويُميتُ ويُدبِّرَ وَيشاءَ ويُريدُ، فهُو ﷻ يتكلَّم كَلامًا يليقُ بجَلاله كسَائر صِفاتِه، يتكلَّمُ متَى شاءُ بمَا شاءَ إذا شاءَ.

وكَلامُه قَديمُ النَّوعِ حَادثُ الآحادِ، بمعْنى: أنه يتكلَّمُ إذا شاءَ: يَتكلَّمُ بالقُرآنِ وقتَ نُزولِه، ويُكلِّم جِبريلَ، وكلَّم مُوسى، وكلَّم نبيَّنَا محمَّدًا ﷺ ليلةَ الإسْراءِ، وقبلَ ذلك كلَّم آدمَ ﵇، ويتكلَّمُ يومَ القِيامَة، فيُحاسِبُ النَّاسَ، ويُكلِّم المُؤمنينَ في الجنَّةِ ويُكلِّمونَه، فهو يتكلَّم بكَلامٍ قَدِيمِ النَّوعِ لا بِدايَةَ له كَسائِرِ صِفاته، حَادثِ الآحَادِ.

وسائِرُ الكُتبِ المُنزَّلةِ عَلى الأنْبياءِ كلُّها كَلامُ اللَّه -جلَّ وعَلا- ومنْها القُرآنُ الكَريمُ، الذي هُو أعظَمُها، الذي جعلَه اللَّهُ مُهيمِنًا عَليْها، فهُو كَلامُه -جلَّ وعَلا- حَقِيقةً لا مَجازًا، مُنَزَّلٌ منْه غيرُ مَخلوقٍ. هَذا مَذهبُ أهلِ السنَّةِ والجَماعةِ، ويُصرِّحونَ بهَذا.

والُمسلِمونَ في زمنِ الصَّحابة ليس عنْدهم شَكٌّ فِي هَذا، وإنَّما لمَّا ظَهرتِ

---

(١) انظر: مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٤٩) رقم (١٥٩) وهي ردٌّ على السيوطي في كتابه «الإتقان».

الجَهْميَّةُ وقَالوا: القُرآنُ مَخلوقٌ، وكَذلكَ لمَّا ظَهرتِ المُعتزِلَةُ والأشاعِرةُ ومُشتقَّاتُهم، ردَّ عليْهم أَهلُ السنَّة وبيَّنوا أنَّ القُرآنَ مُنزَّلٌ غيرُ مَخلوقٍ، إبْطالًا لقولِهم؛ لأنَّه إذا قِيلَ: إنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ، فمَعناه أنَّ اللَّهَ لا يَتكلَّم، والذي لايَتكلَّم لا يَكونُ إلهًا؛ كَما قال إبراهيمُ عليه السلام لأبيهِ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢]، فالَّذِي لا يَسمعُ ولَا يُبصِرُ جَمادٌ، وفِي الآيةِ الأُخرى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، لا يُكلِّمهمُ لأنه جَمادٌ، فدلَّ عَلى أنَّ الذي لا يَتكلَّمُ ليسَ بإلهٍ؛ وكَما قالَ في الآيةِ الأُخرى: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾، يعني: لا يكلمهم ﴿وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ [طه: ٨٨- ٨٩]. و(أَنْ) هَذه ليْستِ المَصدريَّةُ، بَل هِي المُخفَّفةُ مِن الثَّقيلةِ، والأصْلُ (أنَّهُ لَا يَرجعُ)، ولذلك صَار الفعلُ مَرفوعًا بعدَها.

فالحَاصِلُ: أنَّ الذي لا يتكلَّم لا يَصلُح للرُّبوبيَّةِ والإلهيَّةِ؛ لأنَّه نَاقِصٌ، كيفَ يَأمُرُ، وكيفَ ينْهى، وكيفَ يُدبِّرُ وهُو لا يتكلَّم؟! هَذا تَعجيزٌ للَّهِ عز وجل واللَّه -جَلَّ وعَلا- يقولُ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، ويقول: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ [لقمان: ٢٧]، فكَلِماتُ اللَّه التِي يَأمرُ بِهَا وينْهَى ويُدبِّر -دَائِمًا وأبدًا- لا تُحْصَى ولا تكتُبها البِحارُ وأَقْلامُ الدُّنيا.

والجَهميةُ يقولونَ: كَلامُ اللَّهِ مَخلوقٌ!

فهَذا فيهِ وصفُ اللَّهِ بالعَجزِ، وأنَّه لا يتكلَّمُ ولا يَأمرُ ولا ينْهَى.

وفيه -أيضًا- أنَّ هَذا القُرآنَ ليسَ كَلامَ اللَّه.

مَع أنَّ القُرآنَ هو الأصْلُ الأوَّلُ من أُصُولِ الأدلَّةِ، فإذا كانَ ليسَ كَلامَ اللَّه فكَيفَ يُستَدلُّ به؟!

وهِي دَسيسةٌ يَهوديَّةٌ؛ لأنَّ أصلَ مَذهبِ الجَهميَّةِ مَأخوذٌ عَن اليَهودِ؛ كمَا ذكرَ شَيخُ الإسلام -رحمه اللَّه تعالى- فِي رسالتِه الحَمويَّةِ[1]. أنَّه مَأخوذٌ عن اليَهودِ.

ولَيسَ هَذا بغَريبٍ عَلى اليَهودِ -لعنَهم اللَّه- الذين حرَّفُوا كَلامَ اللَّهِ وبدَّلُوا وغيَّروا، فهَذه دَسِيسةٌ من اليهَودِ ليُبطِلوا القُرآنَ الذي بأيدي المُسلمينَ، فهذا مَذهبٌ خَبيثٌ؛ ولهَذا انبرَى الأئمةُ إلى ردِّه وإبطَالهِ، وبيانِ أنَّه زيفٌ مَدسوسٌ.

أمَّا مَن يَقولُ: إنَّ مسألةَ القَولِ بخَلْقِ القُرآنِ لا تَحتاجُ إلىَ هذا الاهتِمامِ؛ لأنَّها من فُضولِ الكَلامِ -كَما يَقولُه بَعضُ المتُحذْلِقينَ من الكتَّابِ المُعاصِرينَ، ومَن يتسمَّى بالعلم -فهَذا قولٌ باطلٌ، وهَذا تَهوينٌ من مَسألةٍ خَطِيرةٍ لا يَنبغِي التسَاهُلُ فِيها، فليسَ هِي من فُضُولِ الكَلامِ.

وهَذا الكَلامُ تَسفِيهٌ للأئمِة الذينَ اهتمُّوا بردِّها، وَعُذِّبَ مَن عُذِّب بِسَببِها كالإمامِ أحمدَ، وَقُتلَ مَن قُتلَ منْهم فِي ردِّها، ثم يأتي مَن يَقولُ: هَذِهِ مَسألةٌ تافِهةٌ ولا تتحمَّل كلَّ هَذا!

فَهَذا إمَّا أنْ يكونَ جَاهِلًا لا يَدرِي عَن شَيءٍ، وإمَّا أنَّه مُتجاهِلٌ مُبطِلٌ يُريدُ ألا يُردَّ عَلى الجَهميَّة والمُعتزِلةِ والأشَاعرةِ.

وبَعضُهم يَقولُ: النَّاسُ أَحْرارٌ، لا تَحجُروا عَليهم حُرِّيةَ القَولِ وحُرِّيَّةَ الكَلمةِ!

---

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٣٢-٢٣٥) ط. دار الصميعي.

يعني: لا تردُّوا الباطلَ، ولا تُبيِّنوا الحقَّ، كلٌّ له كَلامُه، وكلٌّ له قولُه! فعَلى هَذا تكونُ الدُّنيا فَوْضى.

فَينبغِي التَفَطُّنُ لهَذهِ الدَّسائِسِ، وهَذه الشُّرورِ التي تُحاكُ ضِدَّ المُسلمِين.

قولُ النَّاظِمِ -رحمه اللَّه تعالى-: (وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ): هَذا ردٌّ على الجَهميَّةِ ومَن قَال بقَولهم.

وقولُه: (كَلامُ مَلِيكِنَا): المَليكُ هو المَلِكُ، واللَّهُ -جَلَّ وَعَلا- هو المَلِك، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] فاللَّه -جلَّ وعَلا- هو مَالِكُ المُلكِ، وأمَّا المُلوكُ من بَنِي آدمَ فإنَّما مُلكُهم عَارِيةٌ: يُؤتِيها اللَّهُ مَنْ يَشاءُ مِنْهم، ثُمَّ يَنْزِعُها مِنهم ويُعطِيها للآخر، فهُو من بابِ التَّداوُلِ.

أمَّا المُلكُ الثَّابتُ الدَّائمُ الذي لا يَزولُ فهُو مُلكُ اللَّهِ -جَلَّ وعَلا- وحِينَ تقُومُ السَّاعةُ يقولُ اللَّهُ -جَلَّ وعَلا-: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾: فَلا أحَدَ يُجِيبُ، ولا أَحَدَ يتكلَّم، فلَو كَان لأحدٍ دَعوى لَقالَ: المُلكُ لي، ثُمَّ يُجِيبُ اللَّهُ -جَلَّ وعَلا- نفسَه فيقولُ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وَلا أحدَ يُعارِضُ فِي هَذا، فالمُلكُ للَّهِ -جَلَّ وعَلا- وإنَّما يَهَبُ مَن يشاءُ شَيئًا مِن المُلكِ مدَّةً محدَّدةً، ثم إمَّا أَنْ يَموتَ، أَو يُؤخذُ منهُ المُلكُ ويُنزَعُ بالقوَّةِ.

قولُ النَّاظِمِ -رحمه اللَّه تعالى-: (بِذَلِكَ): أي: بأنَّ القُرآنَ غيرُ مَخلوقٍ.

قولُه: (دَانَ الأَتْقِياءُ): يَعنِي: اعتقدَ الأتقياءُ مِن الأئمةِ هَذا القَولَ.

قولُه: (وَأَفْصَحُوا): أي: أظهَروهُ للنَّاسِ، وقَالوا: القُرآنُ مُنزَّلٌ غيرُ مَخلوقٍ. لم يَسْكُتُوا ويقولوا: هَذه آراءٌ، وتَركوا النَّاس، عَلى حريَّةِ الكَلِمةِ، وحُرِّيَّةِ الرَّأي، بلْ إنَّهم أفصَحوا غايَةَ الإفْصاحِ، ونَاظَروا وجَادَلوا، وألَّفُوا وكتَبوا في ردِّ هَذا القَولِ؛ لخُطورتِهِ وشَناعَتِه، ولِما فيهِ من تَنقُّصٍ للَّهِ ﷻ فلا يَسعُ أهلَ العلمِ أنْ يسْكُتوا عنْ هَذا القَولِ أو يَتَساهَلوا فِيهِ.

* * *

[قَوْلُ الوَاقِفَةِ فِي القُرْآنِ]

٤- وَلَا تَكُ فِي القُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا
كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

الشرح:

قَولُ النَّاظِمِ -رحمه اللَّه تعالى- «وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَاقْفِ قَائِلًا»:

مِن الجَهميَّةِ من يُصرِّح بأنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ، وهُم رءوسُ الجَهميَّة.

ومنهم مَنْ يقول: أنَا لا أقُولُ مَخلوقٌ أو غَيرُ مَخلوقٍ، بل أتوقَّف!

وهَذا شَيطانٌ أخرسُ؛ لأنَّه إذا توقَّفَ توهَّم النَّاسُ أنَّ القرآنَ مَخلوقٌ، فلابدَّ من البَيان، فَإذا قَالوا: مَخْلُوقٌ، فلا تَتوقَّفْ؛ لأنَّ مَعنَى ذلكَ أنَّكَ تُؤَيِّدُهم ولكنَّكَ لا تُصرِّحُ، فَلا يَجوزُ التوقُّفُ فِي هَذا.

وَهَذا مَذهبُ الوَاقِفةِ الذينَ لا يَقولُونَ: مَخلوقٌ أَو غَيرُ مَخلوقٍ، وَهَذا مَعناهُ كتمانُ بَيانِ الحَقِّ، ويُعطي احتمَالًا لقولِ الجَهميَّة أنَّهُ صَحِيحٌ، حَيثُ لمْ يُرَدّ ولم يُفضَحْ ولمْ يُكشَفْ.

فالذي يشكُّ في أنَّ القُرآنَ هَلْ هُو مَخلوقٌ أو غَيرُ مَخلوقٍ ويَتوقَّفُ، هَذا جَهمَيٌّ، وإلَّا لو كَانَ ليسَ جَهمِيًا لصرَّحَ، وَقال: القُرآنُ غيرُ مَخلوقٍ. ولكنَّه يتستَّرُ بالتوقُّفِ.

وَهَذا فِي الحَقيقَةِ أَخْبثُ من الجَهميَّةِ؛ لأنَّهم صَرَّحُوا وعُرِفَ مَذْهبُهُم، أمَّا

هَذا فَهُو يَخدَعُ النَّاسَ في أَنَّهُ مُتورِّعٌ، ولا يَقدِرُ عَلى القَولِ بِهَذا الأَمرِ. فلا يَكفِي التوقُّفُ، بل لا بدَّ مِن التَّصرِيح بِبُطلانِ هَذا القَول.

قولُه: (كَما قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا):

جَعلهُم مِن أَتباعِ الجَهميَّة؛ لأنَّهم لوْ لم يَكُونُوا مِن أَتباعِ الجَهميَّة لمَا تَوقَّفوا، بَلْ يَردُّون عَليهِم ويُصرِّحُون بِذلك؛ وكَأنَّ الجَهميَّةَ لمَّا رَأَوْا أَنَّ النَّاسَ لا يُوافِقُونَهم عَلى قَولهِم لجئُوا إلى هَذه الحِيلةِ؛ ليَسْتُروا بِها باطِلَهم؛ ولهَذا لمَّا سُئل الإمَامُ أحمَدُ عَن التوقُّف قَال: لَوْ كَان هَذا قَبلَ أَنْ تَقولَ الجَهمِيَّةُ مَا قَالتْ كُنَّا نَتوقَّفُ، أمَّا بَعدَمَا قَالوا قَولتَهم الشَّنيعةَ فلابدَّ من التَّصريحِ بِبُطلانِها وَردِّها.

هذا مَعنى مَا قال الإمامُ أحمدُ في مَسألةِ التوقُّفِ عَن القولِ بخَلقِ القُرآنِ.

قَولُه: (وَأَسْجَحُوا)[1]: الإسْجَاحُ هُو التَّساهُلُ واللِّينُ؛ يَعنِي: تَساهَلُوا.

وفي بعضِ النُّسخِ: (وأَسْمَحُوا): مِن السَّماحِ؛ يعنِي: سَمَحُوا لهَذا، وسَواءٌ أَسْجَحُوا أَوْ أسمَحُوا، فمَعناه: أنَّهم لم يُنكِروا، وإنَّما لانُوا مَع قَولِ الجَهميَّةِ ولم يُنكِروا عَليهِم، بلْ تَوقَّفوا في هَذهِ المَسأَلةِ.

* * *

(١) قال ابنُ الأثير في «النهاية» (٢/ ٣٤٢): في حديث عليٍّ يُحرِّضُ أصحابه على القِتَالِ: وامشُوا إلى المَوت مِشيةً سُجُحًا أو سَجْحاء، السُّجُح: السَّهلة، والسَّجْحاء تأنيث الأسجَح، وهو السَّهْل، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: (قالت لعلي يوم الجَمل حين ظَهَرَ: مَلكتَ فأَسْجِح)، أي: قدَرْت فسهِّل وأحْسن العفوَ. هو مَثَلٌ سائر، ومنه حديث ابن الأكوع في غزوة ذي قَرَد: (ملكتَ فأسْجح).

٥- وَلَا تَقُلِ الْقُرَآنُ خَلْقًا قِرَاءَةً
فَإِنَّ كَلَامَ اللَّه بِاللفْظِ يُوضَحُ

الشرح:

وَهَذَا مَذهبٌ ثالثٌ فِي هَذهِ المَسأَلَةِ.

المَذْهَبُ الأَوَّلُ: التَّصرِيحُ بِأَنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ.

المَذْهَبُ الثَّانِي: التَّوقُّفُ، فَلا يُقالُ: مَخْلوقٌ أَو غيرُ مَخلوقٍ.

القَولُ الثَّالثُ: يَقُولونَ: اللَّفظُ بِالقُرآنِ مَخْلوق، فيَقولُ قَائِلُهُم: لفظِي بالقُرآنِ مَخلوقٌ!

وهَذا في الحَقيقةِ احتيالٌ عَلى القَولِ بخَلقِ القُرآنِ، فَلا يَجوزُ لك أنْ تَقولَ: لفظِي بِالقرآن مَخلوقٌ، ولا يَجوزُ لك أَنْ تقولَ: غيرُ مَخلوقٍ. بَل لا بدَّ من التَّفصِيل، إنْ قلتَ: لفظِي بِالقُرآنِ مَخلوقٌ ولم تُفَصِّلْ؛ فهَذا مَذهبُ الجَهميَّةِ، وإنْ قلتَ: لَفظِي بالقُرآنِ غيرُ مَخلوقٍ، فهَذا -أيضًا- تأييدٌ لقَولِ الجَهميَّة؛ لأنَّك إذا قلتَ: لفظِي بالقُرآنِ غيرُ مَخلوقٍ، فأنتَ أَدخلتَ أفعالك مَع أَفعالِ اللَّهِ، وجعلتَ فعلَك غيرَ مَخلوقٍ، وهذا مذهبُ القدريَّةِ الذين يَنفُونَ القدرَ، ويَجعلونَ العِبادَ هم الذين يَبتكِرونَ أفعالهَم ويَخلُقونَها.

فلا بدَّ من التَّفصِيل بأنْ تقولَ: ماذا تُريدُ بقولِكَ: لفظِي بالقُرآنِ، هل تُريدُ التلفُّظَ والصَّوتَ، أو تُريدُ المَلفوظَ به؟

- فإنْ كُنتَ تُريدُ المَلفوظَ به فهوَ غَيرُ مَخلوقٍ، إنَّما المَلفوظُ بِهِ هُو كَلامُ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-.

- أمَّا إذا أردتَ به التلفُّظَ الذي تَنطِقُه بلسانِك فهَذا مَخلوقٌ، فلسانُك مَخلوقٌ، وَصوتُك مَخلوقٌ، ولفظُك مَخلوقٌ. ولكنَّ المَلفوظَ به المؤدَّى باللَّفظ، هذا غيرُ مخلوقٍ. فلابدَّ من التَّفصِيل.

هم يُريدونَ الإجْمالَ، بأنْ تقولَ: لفظِي بالقُرآن مَخلوقٌ، أَو تقولَ: غيرُ مَخلوقٍ. فيَدخلونَ مِن هَذه الحِيلَة. فلابدَّ أنْ تُفصِّل؛ لتقطعَ عليهمُ الطَّريقَ.

ولهَذا يَقولُ أهلُ السنَّةِ: الصَّوتُ صَوتُ القَارِي، والكَلامُ كَلامُ البَاري؛ أي: المَلفوظُ بِهِ كَلامُ اللَّه، وأمَّا اللَّفظُ والأدَاءُ فَهو كَلامُ المَخلوقِ، صَوتُه مَخلوقٌ، ونُطقُه مَخلوقٌ؛ ولهَذا تَختِلفُ القِراءاتُ والأصْواتُ، بعضُها حَسنٌ، وبَعضُها غيرُ حَسنٍ، وبُعضُها جيِّدٌ، وبَعضُها غيرُ جَيِّدٍ، فَهذا دليلٌ على أنَّ الصَّوتَ مَخلوقٌ.

والقرَّاءُ يَختلِفونَ: بعضُهم يُعطَى صَوتًا حَسنًا، وبَعضُهم يُعطَى دُونَ ذَلك، أمَّا كَلامُ اللَّهِ -جلَّ وَعَلا- فإنَّه لابدَّ أنْ يَكونَ فِي غايَةِ الكَمالِ.

ومَا كَان يَنبغِي الدُّخولُ في هَذا، ولكنْ هم الذين أَلجَئُوا المُسلِمينَ إلى هَذا الشَّيءِ، فلابدَّ من كَشفِه وبَيانِه، فَهِي مُصِيبةٌ في الحَقيقةِ، ولولا أنَّ اللَّهَ قيَّضَ لها الأَئِمةَ لِيُبيِّنوهَا لالتَبسَ عَلى كَثيرٍ من النَّاسِ هَذا الأمرُ.

فَمَذاهِبُهم إذن ثَلاثَةٌ:

الأوَّلُ: مَذهبُ الجَهميَّةِ القَائِلينِ بخلقِ القُرآنِ.

الثَّانِي: مَذهبُ الوَاقِفةِ.

الثَّالثُ: مَذهبُ اللَّفظِيَّةِ، الذين يَقولون: لَفظي بِالقُرآنِ مَخلوقٌ أو غيرُ مَخلوقٍ.

فنقول لهم: لابدَّ من التَّفصِيلِ: فإنْ كُنْتُمْ تُريدونَ التلفُّظَ بالصَّوتِ فهَذا مَخلوقٌ، وإنْ كُنتم تُريدُونَ المَلفوظَ به والمَتلوَّ فإنَّه كَلامُ اللَّهِ غيرُ مَخلوقٍ؛ ولهَذا جَاء فِي الحديثِ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»[1]، فيُطلَبُ مِن القَارئِ أَنْ يُحسِّنَ صَوتَه بِالقُرآنِ، وَكَان ﷺ يُعجِبه الصَّوتُ الحَسَنُ بِالقُرآنِ: كَان يَستمعُ إلى أَبي مُوسَى الأشْعرِيِّ ﷺ، وهُو يُصَلِّي باللَّيلِ؛ لأنَّ اللَّهَ أَعطاهُ صَوتًا حَسنًا، فكَانَ النبيُّ ﷺ يَتسمَّعُ له[2]، وأمرَ عبدَ اللَّهِ بن مَسعودٍ ﷺ أَنْ يَقرأ عَليهِ وَهُو يَسمعُ، وَقالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»[3]، فقرأَ عَليهِ أَوَّلَ سُورةِ النِّساءِ، فهُو ﷺ يُحِبُّ الصَّوتَ الحَسَنَ بالقُرآنِ، والصَّوتُ الحَسَنُ نِعمةٌ من اللَّهِ ﷻ.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٨)، والنسائي في «المجتبى» (٢/ ١٧٩)، وابن ماجه (١٣٤٢)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٥٣)، والدارمي (٢/ ٥٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٦، ٧٦٢)، وأبو يعلى في «المسند» (٣/ ٢٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٢٣٦) (٧٩٣) من حديث أبي بردة عن أبي موسى ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٢٤٨) (٨٠٠) من حديث عبد اللَّه بن مسعود ﷺ.

[رُؤْيَةُ اللَّهِ ﷻ]

٦- وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّه لِلخَلْقِ جَهْرَةً
كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخفَى وَرَبُّك أَوْضَحُ

الشرح:

تمهيد:

هَذهِ مَسألةُ رُؤيةِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-، هَل الخَلقُ يَرونَ اللَّهَ أَو لا يَرونَه؟

الجَهميةُ والمُعتزلةُ كلُّهم يَنفونَ الرُّؤيةَ، ويَقولونَ: إنَّ اللَّهَ لا يُرى؛ لأنَّ الرُّؤيةَ للأجسامِ، ويَقولونَ: اللَّهُ غيرُ جسمٍ، فهُو لا يُرى! فيَنفونَ الرُّؤيةَ بتاتًا فِي الدُّنيا وَفي الآخِرةِ، نَسألُ اللَّهَ العَافيةَ.

وَهُناكَ قومٌ يَقولونَ: إنَّ اللَّهَ يُرى فِي الدُّنيا وفي الآخِرةِ. وهَذا قولُ بَعضِ الصُّوفيةِ.

وَالقَولُ الثَّالثُ -وهُو القَولُ الحَقُّ-: أنَّ اللَّهَ -جَلَّ وعَلا- يُرى في الآخرةِ، يَراهُ أهلُ الجنَّةِ، كَمَا تواترتْ بِذلكَ الأحاديثُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ[1]، وأمَّا في

---

(١) **قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية»** (ص٢١٧)، ط. الرسالة: «وقد روى أحاديثَ الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، ومن أحاط بها معرفةً يقطع بأن الرسول ﷺ قالها . . .» اهـ.
وقال أيضًا (ص٢١٥): «وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن».
وانظر التعليق التالي (ص٨١).

الدُّنيا فإنَّه لا يُرى؛ لأنَّ النَّاسَ لا يُطيقونَ رُؤيَتَه -سُبحانَه- فِي الدُّنيا، ولمَّا طَلَبَ مُوسَى عليه السلام رُؤيةَ اللَّهِ -سُبحانَه- في الدُّنيا: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، الجبلُ الصلبُ صَار تُرابًا من عَظَمةِ اللَّهِ عز وجل فكَيفَ يُطِيقُ الآدميُّ رُؤيةَ اللَّهِ؟! هَذا فِي الدُّنيا.

أمَّا في الآخِرةِ فإنَّ اللَّهَ يُعطِي أهلَ الجنةِ قُوَّةً يَستطيعونَ بها أنْ يَروا ربَّهم عز وجل إكْرامًا لهم. لمّا آمَنُوا بِهِ في الدُّنيا وَلم يَروْهُ أكرمَهم اللَّهُ، فتجلَّى لهمْ في الجنَّةِ لِيتلذَّذُوا بِرؤْيتِه؛ كَمَا دلَّ عَلى ذَلكَ القُرآنُ والسنَّةُ المُتواتِرةُ.

وَأَمَّا الكُفَّارُ فلمَّا لم يُؤمِنُوا به فِي الدُّنيا حَجَبَهم اللَّهُ عَن رُؤيتِه يومَ القِيامةِ، قَال تَعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فَإذا كانَ الكُفَّارُ مَحجوبِينَ عَن رُؤيةِ اللَّهِ، فهَذا يُفهَمُ منه أنَّ المُؤمِنينَ لا يُحجَبونَ عَن رُؤيةِ ربِّهم، وإلَّا كانَ الكفَّارُ والمؤْمِنونَ سَواءً في الآخِرةِ، واللَّهُ فرَّقَ بينهُم، وأكرمَ المُؤمِنينَ بأنَّه يتجلَّى لهم؛ أي: يَظهرُ لهم عز وجل كَما يَليقُ بِجلَالِهِ، فيَرونَه عَيانًا بأبصارِهم لا يُضامُّون في رُؤيتِهِ ولا يَتضامُّون؛ يَعني: لا يَتزاحَمونَ لِرؤْيتِه، يَرونَه عَيانًا بِأبصارِهِم، كَما يَرونَ الشَّمسَ صَحْوًا ليسَ دُونَها سَحابٌ، وكَما يَرون القمرَ ليلةَ البدرِ، وهَذا تَشبيهٌ للرُّؤيةِ بالرُّؤيةِ لا المَرْئِيِّ بالمَرئِيِّ؛ كَما صحَّتْ بذلك الأحاديثُ عن رَسولِ اللَّهِ ﷺ.

هَذا مَذهبُ أهلِ السنَّةِ والجَماعةِ في رُؤيةِ اللَّهِ عز وجل.

واللَّهُ -جلَّ وعَلا- يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]،

الحُسنَى هِي: الجنَّةُ، والزِّيادةُ هِيَ: النَّظرُ إلى وجهِ اللَّهِ؛ كَما في صَحيحِ مُسلمٍ[١].

وكَما قَال تَعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ [ق: ٣٥]، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾: في الجنَّةِ، ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾: وهو رُؤيةُ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-.

وكَما فِي قولِه تَعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] مِن النُّضْرَةِ وهِي البَهجةُ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٣] بأَبصارِها؛ لأنَّ النظرَ إذا عُدِّي بِ (إلى) فمَعناهُ: المُعاينةُ بالبَصرِ، وإذا عُدِّيَ بِنفسِه (يَنْظُرونَ) فمَعنَاهُ: التوقُّف والانتِظار، وَإذا عُدِّي بِ (في)؛ كَما في قولِه تَعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، فمَعناه: التفكُّرُ والاعتِبار.

فتلخَّص مِن هَذا أنَّ النَّظرَ:

١- إِنْ عُدِّي بنفسه فمَعناه: الانتِظارُ.

٢- وَإِنْ عَدِّي بـ (فِي) فمَعنَاه: التفكُّرُ والاعتِبارُ.

٣- وَإِنْ عُدِّي بـ (إلى) فمَعنَاه: المُعاينةُ بِالأبْصَار[٢].

هَذه هِي القَاعدةُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٧) (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٢) انظر مبحث تعدي النظر بـ(في) و(إلى) ومعناه في «شرح ابن أبي العز على الطحاوية» (ص٢٠٩). وقال قبلها: «وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة (إلى) الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه صريح في أن اللَّه أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله». اهـ

والآيةُ التي مَعنا مُعدَّاةٌ بـ (إلى): ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: فهَذا مُعانيةٌ بالأبْصار.

وأمَّا قولُه تَعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فَالإدراكُ غيرُ الرُّؤيةِ، أنتَ تَرى الشَّمسَ وتُبصِرُها، ولكنْ لا تُدركُها؛ يعني: لا تُحِيطُ بِها، فَلا تُحيطُ بالمَرْئِيِّ من كلِّ جانبٍ، وإنَّمَا تَراه. فالمُؤمِنونَ يَرون ربَّهم يومَ القِيامَةِ، ولكنْ لا يُدرِكُونَه؛ أي: لا يُدرِكُونَ عَظمتَه -جلَّ وعَلا-، وَلا يُحِيطونَ به عِلمًا.

وأنتَ تَرى الشَّمسَ، ولكنْ لا تُحِيطُ بِجِرْمِها وحُدودِها، وهَذا فِي المَخْلُوقِ، فكَيفَ بالخَالقِ ﷻ؟! فنَفْيُ الإدْراكِ غَيرُ نفيِ الرُّؤيةِ، بل قَالوا: إنَّ نَفيَ الإدراكِ يَدلُّ عَلى أنَّه يُرى، ولكنَّه لا يُدْركُ؛ يعنِي: لا يُحاطُ به ﷻ.

وقولُ اللَّهِ لمُوسَى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ليسَ مَعناه النفيُ المُؤبَّدُ، بل ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾: يَعنِي: فِي الدُّنيا، بِدليلِ أنَّ الرُّؤيةَ ثَبتتْ فِي الآخِرةِ.

وأهلُ اللُّغةِ يَقولونَ: إنَ كَلِمةَ (لَنْ) ليستْ للنَّفْيِ المُؤبَّدِ، وإنَّما هِي للنَّفيِ المُؤقَّتِ.

وقولُ النَّاظِمِ -رحمه اللَّه تعالى-: (يَتَجَلىَّ): يَعني يَظْهَر ﷻ ويَكشِفُ الحِجابَ عنه -جلَّ وعَلا-.

وقولُه -رحمه اللَّه تعالى-: (كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى): هذا مَأخوذٌ من قَولِ النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»[1]، ليلةُ البدرِ هِي: لَيلةُ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
ورواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «هَلْ=

الخَامسَ عَشرَ أَو الرَّابعَ عشرَ، وَهِي ليالي الإبْدارِ، وَفِيها تَمامُ القمرِ؛ لأنَّ القمرَ يُهِلُّ أولَ الشَّهرِ ضَعِيفًا، ثم يَزيدُ إِلى أَنْ يَتكاملَ في لَيالي الإبْدارِ، ثم يَأخذُ فِي النَّقصِ إلى أنْ يَصِيرَ هِلالًا، قَالَ تَعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، العُرْجُونُ: هو عِذْقُ النَّخلةِ الذي تَرونَهُ مُنحنيًا إذا يَبِسَ، فَالهلالُ يَكونُ عَلى شَكْلِ العُرجُونِ القَديمِ.

* * *

= تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ...». ورواه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١)، ومسلم (٢١٠) (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد اللَّه ﷺ: (إنكم سترون ربكم...).

٧- وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ
وَلَيْسَ لَهُ شَبَهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

الشرح:

هَذا مَأْخُوذٌ من قَولِ اللَّه -تَعالى- في سُورةِ الإخْلاصِ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وَسمِّيت بِسورَةِ الإخْلاصِ؛ لأنَّها خُلِّصَتْ بِالتَّوحيدِ.

والقُرآنُ عَلى ثَلاثةِ أَقْسامٍ:

١- إمَّا تَوحيدٌ، وهُو الإخبارُ عَن اللَّهِ وعِبادتِه، والنَّهيُ عن الشِّركِ به.

٢- وإمَّا أوامِرُ ونَواهٍ، وَهِي الحَلالُ والحَرامُ والأحكامُ الشَّرعيةُ.

٣- وإمَّا أَخْبارٌ عَن الرُّسلِ والأُممِ، والمَاضِي والمُستقبَلِ، والجنَّةِ والنَّارِ.

فَهَذه السُّورةُ خُلِّصَتْ بالقِسْمِ الأوَّلِ، وهُو الإخْبارُ عنِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-، فهِي فِي التَّوحِيدِ؛ ولذلك صَارتْ تَعدِلُ ثُلثَ القُرآنِ فِي الفَضْلِ[1]؛ لأنَّها خُلِّصَتْ

(١) رواه البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا بلفظ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، و(٥٠١٥): «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ».

ورواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ (٢٦٢) (٨١٢): «أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟!» ومن حديث أبي الدرداء ﷺ (٢٥٩) (٨١١): «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ...».

بتوحيدِ اللَّهِ ﷻ، هَذا وجهُ تَسميتِها بسُورةِ الإخلاص.

وفيها نفيٌ وإثباتٌ، نفيُ النَّقائِصِ عَن اللَّهِ، وإثباتُ الكَمالاتِ له -جلَّ وعَلا-: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: هَذا إثباتٌ، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: هَذا إثباتٌ.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: هذا نفيٌ. فنفَى عنه النَّقصَ، وأَثبتَ له الكَمالَ.

قولُه: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: يَعني: هُو واحدٌ لا شَريكَ لَه في رُبوبيَّته، ولا في إلهيتِه، ولا في أَسْمائِه وصفاته. فهُو وَاحدٌ في أَنْواعِ التَّوحيدِ الثَّلاثةِ.

وقولُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: أي: الذي تَصْمُدُ له الخَلائِقُ، وتَطلُبُ منه حَوائِجَها.

ثم نفَى، فقَال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾: يَعني: ليسَ لَه وَلدٌ، فهُو -سُبحانَه- منزَّهٌ عن الوَلِد.

وَهَذا ردٌّ على الَّذين أثبتُوا الوَلدَ للَّه، وهُم:

- النَّصارى، حيث قالوا: المَسيحُ ابنُ اللَّهِ.

- وَردٌّ عَلى اليَهودِ الذِين قَالوا: عُزيرٌ ابنُ اللَّهِ.

- وردٌّ على المشركين الذين قالوا: المَلائِكةُ بناتُ اللَّهِ، فجَعَلوا للَّهِ البَناتِ وهم يَكْرهُونَهُنَّ، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾، فَهُم يَكرهون البَناتِ، فكَيفَ يَجعلونَها للَّهِ -جلَّ وعَلا-؟! قال تَعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النحل: ٦٢]، وقال: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]؛ أي: تَجعلُون لَه البَناتِ وأَنتُم تكرهون البَناتِ، ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾:

وتَختصُّون بِالبَنِينَ الذِين تُحبُّونَهم، وَقال تَعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ [النحل: ٦٢].

وقال ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥]؛ لأنَّ الولدَ جُزءٌ من الوَالدِ، فهُم شبَّهوا اللَّه -جلَّ وعَلا- بالمَخلُوقِين، وجعلُوا له الولدَ، وهُو منزَّهٌ عن ذَلِك.

ثم قَال -جلَّ وعَلا-: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]: المَرأةُ تُنشَّأُ فِي الحِلْية؛ لأنَّها تَحتاجُ إِلى حُليٍّ، فَهيَ نَاقِصةٌ، ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: عِندَما تحصل خُصُومةٌ ومُناقشةٌ تضعُف المَرأةُ، فلا تَستطِيعُ أنْ تُخاصِمَ عن نفسِها؛ ولِذلكَ فِي الغَالب تُوكِّلُ مَن يُخاصِمُ عَنْها.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾: يَقُولونَ: إنَّهم بَناتُ اللَّهِ! ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

فالمُشرِكونَ وصَفوا اللَّهَ بأنَّ له البناتِ، والنَّصارى وصَفوا اللَّه بأنَّ لَه وَلدًا، وهو المَسِيحُ عِيسَى بنُ مريمَ -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- وهُو عبدُ اللَّهِ ورسُولُه؛ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، فَعِيسى عَبدُ اللَّهِ ورسُولُه وكَلِمتُه أَلقاها إِلى مَريمَ ورُوحٌ، وليسَ هُو ابنًا للَّهِ ﷻ، فاللَّهُ -سُبحانه- ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] لا بِداية له ﷻ كَما أنَّه لانِهايةَ له، وَالنَّبيُّ ﷺ كانَ يَدعوُ فَيقُولُ: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»[1]، هَذهِ صِفاتُ اللَّهِ

(١) أخرجه مسلم (٦١) (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

-جلَّ وعَلا- فهُو أولٌ بلا بدايةٍ، دائمٌ بلا نِهايةٍ، ﷻ.

قولُه تَعالى: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾: هذا نفيٌ للشَّريك والشَّبيهِ؛ لأنَّ الولدَ شبيهٌ لوالدِه وشَريكٌ له، وأيضًا الولد إنَّما يَكونُ للحَاجةِ، واللَّهُ -سُبحانَه- مُنزَّه عَنْ ذلك، ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ٦٨]، فهُو غنيٌّ ﷻ عَن الولد، أمَّا أنتُم فَأنتم بحاجةٍ للولدِ، فالإنسانُ الذي ليسَ لَه أولادٌ يَكونُ عندَه عَجزٌ وضَعفٌ، هو بِحاجةٍ إلى الأولادِ لِيساعِدُوه.

وقولُه تَعالى: ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾: هَذا نفيٌ للبِدايَة.

وقولُه تَعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾: الكُفْوُ: معناهُ: الشَّبيهُ والمَثيلُ، فاللَّه -جلَّ وعَلا- ليسَ له شَبيهٌ ولا مَثيلٌ؛ أي: لا أحدَ يُكافئُهُ -سُبحانه- أو يُساوِيه أو يُشابِهه أو يُماثِله أبدًا.

وَقال تَعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، فهَذا نفيٌ للمَثيل والشَّبيهِ والنَّظيرِ.

وَقال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، أيْ: هَل تَعلمُ أَحدًا يُساوِيه -سُبحانه- ويُسامِيه عَلى الحَقيقةِ؟! وليسَ مَعناه لا يَتسمَّى أحدٌ باسمِه؛ كالمَلِك والعَزيز.

فَقولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ): هذا مأخوذٌ من سُورةِ الإخلاص، التي فيها: إثباتُ الأحَدِيَّة والصَّمَدية للَّه -جلَّ وعَلا-، ونفيُ الوَلد والوَالد عنه سُبحانه، ونفيُ المُشابَهة والمِثْلِيَّةِ له ﷻ فلا يُشْبِهه شَيءٌ من خَلْقِهِ.

* * *

[إنكار الجَهْمِيَّة رؤيةَ العباد لربهم]

٨- وَقَدْ يُنْكِر الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا
بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيْثٌ مُصَرِّحُ

٩- رَوَاهُ جَرِيْرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ
فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

الشرح:

قَد يُنكر الجَهميُّ رُؤيةَ اللَّهِ ﷻ في الآخِرةِ، ولا مُسْتَندَ لَهُ فِي ذَلكَ، ونَحنُ عِندَنا فِي إثْباتِ الرُّؤيةِ أَحاديثُ كَثيرةٌ مُتواترةٌ مِن رِوايَة جَماعةٍ من الصَّحابةِ، ﷺ، وقَد سَاقها ابنُ القيم -رحمه اللَّه تعالى- في كِتابِ «حَادِي الأَرواحِ إلى بِلادِ الأَفراحِ»[1]، وَهُو كِتابٌ في الجَنَّة وَأوصافِها ومَا فِيها. وقد ذكر رُؤيةَ اللَّهِ، وَأوردَ الأَحاديثَ المُتواتِرةَ فِيها بِسِياقاتِها وأَسانِيدهَا وَرُواتِها.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (رَوَاهُ جَرِيرٌ)[2]: هو جَرِيرُ بنُ عَبدِ اللَّهِ

---

(١) انظر «حادي الأرواح» -الباب الخامس والستون (ص١٩٦) ط. دار الكتب العلمية، قال ابن القيم رحمه الله: «هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرها عينًا لأهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون».

(٢) سبق ذكره في تخريج أحاديث الرؤية (ص٨٣).

البَجَلِيُّ ﷺ وهو من جُملةِ الرُّواةِ من الصَّحابةِ، وإلا فقدْ رَواهُ غيرُه من الصَّحابةِ، فالنَّاظمُ -رحمه اللَّه تعالى- أرادَ أَنْ يُمثِّل فحسب.

(عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ): أي: يَرويهِ جَريرٌ من قول مُحمدٍ رسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ): قلْ مَا قالَه الرَّسُولُ ﷺ تَنْجَحْ. وَلا تُخالفْ قولَ الرَّسولِ ﷺ فتَخسرْ، فإنَّ الرَّسُولَ ﷺ لا يَنطِقُ عن الهَوى، إن هو إلا وحي يوحى، فقولُه -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- حقٌّ لا يَتطرَّقُ إليه شكٌّ.

* * *

[مذهب الجهمية في يدي الله ﷻ]

١٠- وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِيْنَهُ
وَكِلْتَا يَدَيْـهِ بِالْفَوَاضِـلِ تَنْفَحُ

الشرح:

الجَهمِيُّ: هُو الَّذي يَكونُ عَلى مَذهبِ الجَهمِ بنِ صَفْوانَ، الَّذي أخذَ مَذهبَه عَن الجَعْدِ ابنِ دِرْهَمِ.

وقولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ): يَعني: أَتباعُ الجَهْمِ ينكِرونَ الأَسماءَ والصِّفَاتِ، وهَذا من مَذهبِهِ الخَبيثِ، وإلَّا فلَه مَذهبٌ قَبيحٌ في عِدَّةِ مَسائِلَ، ومنْها إِنكارُ الأَسْماءِ والصِّفاتِ.

وقولُه: (وَقَدْ): هَذهِ للتَّحقِيق، مثلُ: قَد قامتِ الصَّلاةُ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨١]، (قَدْ) تَأْتِي للتَّحقيقِ، وهُو المُرادُ هُنا، وتَأْتِي للتَّقليلِ، مثلُ: قَد يَجودُ البَخِيلُ، هَذه للتَّقليلِ.

وهِي هُنا ليستْ للتَّقليل إنَّما هِي للتَّحقيقِ؛ كَما فِي قولِهِ تعَالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ [الأحزاب: ١٨]، هَذه للتَّحقِيق.

قَولُه: (أَيْضًا): أي: كَمَا أنكرَ رُؤيةَ اللَّهِ ﷻ فإنَّه -أيضًا- يُنكِرُ إثباتَ اليدينِ للَّه ﷻ.

واللَّه -جلَّ وعَلا- له صِفاتٌ ذاتيَّةٌ مثلُ: اليدينِ، والوَجهِ، والقَدَمينِ، والأَصابعِ، وله صَفاتٌ فِعليَّةٌ مثلُ: النُّزولِ، والاستِواءِ، والكَلامِ، والخَلْق.

فكلُّ مَا جاءَ الدَّليلَ بإثباتِه للَّهِ من صِفاتِ الذَّاتِ فإنَّنا نُثبتُه للَّه ﷻ خِلافًا للمُعطِّلةِ الذين يَنفُونَ أَسماءَ اللَّهِ وصِفاتِه، وَعَلى رأْسِهم الجَهميَّةُ، وخِلافًا للمُمَثِّلةِ الَّذين يَغلُونَ فِي الإِثْباتِ، حتَّى يُشبِّهوا صِفاتِ اللَّهِ بِصفاتِ خَلقِه، فهُم عَلى طَرْفَيَ نَقيضٍ، فَهؤُلاء غَلوا في التَّنزِيهِ حَتَّى نَفوا أَسْماءَ اللَّهِ وصِفاتِه، وهؤُلاءِ غَلوا في الإثباتِ حَتَّى شَبَّهوا اللَّهَ بخلقِه.

وَأَهلُ السنةِ والجماعَةِ وِسَطٌ بين الفَرِيقين، فيُثبتونَ للَّهِ ما أَثبتهُ لنفسِه من صِفاتِ الذَّاتِ وصفاتِ الأَفعالِ، خِلافًا للمُعطِّلةِ، إثبَاتًا بِلا تَمثيلٍ، خِلافًا للمُشبِّهة؛ كَمَا قَال تَعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فقولُه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: هَذا ردٌّ عَلىَ المُمَثِّلة.

وقولُه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: هذا ردٌّ عَلى المُعطِّلةِ.

هَذا مَذهبُ أَهلِ السنَّةِ والجَماعَةِ.

واللَّه -جلَّ وعَلا- له صِفاتٌ ذَاتيةٌ، ولهُ صَفاتٌ فعليةٌ؛ كالاستِواءِ، والنُّزولِ، والخَلْق، والرِّزقِ، والكَلامِ، كلُّ ذَلك من صِفاتِ أَفعالِه ﷻ.

ومِن صِفاتِه الذَّاتِيَّة: اليَدانِ، وقد جَاء إثباتُهما فِي كلام اللَّه ﷻ وفِي سُنةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ:

كقولِهِ تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] يعني: آدمَ عليه السلام.

وفي الحَديث: «يَدُ اللَّهِ مَلأَى سَحَّاءَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[1]. وغيرُ ذَلك مِن الأَحاديثِ الصَّحِيحةِ الَّتي فِيها إثباتُ اليَدينِ، واليدِ للَّه ﷻ عَلى مَعناهُما المَعرُوفِ فِي اللُّغةِ.

فهُما يَدانِ حَقِيقيَتان، لكنْ ليْستَا كَيَدَي المَخلُوقِينَ، بلْ هُما يَدانِ تَلِيقانِ بِجلالِ اللَّهِ وعَظَمتِه، لا يَعلَمُ كَيفِيتَهما إلَّا اللَّهُ -جلَّ وعَلا-.

فنَحنُ نُثبِتُهما عَلى مَعناهُما الحَقِيقيِّ، ونَنفِي عَنْهما التَّمثيلَ والتَّشبِيهَ، فَلا يُشْبِهان يَدي المَخلوقِ. هَذا هُو مَذهبُ أَهلِ السُّنةِ والجَماعةِ، تَمشِّيًا عَلى كِتابِ اللَّهِ وعَلى سُنةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، شَأنُهم فِي ذَلك شَأنُهم فِي بقيَّةِ الأَسماءِ والصِّفات للَّه ﷻ.

أَما أهلُ التَّعطيلِ الذينَ ينفونَ اليدينِ عنِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- كَما يَنفُونَ عَنه سائرَ الصِّفاتِ، فإنَّهم يُؤَوِّلونَ اليدَ بمعنَى القُدرةِ، أو بِمعْنَى النِّعْمةِ.

يُؤَوِّلُونَها بِمعنَى القُدرَة، فيَقُولونَ: مَعنَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: أيْ: بقُدرَتِي!

فيُقال لهم: اللَّهُ -جلَّ وعَلا- ذكرَ اليَدين بلفظِ التَّثنيةِ، فهلِ اللَّهُ -جلَّ وعَلا- له قُدرتانِ أَو قدرةٌ واحدةٌ؟!

فَلا يُوجَدُ إلا جَوابٌ وَاحِدٌ، هُو: أنَّ اللَّهَ له قدرةٌ واحدةٌ، ولا يصحُّ أَنْ يُقالَ له قُدرتانِ.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨٤، ٧٤١٩)، ومسلم (٣٦) (٩٩٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفي لفظ لمسلم (٣٧) (٩٩٣): «وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض».

وفي قولِه: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: هل يُقالُ مَعناهُ بقدرتيَّ؟! لا أحَدَ يقولُ هذا.

وأمَّا تأويلُها بالنِّعمة؛ فكأَنْ تقولَ: لكَ يدٌ عِندي؛ أي: لكَ نِعمةٌ عِندي! فإذا قالَ قائِلُهم: مَعنَى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: بنِعمَتيَّ!

يقالُ له: هلِ اللَّهُ -جلَّ وعَلا- ليسَ له إلا نِعمتَان فحسب، أَمْ أنَّ جَميعَ النِّعم منه ﷻ؟!

ثُمَّ -أيضًا- لا فَرْقَ بينَ آدمَ وغَيرِه إذا فُسِّرتِ اليَدُ بِالقُدرةِ، فإنَّ اللَّهَ خَلقَ جَميعَ الخَلْقِ بقُدرتِهِ ﷻ، فَلا مَزيةَ لآدمَ عَلى غَيرِه من البَشرِ، واللَّهُ -جلَّ وعَلا- ميَّزه بقولِه: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. فهَذا وجهُ الردِّ على هَؤُلاءِ.

وأمَّا المُمثِّلة فَيردُّ عَليهِم القُرآنُ بقولِ اللَّهِ تَعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقولِهِ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقولِه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقولِه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، والنِّدُّ: هو الشَّبيهُ والمَثيلُ، فنَهى أنْ نَجعلَ للَّهِ أشباهًا وَأمثالًا من خَلْقِه ﷻ، فاللَّهُ ليسَ كمثلِه شَيءٌ.

فهَذا هُو مَذهبُ الجَهميةِ في مَسألةِ اليدين للَّه ﷿، وهَذا الردُّ عَليهم فيمَا تأوَّلوهُ، ومَذهبُ المُمثِّلةِ والمُشبِّهةِ -أيضًا- والردُّ عليهم من كَلامِ اللَّه ﷻ.

واللَّهُ -جلَّ وعَلا- يَقولُ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَجَاء لفظُ اليمينِ والشِّمالِ في الحَديثِ، ثُمَّ قالَ ﷺ: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»، فَهي شِمالٌ بمعنَى اليَمينِ؛ وَذَلكَ تَنزيهًا ليدِه ﷿ من التَّنقُّصِ؛ لأنَّه إذا سَمِع السَّامِعُ إثباتَ الشِّمال للَّه فربَّما يَقعُ في نفسِه أنَّها مثلُ شِمالِ المَخلوقِ؛ لأنَّ يدَ

المَخلوقِ الشِّمالَ ليستْ مثلَ اليَمينِ، بلْ أَنْقصُ، والشِّمالُ -كَما هُو مَعلومٌ- لإزالةِ الأذى والتَّنظِيفِ، وأمَّا اليَمِينُ فَهِيَ لِما يُستَطابُ، والأخذِ والإعطاءِ، والأَكلِ والشُّربِ، وغيرِ ذَلك، فَإذا سَمِع السَّامعُ إثباتَ الشِّمال للَّهِ، ربَّما يقعُ في نفسِه أنَّها أَنقصُ من اليَمِينِ كَمَا في المَخلوقِ، فَالنَّبيُّ ﷺ نفَى هَذا التَّوهُّمَ، وقالَ ﷺ: **«وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»**[١].

قولَ النَّاظم رحمه اللَّه تَعالى: (وَكِلْتَا يَدَيْهِ): أَيْ: يَدي اللَّهِ -جلَّ وعَلا-.

(**بِالْفَواضِلِ**): أيْ: بالعَطاءِ والنِّعم.

(**تَنْفَحُ**): يَعني: تُعطِي الخَلْقَ، وتُمِدهم.

وفي الحَديثِ: **«يَدُهُ مَلأَى سَحَّاءَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَلَمْ تَرَوْا مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ»**[٢]، **فَهُو -جلَّ وعَلا- يُعطِي** العَطاءَ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ وَلا نِهايةَ، يُعطِيهِ بيَدِه الكَريمَةِ لِعبادِهِ.

هذا مَعنى قوله: (وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ) أَيْ: بالعَطايا وَالأَفضالَ مِن **اللَّه**.

قَولُه: (**تَنْفحُ**): يَعني: مُستَمرَّةٌ فِي العَطاءِ الذي لا يَنقطِعُ من اللَّهِ ﷻ.

واليَهودُ -قبَّحهم اللَّهُ- لمَّا وصَفُوا اللَّهَ -جلَّ وعَلا- بالبُخْلِ وقالُوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فَقالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ يَعني بالجُودِ والعَطاءِ والكَرمِ.

---

(١) عن عبد اللَّه بن عمر ﷺ قال رسول اللَّه ﷺ: **«إنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا ولوا»**. رواه مسلم (١٨) (١٨٢٧) كتاب الإمارة.

(٢) سبق تخريجه (ص٩٢).

[مَسألة نُزُول اللَّه ﷻ]

١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
بِلَا كَيْفٍ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

الشرح:

(وَقُلْ) يَعني: قُل أيُّها السُّنيُّ -الذي تَمسَّك بِالكتَابِ والسُّنةِ، قُلْ ولَا تَترَدَّد..

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (يَنْزِلُ الجَبَّارُ): يَنزل اللَّهُ -جلَّ وعَلا- إِلى السَّماءِ الدُّنيا.

(فِي كُلِّ لَيْلَةٍ): لأن الرَّسولَ ﷺ قَال ذلك، وهُو أَعلمُ بربِّه ﷻ ومَا يَليقُ به، فقلْ مَا قالَه الرَّسُولُ ﷺ، وأَثبِتِ النزولَ للَّهِ ﷻ والنُّزولُ مِن صِفَاتِ الأَفعَالِ التي يَفعلُها اللَّهُ -جلَّ وعَلا- بِمشِيئتِه وَإرادتِه مَتى شَاء.

وهَذا النزولُ تواترتْ بِهِ الأَحاديثُ عن النَّبيِّ ﷺ، رَواها جَماعاتٌ من الصَّحابةِ[1]، وهُو في الصِّحاحِ.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى- في شرح حديث النزول من «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٧٠): «وقد رُوي عن النبي ﷺ من رواية جماعة كثيرة من الصحابة، كما ذكرنا قبل هذا، فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث».

وقال ابن القيم في «الصواعق المرسلة»، ط. دار العاصمة، (١/ ٣٨٧): «إنها وردت من نحو ثلاثين صحابيًّا». اهـ =

وقد كتبَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ -رحمه اللَّه تعالى- مُؤلَّفًا مُستقِلًا في شَرْح حَديث النُّزولِ، وهُو مَطبوعٌ مفرَدٌ، وطبع معَ المَجموعِ، بعُنوان: «**شَرْحُ حَدِيثِ النُّزولِ**».

فيَجبُ إثباتُ النُّزولِ للَّهِ، كَما أثبتَه له رَسولُه ﷺ، وأنَّه ينزِلُ كلَّ لَيلةٍ حينَ يبقَى ثُلثُ الليلِ الآخرِ، وهَذا يَدمَغ المعُطِّلةَ؛ لأنَّه مُتواترٌ؛ لأنَّ مِن عَادتِهم أنْ يَقولوا: هَذا حَديثُ آحادٍ لا يُفيد العِلمَ! ولكنَّ هذا ليسَ لهم فيهِ حِيلةٌ؛ لأنَّه مُتواتِرٌ عَن النَّبيِّ ﷺ.

وهَذا النُّزولُ مِثلُ سائرِ صِفاتِهِ -جلَّ وعَلا- ليسَ مِثلَ نُزولِ المَخلوقِ، وإنَّما هُو نُزولُ الجبَّار -جلَّ وعَلا- كَما يَليقُ بِجلالِه، وَلا نَعلمُ كَيفِيتَه، وإنَّما نُثبِتُه كَما جَاء، مُؤمِنينَ به، لا نَتأَوَّلُه، ولا نُعطِّلُه، وَلا نُمثِّلُه بنُزولِ المَخلوقِ عَن المَخْلوقِ، فهُو نُزولٌ يَليقُ بِعظمةِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-.

وَلأنه حَديثٌ مُتواترٌ، لا حِيلةَ لهَم فِيهِ، أَخَذوا يُشرِّقُونَ ويُغرِّبونَ، يُريدونَ التَّخلُّصَ منه: فقَالُوا: «**يَنْزِلُ**» يَعني: يَنزِلُ أَمرُه!

فيُقَالُ لهم: الحَديثُ فيهِ أنَّه يَقولُ: «**مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟**»، «**هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَل مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟**»(١)، فَهلْ (الأمرُ) يقولُ: مَنْ يَسْأَلُني فأُعطيه؟ مَنْ يَستَغفِرني فأَغفِرَ له؟!

= وقال الذهبي في كتابه «العلو»، ط: أضواء السلف، (ص١٠٠): «وقد ألَّفت أحاديث النزول في جزء، وذلك متواتر أقطع به».

وانظر: «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٢٩١- ٣٢٧) حيث أورد جملة كبيرة منها.

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (١٦٨) (٧٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

فهَذا باطِلٌ، وإنَّما الذي يَقولُ هَذا هُو اللَّه ﷻ.

وَقالُوا: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»: يَعنِي: يَنزِلُ مَلَكٌ من المَلائِكَةِ!

ويُقالُ لهَم: هَلِ المَلكُ يقولُ: مَنْ يَستَغفِرني؟ مَنْ يسأَلْنِي؟! هَل مِن تَائِبٍ فأتوبَ عَليه؟ هَل هَذا يَصدُر من المَلكِ أو يَصدُرُ من الرَّبِّ ﷻ؟!

الجوابُ: هَذا من الربِّ -جلَّ وعَلا-؟

فليسَ المُرادُ يَنزِلُ أمرُه، وليسَ المُرادُ يَنزِل مَلَكٌ من المَلائكة؛ لأنَّ الأمرَ والمَلكَ لا يَقولانِ هَذه المَقالاتِ التي جَاءَتْ في الحَديثِ.

وَنظرًا لَدورَانِ الشَّمسِ حَولَ الأَرْضِ، قالوا -أيضًا-: كيفَ ينزِلُ واللَّيلُ يَختلِفُ باختِلافِ الأقطارِ؟! فالشَّمسُ تَدورُ حَوْلَ الأَرضِ، ويكونُ نِصفُ الأَرضِ في نَهارٍ ونِصفُها الآخَرُ في لَيلٍ، فيكونُ عندَنا نهارٌ وعِنْد الآخَرينَ ليلٌ، والعَكسُ.

نقولُ: هَذا لا نَدخلُ فِيهِ؛ لأنَّ هَذا من أمرِ اللَّهِ، فالذي سخَّر اللَّيلَ والنَّهار وجَعلَهما يَتعاقَبان هُو الذي أخبرَ أنَّه يَنزلُ ﷻ، فَنحنُ نُثبِتُ النُّزولَ ولا نَتعرَّضُ للكَيفيَّة، وَلا نقولُ: كيفَ يَنزِلُ وثلثُ الليلِ يختلِفُ باختِلافِ الأَقاليِم؟! بلْ نقولُ: هَذا إذا كَان نُزولَ المَخلوقِ، أمَّا نُزولُ الخَالقِ فهُو يَنزلُ كيفَ يَشاءُ ﷻ.

قَالوا: النُّزولُ يَلزمُ عليه الحَرَكةُ والانتقالُ، فهل اللَّهُ يَنتقلُ من العَرشِ إلى السَّماءِ الدُّنيا ويَتحرَّكُ؟

نقولُ: هَذا بحثٌ عن الكَيفيَّةِ، ونَحنُ نَقولُ: يَنزِلُ كَما يَشاءُ لا نَعلمُ الكَيفيَّةَ. اللَّهُ يَنزِلُ كيفَ يَشاءُ، وهُو عَلى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ، وهُو الَّذِي خَلقَ السَّمواتِ

والأَرضَ، فلا نخوضُ في هَذا.

فَنَحنُ نُثبِتُ النُّزولَ -كَما جَاء- كلَّ لَيلةٍ حِينَ يَبقَى ثُلثُ اللَّيلِ الآخِرِ، نُثبِتُه ونُؤمِنُ به، ولا نَلتفِتُ إلى وَساوِسِ هَؤلاءِ الذين يَستَدرِكُونَ عَلى اللَّهِ ﷻ؛ كأَنَّهم يَقولونَ: إنَّ النُّزولَ لا يَليقُ بكَ يا ربَّنا؛ لأنَّه كَذا وكَذا، فهُم يَستدرِكُونَ عَلى اللَّهِ -جلَّ وعَلا- ويَستدرِكُونَ عَلى الرَّسولِ ﷺ؛ كأَنَّهم أَعلمُ من اللَّهِ، وأَعلمُ من الرَّسولِ ﷺ باللَّهِ ﷻ

هَذا فِيهِ سُوءُ أَدبٍ مع اللَّهِ -جلَّ وعَلا- اللَّهُ يُثبت النُّزولَ وهُم ينفونَه، ويَقولونَ: يَلزمُ عَليه كَذا وكَذا مِن اللَّوازِمِ الباطِلَة عندَهم!

وقولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (الجَبَّارُ)؛ أي: اللَّهُ -جلَّ وعَلا-، من أَسمائِه الجبَّارُ.

والجَبَّارُ له مَعانٍ:

١- الجبَّارُ بِمعنَى: الذي يَجبُرُ عِبادَه المُنكَسِرينَ.

٢- والجَبَّار بِمعنى: الذي تَجري أَحكامُه القَدريَّةُ عَلى عِبادِه، دُون أنْ يمتَنِعوا مِنها، فأَحْكامُ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- القَدريةُ لا رَادَّ لَهَا، ولا مُعقِّبَ.

٣- والجَبَّار مِن مَعانِيه اللُّغويَّةِ: العَالي المُرتفِع، واللَّهُ -جلَّ وعَلا- فوقَ عِبادِه، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

وقولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ): كَما جَاءَ في الحَديثِ، من غَيرِ كيفٍ، يعني: لا نَدري عَن كَيفيَّةِ النُّزولِ؛ لأنَّ هَذا لا يَعلمُهُ

إلَّا اللَّهُ، فَلا يَلزمُ منهُ هَذه اللوازمُ الَّتي أوردَها المُعطِّلةُ والمُمثِّلةُ والمُشبِّهةُ؛ لأنَّنا لا نَبحثُ عن الكَيفيَّة، واللَّهُ عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ، والخَلقُ لا يُحيطُونَ بهِ عِلْمًا، فَلا يَعلمُ كَيفيَّةَ ذَاتِه، وَلا كَيفيَّةَ أسْمائِه وَصِفاتِه إلَّا هُو ﷻ.

وكَذلكَ يَنزِلُ الجَبَّار عَشِيةَ عَرفةَ، فيُباهِي بِعِبادِه المَلائِكةَ، ويقولُ: «**انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا، مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، أُشْهِدكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لهُمْ**»[1].

هَذا -أيضًا- نوعٌ آخرُ من النُّزولِ، يَنزِلُ ربُّنا عَشِيةَ عَرَفةَ إلى السَّماءِ الدُّنيا؛ كَما أنَّه يَنزِل كُلَّ ليلَةٍ من لَيالي السَّنَةِ حينَ يَبقَى ثُلثُ اللَّيلِ الآخِرِ، وهَذا من لُطِفه بِعبادِه -سُبحانَه- ورَحمتِه بِهم.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (جَلَّ): يَعنِي تَعاظَم قَدرُه وَشَأنُه عَن أنْ نكيِّفَ أو نَعلمَ كيفيَّةَ أسمائِه وصِفاتِه، ومِنْها النُّزولُ، فنَحنُ نُثبِتُ النُّزولَ وَلا نَبحثُ عن الكَيفيَّة؛ كسائِرِ الصِّفاتِ، فالنُّزولُ مَعلومٌ وأَمَّا الكَيفُ فهُو مَجهولٌ؛ كَما قَالَ مَالكٌ -رحمه اللَّه تعالى- في الاستِواءِ: «**الاسْتِواءُ مَعْلُومٌ، والكَيْفُ مَجْهُولٌ**»[2]، وَهَذا فِي سَائِرِ الصِّفاتِ.

- **قَولُه:** (**الْوَاحِدُ**): الوَاحدُ من أسمَاءِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-، فهُو -سُبحانَه-

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٨٥٢) (٩/ ١٦٣)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٩٣) (٩/ ١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٠٥)، وأبو يعلى (٢٠٩٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٦٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الرد على الجهمية» للدارمي (ص٣٣) ط. المكتب الإسلامي، و«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٩٢٨) (٣/ ٥٢٧).

الوَاحِدُ الأَحَدُ، الذي لا شَرِيكَ له في ذاتِه، ولا فِي أسمائِه وصِفاتِه، وَلا فِي أفعالِه، ولا فِي عِبادتِه -جلَّ وعَلا-.

- قولُه: (المُتَمَدِّحُ): أي: المتَّصِفُ بصِفاتِ المَدحِ والكَمالِ.

* * *

١٢- إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ
فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

١٣- يَقُوْلُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا
وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

الشرح:

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (إِلَىَ طَبَقِ الدُّنْيَا): أيْ: يَنزِلُ إلى الطَّبِق الأَدنَى من السَّمواتِ؛ لأنَّ السَّماءَ سَبعُ طِباقٍ، قَال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥]: بَعضُها فَوقَ بعضٍ، فَينزِلُ -جلَّ وعَلا- كَيفَ يشاءُ إلى السَّماءِ الدُّنيا، يعني: السَّماءَ الَّتي تَلِي الأَرضَ.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (يَمُنُّ بِفَضْلِهِ): فيقولُ سُبحانه: «**هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟**»، هَذا مَنٌّ وفَضلٌ من اللَّهِ، ويقولُ: «**هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟**»، كُلُّ هَذا من فَضْلِه ﷻ يَعرِضُ عَلى عِبادِه كَرَمَه وجُودَه.

وَلهَذا يُستَحبُّ للمُسلِمِ أَنْ يَقومَ آخِرَ اللَّيلِ حِينَ يبقَى ثُلثُ اللَّيلِ الآخِرِ، وأَنْ يَكونَ مُستَيْقِظًا يُصليِّ ويَدعو اللَّهَ ويَستَغفِرُ، فإنَّه وقتُ قَبولِ الدُّعاءِ، ولا يَنامُ فِي هَذا الوقتِ ويَحرِمُ نَفسَه، كَما يفعلُ كَثيرٌ من المَحرومِينَ الذينَ يَسهرُونَ اللَّيلَ، فإذا صار آخرُ اللَّيلِ نامُوا حتَّى عَن صَلاة الفَجرِ الفَريضَة! هَذا حِرْمانٌ وَالعِياذُ باللَّهِ.

فيَنبغِي للمُسلمِ أَنْ ينامَ مُبكِّرًا وَيعوِّدَ نفسَهُ -إنَّما الشَّيءُ بِالاعتِيادِ- لأجلِ أَنْ يَقومَ آخرَ اللَّيلِ، فإذا عوَّدَ نفسَهُ هَذا تعوّدتْ، أَمَّا إذا عَوّدها الكَسَلَ والنَّومَ فإنَّه

يَثقُلُ عَليهَا حتّى القِيامُ لصَلاةِ الفَجْرِ، فينبغِي للمُسلِم ألا تَفوتَه هَذهِ الفُرصَةُ، وهَذا النِّداءُ الإلهيُّ، وأنْ يَكونَ حَاضِرًا، واللَّهُ -جلَّ وعَلا- يَقولُ فِي وصْفِ عِبادِه المتَّقِينَ: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧- ١٨]، وقال: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، فالاستِغفارُ وُقتَ السَّحَرِ لَه مَزيَّةٌ عَلى غَيرِه من الأَوقاتِ.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: **(فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ)**؛ يَعنِي: تُفتَح أَبوابُ الإِجابَةِ، فَينبغي للمُسلِمِ أَنْ يَصْحوَ فِي هَذهِ السَّاعةِ، وأَنْ يَستَغفِرَ وَيتُوبَ ويَسأَلَ، فإنَّ أبوابَ الإجابَةِ مَفتوحَةٌ له، فَهِي فُرصَةٌ عَظِيمةٌ.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: **(يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا)**:

(أَلا): أداةُ تَنبِيهٍ، يَعني: تَنبَّهوا لِما سَيُقالُ.

(يَلْقَ غَافِرًا): مأخوذ من قوله: «**مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**».

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: **(وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا)**: يعني: مَنْ يَطلُب المَنْحَ، وهُو العَطَاءُ، مَن يسألُ اللَّهَ ﷻ ممَّا يَشاءُ من الخَيرِ، والرِّزقِ، وأي حاجَةٍ من حَوائِجِه وحَوائِجُ النَّاسِ تَختلِفُ، فيَسأَلُ اللَّهَ أيَّ حَاجةٍ لَهُ فِيها خَيرٌ، فإنَّ اللَّهَ يُعطِيه فِي هَذه السَّاعَةِ أَكثرَ مِن غَيرِها.

واللَّهُ -جلَّ وعَلا- قَريبٌ مُجيبٌ يَقبلُ التَّوبَةَ، ويَغفِرُ الذُّنوبَ في كلِّ وقتٍ، ولكنْ توجد أوقاتٌ لها خاصِّيَّةٌ تكونُ الإِجابةُ فيها أَكثرَ؛ مثلُ هَذا الوَقتِ، ومِثلُ السَّاعةِ الَّتِي فِي يَومِ الجُمُعَةِ، كَما تُوجَدُ أَحوالٌ تكونُ الإجابَةُ فِيها أقربَ مِثلُ حال السُّجودِ؛ كَما في قَولِه ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**»[1]،

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٥) (٤٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَمثلُ حال السَّفرِ: «يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ»[1]، ومِثلُ حال الضَّرورَةِ، قال تَعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، فتُوجَدُ أَوقاتٌ وأَحوالٌ تكونُ الإِجابةُ فِيها أَكثرَ مِن غَيرِهَا، وإِلَّا فإِنَّ اللَّهَ -جلَّ وعَلا- يَغفرُ ويُعطِي، ويَسمَعُ الدُّعاءُ، ويُجِيبُ في كل وقت من ليل أو نهار.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ): فكيفَ يَصدُّ الإنسانُ عَن هَذا وَيَنامُ؟! مَاذا يَستفِيدُ من فُضُولِ النَّومِ؟! كيفَ يَغفلُ ويَلهو مع الفَضائِيَّاتِ والإنترنِت، ويَجلسُ مَأْسُورًا شاخِصَ البَصَرِ لا يَتحرَّكُ مَع هَذا الصَّنَمِ الخَبيثِ، وَلا يَمَلُّ وَلا يَتْعبُ، ويُعرِض عن ربِّه ﷻ، يُعرِضُ عَن هَذا الخَيرِ الكَثيرِ الَّذِي هُو بأشدِّ الحاجَةِ إِليهِ؟! فإِنَّهُ لا غِنى بِه عنِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- طَرْفَةَ عَينٍ، فَكيفَ يُعرِضُ الإنسانُ عَن هَذا ولا يتنبَّهُ له؟!

أَو يَذهبُ مَذْهَبَ الجَهميَّةِ والمُعتزِلةِ والأَشَاعِرَةِ فَيُكَذِّبُ -والعِياذُ باللَّهِ- بهَذا النُّزولِ ويَنفيه، ويَتهاوَنُ به! هَذا أَشدُّ من الذي يُعرِضُ وَلا يَنفي، ولكنَّه يُعرضُ ولا يَتنبَّه له.

ولَو أنْ وقتًا من الأَوقاتِ فيهِ توزيعُ نُقودٍ، أو تَوزيعُ دَراهِمَ، أو فُتحَ فيه بابُ مُساهَمةٍ في شَركةٍ، والنَّاسُ يَرجُونَ فِيها الرِّبْحَ، ألا تَرونَ مَا النَّاسُ صَانِعونَ؟ أَليسوا يُغامِرونَ؟

بَل حدثَ أَنْ قَتَل بعضُهم بَعضًا من الزِّحامِ لطلب الدُّنيا الفانِيةِ الَّتي قد تَحصُلُ وقَد لا تَحصُلُ، وإِنْ حَصَلتْ ربَّما تكون شَرًّا وَوَبالًا عَلى صاحِبها، وربَّما تكونُ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥) (١٠١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

هَذه المُساهَمةُ مُحرَّمةٌ يَدخلُها الرِّبا، وربَّما تكونُ من المَيْسِرِ والقِمارِ، ومَعَ هَذا يَتَنافَسُونَ عَليها، ويَقتتِلونَ، ويَأتونَ مُبكِّرينَ قبلَ البَداءةِ بزمنٍ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ يُريدُ أنْ يَصِيرَ قَريبًا من مَحلِّ العَرضِ، ولَا يَكونُ بعيدًا!

فإذا كانَ هَذا في أَمرِ الدُّنيا فكيفَ يُعرِضُ عَن أمرِ الآخِرةِ الَّذِي لا يَحتاجُ إلى زِحامٍ، وَهُو مَضْمُونُ الخَيرِ ليسَ فيه غَائِلةٌ، وليسَ فيه زِحامٌ، ولا مُنافَساتٌ، ولا أَصواتٌ، وَلا مُغالباتٌ؟! كيفَ يُعرِضُ الإنسانُ عَنْ هَذا ويَذهبُ إلى مَا لا يَدرِي عَنه هَل هُو خَيرٌ أو شرٌّ؟! وهُو إلى الشرِّ أقْربُ، في هَذا الزَّمانِ الذي أصْبَحَ فِيهِ كَثيرٌ مِن النَّاسِ لا يُبالِي بِالحَلالِ والحَرامِ.

فَالشَّرُّ والفِتْنةُ عَظِيمةٌ بِالأموالِ الآنَ، ومَن هَذا يَتقاتَلُ النَّاسُ عَليها وأمَّا الفُرَصُ العَظِيمةُ مَع اللَّهِ -جلَّ وعَلا- أكْرمِ الأكرمِينَ، وأَجودِ الأَجودِينَ، وأَرحمِ الرَّاحِمينَ، الذي لا يَسْتغنِي أحَدٌ عَنْه طَرْفةَ عَينٍ، فَكَيفَ يَغفُلُونَ عَنْ هَذه الفُرصَةِ الَّتِي فَتَحَها اللَّه لَهُم؟! وَلَمْ يَطلُبْ مِنْهم أَنْ يَسهَرُوا اللَّيلَ كُلَّه، بلْ هُو -سُبحانَهُ- يَنزِلُ آخِرَ اللَّيلِ قَبْلَ الفَجرِ. لو لَمْ تَقُمْ إلَّا قُبيلَ الفَجرِ بِدقائِقَ لِتشْهَدَ هَذا المَشْهدَ العَظِيمَ، وَإذا بكَّرتَ فهُو أفْضلُ، فلا تُفوِّتْ هَذه الفُرصَةَ العَظِيمةَ وتَغفلْ عَنْها، فربَّما يَكونُ هَذا آخرَ حياتِكَ وَلا تُدْرِكُها فِي المُستقبَلِ، فمَا دُمتَ في زَمنِ الإمكانِ، ومَا دُمتَ فَارغًا غَيرَ مَشغولٍ فَلا تَضيِّعْ هَذه الفُرصَةَ العَظيمةَ.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (يَقُولُ أَلَا مَسْتَغْفِرٌ): المُستغفِر: هُو طَالبُ المَغفِرة.

قوله: (يَلْقَ غَافِرًا): هُو اللَّهُ -جلَّ وعَلا-، فإنَّ من أسمائِه الغفَّارُ، والغَفورُ: ذُو المَغفِرة، هَذا من أَسماءِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-، فَهُو -سُبحانَه- الذي

يَستُرُ الذُّنوبَ.

والغَفْرُ: مَعنَاهُ السَّترُ؛ يستُرُ الذُّنوبَ بِالعَفوِ وعَدمِ المُؤاخَذةِ.

قوله: **(وَمُستَمْنِحٌ)**: أي: طالبٌ للمِنحَةِ، وهِي العَطاءُ، وهَذا مَأْخوذٌ من قولِه ﷺ عن ربِّه: «**هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟**».

* * *

١٤- رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ
أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

الشرح:

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: **(رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ)**: أَيْ: رَوَى حَديثَ النُّزولِ جَماعَةٌ مِن صَحابةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَن رَسولِ اللَّهِ ﷺ.

(لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ): لأنَّه حَديثٌ مُتواتِرٌ عَن رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَلا حِيلَةَ فِيهِ للجَهميَّةِ والمُعطِّلةِ لِيردُّوه من نَاحِيةِ السَّنَدِ.

(أَلَا خَابَ قَوْمٌ): لأنَّهم كَذَّبوا هَذا الحَديثَ ونَفوا النُّزولَ عَنِ اللَّهِ، وَأَوَّلوا حَديثَ الرَّسولِ بغيرِ مُرادِ الرَّسولِ ﷺ، وافتَروا عَلى اللَّهِ كَذِبًا.

(كَذَّبُوهُم وَقُبِّحُوا): وهم الجَهميَّةُ ومَن سار عَلى مَنهجِهم، فأصْلُ البلاءِ هُم الجهميَّةُ والمُعتزِلةُ وكُلُّ مَن جاءَ مِن بعدِهم وَسار عَلى نَهجِهمْ، فهُم الَّذينَ فَتحُوا بَابَ الضَّلالةِ والعِياذُ باللَّهِ، وكلُّ مَن جاء بَعدَهم مِن أهلِ الضَّلالِ فَهُو تَابعٌ لهَمْ، ويَتحقَّقُ فِيهم قَولُ الرَّسُولِ ﷺ: **«مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»**[1].

---

(١) بوب بمعناه البخاري في كتاب الاعتصام باب (إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة) قبل حديث (٧٣٢١)، ورواه مسلم (١٦) (٢٦٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»**.

فَلْيحذرِ المُسلمُ أَنْ يَكونَ مِن دُعاةِ الضَّلالِ؛ لأنَّه لا يُختَصُّ بإثم نفسه فَحسْبُ، وإنَّما يَتحمَّل آثامَ مَن اتَّبَعوهُ؛ لأنَّه غرَّهم وَخدَعهُم وفتَحَ لهُم بابَ الشَّرِّ، وَصار قُدوةً لهُم في الشَّرِّ قَال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، فالخَطرُ شَديدٌ فِي هَذا. وهَذا ممَّا يُؤَكِّدُ عَلى المُسلِم أَنْ يَكونَ قُدوةً فِي الخيرِ، وأَنْ يَدعوَ إِلى الخَيْرِ، ويَتجنَّبَ أَنْ يَكونَ دَاعِيةً إلى الشرِّ، أو اتِّباعِ الهَوى أو المُخالفَاتِ، وإنْ كَان عَليها مَنْ عَليها مِن النَّاس، فإنَّ الحَقَّ أَحقُّ أَنْ يُتَّبَعَ.

* * *

[فَضْلُ الصَّحَابَةِ وَتَفَاضُلُهم ومَحَبَّتُهُمْ]

١٥- وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَزِيْرَاهُ قُدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ

١٦- وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُم
عَلِيٌّ حَلِيْفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجَحُ

الشرح:

تمهيد:

هَذا بَحثٌ في حَقِّ الصَّحابَةِ -رضيَ اللَّهُ تَعالى عنهم-، وهُم صَحابةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِين هُم خَيرُ القُرونِ؛ كَما قالَ ﷺ: **«خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»**(١)، قال الرَّاوي: لَا أَدري أَذكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَينِ أَو ثَلاثةً؟ يَعني: تكونُ أَربعةُ قُرونٍ، ويُسمُّونَها القُرونَ المُفضَّلةَ لِهَذا الحَديثِ.

وخيرُ هَذه القُرونِ هُو قَرنُ الصَّحابَةِ، رضي الله عنهم.

وقَدْ مدحَهم اللَّهُ فِي كِتابِهِ، وَرَضِيَ عنْهم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥)، ومسلم (٢١٤) (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢١٣) (٢٥٣٤).

وقال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

فاللَّه -جلَّ وعَلا- أثْنى عَليهِم ومدَحَهم بأنَّهم هُم الصَّادقون ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: حَصَر الصِّدقَ فِيهِمْ لِتَحقُّقِهِ فِيهِمْ، ممَّا يدلُّ عَلى فَضلِهم ومَكانتِهم عندَ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-.

ثُمَّ يَأتِي وَاحدٌ من الزَّنادِقةِ والمَلاحِدَةِ الَّذِين يَدَّعونَ الإسلامَ وَيَتهجَّم عَلى الصَّحابة ويَذمُّهم! واللَّهُ -جلَّ وعَلا- يَقولُ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، فَهَذا مُكذِّب للَّهِ -ﷻ-.

وَقالَ -جلَّ وعَلا- فِي الأنصَارِ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يعني: دارَ الهجرَة، وهم الأنصَارُ في المَدينةِ ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، هَذا ثناءٌ عَلى الأنصار، ومَدْحٌ لهم، وذِكْرٌ لِصفاتِهم الحَميدةِ، واللَّهُ -جلَّ وعَلا- أثبتَ لهُم الفَلاحَ، فقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، فهَذا دليلٌ على أنَّ اللَّهَ وَقاهم شُحَّ أنفُسِهم، فصَاروا ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؛ خَصَاصةٌ -أي: جُوعٌ، فَهُم يُؤثِرونَ حَاجةَ إِخوانِهم ولوْ كانَ بِهم حاجةٌ، ولمَّا هاجر إِليهم إِخوانُهم واسَوْهُم، وفتَحوا لهُم صُدورَهم وقُلوبَهم، وأَشركوهُم فِي أموالهم وفِي بُيوتِهم -رضي اللَّه تعالى عنهم وأرضاهُم-.

ثمَّ قال فِي الَّذينَ جَاءوا مِن بَعدِهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: مِن بَعدِ الصَّحابةِ مِن المُؤمنينَ إِلى يَومِ القِيامَةِ، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا

﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، هَذا فِيهِ بَيانُ أنَّ الواجِبَ للصَّحابةِ ﷺ: الدُّعاءُ لهُم، والاستغفارُ لهُم، والاعتِرافُ بسَبقِهم بالإيمان، وسُؤالُ اللَّهِ أَنْ يُنزِّه قُلوبَنا مِن الغِلِّ والحِقْدِ عَلَيْهم والبُغْضِ لهُم، فهَذا فيهِ الثَّناءُ عَلى الصَّحابةِ وبَيانُ مَا يَجبُ لهُم عَلى مَنْ جَاء بعدَهم إلى يَومِ القِيامَةِ، والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[1]، لوْ أنَّ أحدًا أَنفقَ مِثلَ جَبلِ أُحدٍ مِن الذَّهبِ الخَالصِ وتَصدَّقَ به كُلِّه مَا بلَغ فِي الأجْرِ والثَّوابِ مِثْلَ صَدَقةِ الصَّحابِيِّ بالمُدِّ من الطَّعامِ، أو نِصْفِ المُدِّ، فجبلُ الذَّهبِ من غيرهم لا يُعادِلُ المُدَّ مِن الطعام مِنهم وَذلك لفضْلِهمْ ومَكانتِهمْ؛ لأنَّ من أَسْبابِ مُضاعَفةِ الأَجْرِ شَرَفُ العَامِلِ عِندَ اللَّهِ.

ثُمَّ هُم ﷺ يَتفاضَلونَ فِيمَا بَينَهُم:

- فَلا شكَّ أنَّ المُهاجِرينَ أَفْضَلُ من الأنصارِ؛ لأنَّ اللَّهَ قدَّمهُم في الذِّكرِ، ولأنَّهم تَركوا أَمْوالهَم وَأَولادَهم وَأوطانَهم وهَاجَروا فِي سَبيلِ اللَّهِ ﷻ قالَ تَعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الحشر: ٨].

- ثُمَّ أَفْضَلُ المُهاجِرينَ هُم الخُلفاءُ الرَّاشدونَ الأَرْبعةُ: أَبُو بَكرٍ الصِّديقُ، ثُمَّ عُمرُ الفَاروقُ، ثُمَّ عُثمانُ ذو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَليُّ بنُ أبي طَالبٍ -رضي اللَّهُ تعالى عن الجَميع-.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٢٢) (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، ومسلم (٢٢١) (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

- ثُمَّ بَقيَّةُ العَشرةِ المُبشَّرِينَ بِالجنَّةِ.

- ثُمَّ أَهلُ بدرٍ: الذين شَهِدوا غَزْوةَ بدرٍ.

- ثُمَّ أَهلُ بَيْعةِ الرِّضوانِ: الذين بَايَعوا النَّبيَّ ﷺ تحتَ الشَّجرةِ ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فاللَّهُ ﷻ أخبرَ أنَّه رَضِيَ عَنهم، ثُمَّ يأتِي وَاحِدٌ من الفَسَقَةِ والفَجَرَةِ ويَذمُّ الصَّحابةَ! قَبَّحَ اللَّهُ أهلَ السُّوءِ وَالضَّلالِ.

- ثُمَّ الَّذِينَ أَسْلَموا قَبْلَ فَتحِ مكَّةَ أَفْضَلُ من الَّذِينَ أَسْلَموا بعدَ الفَتْحِ، قَال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، (وَكُلًّا)؛ يَعني: الَّذِينَ أَسْلَموا قبلَ الفَتْحِ والَّذِين أَسْلَموا بعدَ الفَتْح، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وَهِي الجنَّةُ.

فَالصَّحابةُ لا يَلْحقُهم أَحَدٌ فِي الفَضْل مَهْمَا عَمِلَ، ولكنْ حَسْبُه أنْ يُحِبَّهم وَيقتَدِيَ بِهم ويُثْنِيَ عَليْهم، وألَّا يَنْتَقِصَ أَحَدًا مِنهم، ولا يَتلمَّس أَخْطاءَهم، وَلَا يخوضَ فِيما حَصَل بَينَهم بِسَببِ الفِتنةِ الَّتي دَخلتْ عَليهِم، وَجرَّها عَليهِم الأَشْرارُ مِن غَيرِ اختيارِهم، فَلا يحلُّ لأحدٍ أَنْ يَخُوضَ فِي شَأْنِ الصَّحابةِ إِلَّا بالثَّناءِ والاسْتغفارِ لهُم، والتَّرحُّمِ عَليهِم، والاقتِداءِ بِهم، ومَحبَّتِهم؛ لأنَّ اللَّهَ يُحِبُّهم، والرَّسولَ ﷺ يُحِبُّهم، فَنَحنُ نُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ، ومَن يُحِبُّهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ.

ثُمَّ إنَّ هَذا الدِّينَ مِنْ أَيْنَ وَصَل إِلينا؟ هَذا القُرآنُ وهَذِه السُّنَّة، أَلَيْسَتْ عَنْ طَرِيقِ الصَّحابَةِ؟

فهُم الوَاسِطةُ بَيْنَنا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وهُم الَّذِين بَلَّغوا الدِّينَ لَمَّا تَحَمَّلوهُ

عَنْ الرَّسُولِ ﷺ وبلَّغوهُ لَنا بأَمانةٍ، كلُّ حَديثٍ تَجدُ فِيهِ عَن فُلانٍ عن فُلانٍ عَن صَحابيٍّ، فهُم الوَاسِطةُ بَينَنا وبَينَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تَبْلِيغِ الدِّينِ، الذين حَفِظُوا لنَا سنَّتَه، وحَفِظُوا لَنا القُرآنَ، وبَلَّغُوه لنَا.

ثُمَّ مَنْ هُم الَّذينَ نَشَروا الإسلامَ بِجِهادِهم ودَعوَتِهم فِي المَشارِقِ والمَغَارِبِ؟

أليْسوا هُم صَحابةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! مَن هُم الَّذينَ قَمَعُوا المُرتَدِّينَ والمُعتَدينَ بعدَ وَفاةِ الرَّسولِ ﷺ؟ أَلَيْسوا هُم الَّذينَ ثبَّتَ اللَّهُ بِهِم هَذا الدِّينَ لمَّا أَراد أَهلُ الشرِّ اسْتِغلالَ وَفاةِ الرَّسُولِ ﷺ، وأَرادُوا التَّشْكِيكَ فِي الدّينِ ورِدَّةَ النَّاسِ وصَرْفَهم عَنْه؟! ثبَّتَ اللَّهُ هَذا الدِّينَ بِصَحابةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقيَادَةِ أَفْضلِهم وَخَيرِهم أَبي بَكرٍ الصِّديقِ رضي الله عنه.

هَذه بعضُ فَضائِلهم ومَناقِبهم رضي الله عنهم.

وَالسَّببُ الَّذي جَعَلَ المُصنِّفِينَ فِي العَقائِدِ يَذْكُرونَ هَذه المَسألةَ هُو: الرَّدُّ عَلى الفِرقِ الضَّالَّةِ المُعادِيةِ للإسلامِ، الَّتي تُرِيدُ أَنْ تَطْعنَ فِي الإسلامِ، وَلَمْ تَجِدْ طَرِيقًا أَقْربَ مِن الطَّعنِ فِي الصَّحابَةِ؛ لأَنَّهم هُم الَّذين حَمَلوا هَذا الدِّينَ وبَلَّغوهُ للأُمَّةِ، فَإذا طَعنُوا في الصَّحابَةِ -وهُمْ الواسِطةُ بَينَنا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تَبْلِيغِ الدِّينِ- فَقَد طَعَنُوا فِي دِينِ الإسلامِ، وأَنَّه لَمْ يَثبُتْ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لأنَّ الَّذينَ نَقلُوهُ لَا يُحْتج بِهِم! هَذا قَصْدُهمْ.

والمُعادُونَ للصَّحابةِ هُم ثَلاثُ طَوائِفَ: الرَّافِضَةُ، والخَوارجُ، والنَّاصِبَةُ، لكنَّ أَخْبثَهم الرَّافِضَةُ.

- **أَمَّا الخَوارِجُ**: فالَّذي حَمَلَهم عَلَى هَذا هُو التَّشدُّدُ والغُلوُّ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يَكنْ قَصْدُهم الطَّعنَ في الإِسلامِ، فهُم فَعَلُوا هَذا عَن غُلُوٍّ وتَطَرُّفٍ وتَشَدُّدٍ، وَلَمْ يَعمَلوهُ طَعنًا فِي الدِّينِ، بلْ إنَّ هَذا -بِزَعْمِهِم- مِن حُبِّهم للدِّينِ وحِرْصِهم عَليه!

- **وَأَمَّا النَّواصِبُ**: فالَّذِي حَمَلهم عَلى سَبِّ بَعْضِ الصَّحابَةِ أَمرٌ سِياسِيٌّ؛ لأَنَّهُم يُريدُونَ بِذلكَ الطَّعنَ في خِلافَةِ عَليٍّ ﷺ لأَمْرٍ سِياسِيٍّ فَحسْبُ، وَأَنَّه لا يَسْتحِقُّ الإِمامَةَ، لَمْ يَكُنْ قَصْدُهم الطَّعنَ في الدِّينِ.

- **أَمَّا الرَّوافِضُ -قَبَّحهمُ اللَّهُ-**: فَقَصْدُهم الطَّعْنُ فِي الدِّينِ؛ لأَنَّهم إِذا ذَمُّوا الصَّحابَةَ وطَعَنوا فِيهم، لَمْ يَبْقَ بَيْنَنا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسِطةٌ، والدِّينُ مَا جَاءَنا إِلَّا عَنِ الصَّحابَةِ، وهُم فِي نَظرِ الرَّافِضَةِ لا يُحتجُّ بِقَولهم! فَإِذن هَذا طَعنٌ فِي الدِّين، هَذا قَصْدُهم.

وَقد سَبقَ الكَلامُ عن فَضائِلِ الصَّحابةِ، وأَنَّهم يَتفاضَلونَ فيمَا بَينَهم، فَهُم يَشتَرِكُونَ فِي فَضلِ الصُّحبَةِ، ولَا يُشارِكُهم فِي هَذا الفَضْلِ أَحدٌ، وَلا يَلحقُ بِهم أَحدٌ، لكنْ هُم فِيما بَينَهمْ يَتفاضَلون، بَعضُهم أَفضلُ مِن بَعضٍ، وَإِذا ذَكرنا أَنَّ بَعضَهم أَفضلُ من بَعض فَليسَ معنَى هَذا أَنَّا نَنْتِقصُ المَفضولَ، فَلا يَجوزُ أَنْ نَنتقِصَ المَفضولَ، وهُو صَحابِيٌّ من صَحابَةِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ.

وَسبقَ بيانُ أَنَّ أَفضلَ الصَّحابِة هُم الخُلفاءُ الرَّاشِدونَ الأَربعَةُ، قالَ ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»**[1]، فالَّذي سمَّاهم الخُلفاءَ الرَّاشدينَ هُوَ

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٧).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأمَرَ بالتمسُّكِ بسنَّتِهم؛ لأنَّهم يَسيرُونَ عَلى سُنَّته ﷺ، ويُثبِتُونَها ويَنشُرونَها بِما أَعطاهم اللَّهُ مِن العِلمِ والسُّلْطَة والوِلايَةِ.

وَأَفضلُ الخُلفاءِ الأَرْبعةِ: أَبُو بَكرٍ، ثمَّ عُمرُ، وهَذا بِإجماعِ المُسلمينَ.

واختَلفوا فِي عليٍّ وعُثمانَ رضي الله عنهما أيِّهما أَفضَلُ؟ فقومٌ فَضَّلُوا عُثمانَ، وقومٌ فَضَّلوا عليًّا، وقومٌ تَوقَّفوا في التَّفضيلِ.

أَمَّا فِي الخِلافَةِ فالأُمَّةُ مُجمِعةٌ عَلى أَنَّ الخِلافَةَ بعدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لأَبي بكرٍ، ثم لعُمرَ، ثم لعُثمانَ، ثم لعَليٍّ -رضي اللَّه عنهم أجمعين- هَذا هُو تَرتيبُ الخِلافَةِ بِالإجماعِ.

قالَ شيخُ الإسلامِ -رحمه اللَّه تعالى- فِي «العَقيدَةِ الوَاسِطيَّةِ»: «وَمَن طَعنَ فِي خِلافَةِ أَحَدٍ مِن هَؤُلاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِن حِمَارِ أَهلِهِ»[1]، فَيُوجَدُ فرقٌ بينَ مَسألةِ التَّفضِيلِ ومَسألةِ الخِلافَةِ: ففِي مَسألةِ التَّفضِيلِ أجمعَ المُسلِمونَ عَلى أَنَّ الأفضَلَ أَبو بكرٍ ثمَّ عمرُ، واختَلفوا فِي عليٍّ وعُثمانَ أَيُّهما أَفضلُ.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ عُثمانَ أَفضلُ. لكنْ نظرًا لوُجودِ الخِلاف يُذكرُ الخِلافُ، وإِلَّا فَلا شكَّ أن الأصحَّ أَنَّ عُثمانَ رضي الله عنه أَفضلُ؛ بِدليلِ أنَّ أَصْحابَ الشُّورى قدَّموا فِي الخِلافَةِ عُثمانَ عَلى عليٍّ رضي الله عنهما.

وَمَسألةُ التَّفضيلِ بينَ عُثمانَ وعَليٍّ رضي الله عنهما أمرُها سهلٌ، لكنَّ الطَّعنَ في الخِلافةِ ضَلالٌ؛ لأنَّ الرَّافضةَ يَقولونَ: الخَليفةُ بعدَ رَسولِ اللَّهِ هُو عليٌّ، وهو الوَصِيُّ،

---

(١) انظر «العقيدة الواسطية» (ص١٩٣) بشرح المؤلف -حفظه اللَّه تعالى-.

وإنَّ الصَّحابةَ ظَلموهُ واغتصَبوا الخِلافَة! ويَلعنونَ أَبا بكرٍ وعمرَ، ويُسمُّونَهما صَنمَي قُريشٍ!! فَهَذا لا شكَّ أَنَّهُ ضلالٌ وكُفرٌ ومُخالفةٌ للإِجماعِ، فالخَليفةُ بعدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُو أَبو بَكرٍ، ثُمَّ عمرُ، ثُمَّ عُثمانُ، ثُمَّ عَليٌّ -رضي اللَّه عنهم أجمعين-.

وَأَبو بكرٍ ﷺ هُو أفضلُ الخُلفاءِ، وقَد أَثنى اللَّهُ عليهِ بِقولهِ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النور: ٢٢]، وَهَذهِ الآيةُ نَزلتْ فِي أَبِي بكرٍ ﷺ لمَّا أَقسَمَ أَلَّا يُعطِي مِسْطحَ بنَ أُثاثَةَ شَيْئًا مِن المَالِ، وكَان قَرِيبًا لَه يُنفِقُ عَليهِ، فلمَّا انخدَعَ بالَّذِينَ تكلَّموا فِي الإِفكِ وصدَّقَهم وتكلَّم معَهم، غَضِبَ عَليهِ أَبو بَكرٍ، وأَقْسَمَ أَلَّا يُعطِيَه، فأَنزلَ اللَّهُ هَذه الآيةَ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: يَعني: لَا يَحْلِف، ﴿أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ﴾ فَوَصَفَ أَبا بكرٍ بِأَنَّهُ مِن أُولي الفَضْلِ[1].

وَفِي الآيةِ الأُخْرَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠]، مَن هُما الاثنانِ؟ الرَّسولُ ﷺ وأَبُو بَكرٍ. هَذا بالإِجْماعِ، ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾: أثبتَ لَه صُحبتَه لرسُولِ اللَّهِ ﷺ.

---

(١) قصة مسطح ﷺ مع أبي بكر ﷺ في منع النفقة، رواها البخاري في حديث الإفك الطويل (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠، ٤٧٥٧)، ومسلم (٥٦) (٢٧٧٠) من حديث عائشة ﷺ، وفيه: (قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه: واللَّه لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعدما قال لعائشة، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، فقال أبو بكر: بلى واللَّه إني لأحب أن يغفر اللَّه لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه...). اهـ

فأبو بكرٍ هُو أَفضلُ الصَّحابَةِ؛ كَما نَطقتْ بهَذا أَحاديثُ صَحِيحةٌ فِي البُخاريِّ وغيرِه[١].

وهُو أَفضلُ هَذهِ الأُمَّةِ؛ وَذلكَ لِسابقَتِهِ فِي الإِسلامِ ومُناصَرتِهِ للرَّسُولِ ﷺ ومُلازمتِهِ لَه، ولمَّا مَاتَ الرَّسولُ ﷺ أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلى اختيارِ أَبِي بكرٍ، ولمَّا ارتدَّ مَن ارتدَّ من العَربِ، فالَّذِي ثبتَ فِي وُجوهِهم وَقاتلهُم هُو أَبو بكرٍ، حتَّى ثبَّتَ اللَّهُ بِهِ هَذا الدِّينَ وقمَعَ بهِ أَهلَ الرِّدَّةِ. وفَضَائِلُه كثيرةٌ رضي الله عنه.

ويُسمَّى بالصِّدِّيق. ودَرجةُ الصِّدِّيقينَ بعدَ الأنبياء، قَالَ تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، والصِّدِّيقُ: هُو كثيرُ الصِّدْقِ، والمُبالِغُ في الصِّدْقِ، قَال ﷺ: «**لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا**»[٢].

---

(١) من الأحاديث في فضل أبي بكر رضي الله عنه وسابقته:
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم...) رواه البخاري (٣٦٥٥)، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٦٧) وفيه: (فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره)، وعن علي رضي الله عنه قال: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث)، رواه أحمد وابنه عبد اللَّه في «المسند» من طرق (١/ ١٠٦)، ورواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٧٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٥١) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٠١) (٢/ ٥٧٠).
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عنه عن النبي ﷺ قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر» أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٥)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١/ ١٠١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٢٤)، والخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٤٣٨).

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (١٠٢) (٢٦٠٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ثُمَّ مِن بَعدِه: عمرُ الفَارُوقُ، وَسُمِّيَ بِالفَاروقِ؛ لأنَّ اللَّهَ فرَّقَ بِهِ بينَ الحَقِّ والبَاطِلِ، لمَّا أسلمَ بعدَ حَمزَةَ اعتزَّ الإِسلامُ بإسلامِهِمَا، وقَبْلَ إِسلامِ حَمزَةَ وعُمرَ رضي الله عنهما كَانَ المُسلِمونَ مُستَضْعَفِينَ ومُختَفِينَ في دَارِ الأَرقَمِ، فلمَّا أسلمَ حَمزَةُ وعمَرُ رضي الله عنهما خَرجوا معَهما إِلى المَسْجِدِ الحَرامِ، وكَانَ لَا أَحدَ يَقرَبُهم ومَعهم حَمزةُ وعمرُ رضي الله عنهما حِينئِذٍ أعزَّ اللَّهُ الإِسلامَ بِهما، وقَال ابنُ مَسعودٍ رضي الله عنه: «مَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»[1]، فأعزَّ اللَّهُ بِهِ الإِسلامَ، ولِذلكَ سُمِّيَ بالفَارُوقِ[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٤، ٣٨٦٣)، وانظر «البداية والنهاية» (٣/ ٧٩) ط. مكتبة المعارف، و«الكامل» (١/ ٦٠٢) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) **قال ابن الأثير في «الكامل» (٢/ ٤٤٩)**: «وسماه النبي ﷺ الفاروق، وقيل: بل سماه أهل الكتاب».

قال الطبري (٢/ ٥٦٢): «وكان يقال له: الفاروق، وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك فقال بعضهم: سماه بذلك رسول اللَّه ﷺ وعزاه لعائشة رضي الله عنها.

وقال ابن شهاب: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق، وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم...».

وقال في «سمط النجوم العوالي» (٢/ ٤٩٤): أخرج ابن سعد عن أيوب بن موسى قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وعمر الفاروق فرق اللَّه به بين الحق والباطل».

وفي «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص١١٣) ط. السعادة: (عن ابن عباس قال: سألت عمر: لأي شيء سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام فخرجت إلى المسجد ...) وذكر قصة إسلامه، وفي آخرها: (فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلت المسجد فنظرت قريش إليَّ وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول اللَّه ﷺ (الفاروق) يومئذ؛ لأنه أظهر الإسلام وفرق بين الحق والباطل) [أخرجه أبو نعيم في «الدلائل»، وابن عساكر] اهـ.

وهوَ الخَليفةُ الثَّاني، وهُو أفضلُ الصَّحابةِ بعدَ أبي بكرٍ الصِّديقِ؛ كَما في البُخاريِّ، وغيرِه[١].

وهُما وَزيرا رَسولِ اللَّهِ ﷺ، أيْ المُستشَاران للرَّسُولِ ﷺ. والوَزيرُ: هُو المُؤازِرُ والمُؤيِّدُ لوليِّ الأمرِ، قالَ اللَّهُ -جلَّ وعَلا- فِي مُوسى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥]، يُؤازِرُه؛ لأنَّ مُوسى دَعا ربَّه فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩- ٣٢]، هَذا هُو الوَزيرُ. الذي يُشارِكُ في الرَّأْي ويُؤازِرُ وَليَّ الأمرِ ويُشيرُ عَليه بالنُّصحِ، فَأبُو بكرٍ وعُمرُ هما وَزِيرا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَما أنَّ هارونَ وَزِيرُ مُوسَى عليه السلام.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (ثُمَّ عُثْمَانُ الأَرْجَحُ): الثَّالثُ في الفَضْلِ هُو: عُثمانُ رضي الله عنه، وَهُو مِن أولِ السَّابقينَ الأوَّلينَ إلى الإسلامِ، هَاجرَ الهجْرَتَينِ: هَاجرَ إلى الحَبَشةِ، وهَاجر إلى المَدينَةِ، وأَنفقَ الأموالَ فِي سَبيلِ اللَّهِ عز وجل وحَفر بِئرَ رُومَةَ للمُسلمينَ، قالَ ﷺ: «**مَنْ يَحْفِرْ هَذَا الْبِئْرَ وَلَهُ الجَنَّةَ**»[٢]، فحفرَها عُثمانُ رضي الله عنه، وأوقفَها للمُسلمينَ، وجَهَّزَ جَيشَ العُسْرَةِ بكَامِلِهِ مِن مَالِهِ، وهُو الذي تولىَّ الخِلافَةَ بعدَ عُمرَ بإجماعِ أَصْحابِ الشُّورَى الَّذِينَ عَهِدَ إليهم عَمرُ رضي الله عنه، فَبايعوه وبَايَعَهُ المُسلِمونَ.

---

(١) روى البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٨) (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ فقال: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، فقلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟ قال: «**عمر بن الخطاب**».

(٢) رواه البخاري (٢٧٧٨) في كتاب الوصايا، وعلقه في مناقب عثمان رضي الله عنه قبل حديث (٣٦٩٥).

وَهُوَ أيضًا زَوجُ بِنتي الرَّسولِ ﷺ: رُقَيةُ وأمُّ كُلثومٍ، ولِذلك يُسمَّى ذا النُّورَينِ؛ لأنَّه تَزوَّجَ بنتي الرَّسولِ ﷺ.

ولمَّا أرسَله رَسولُ اللَّهِ ﷺ إلى مَكَّةَ يُفاوِضَ المُشرِكينَ وأُشيعَ أنَّه قُتلَ، بايَع لهُ الرَّسولُ ﷺ بيدِه، وقَال: «وَهَذِهِ لِعُثْمَانَ»[1]، وتمَّت البَيْعَةُ وهُو غَيرُ حَاضِرٍ؛ لأنَّه في مكَّةَ.

وَهُو الَّذي كتبَ المُصْحفَ الإمامَ -المُسمَّى مُصحَفَ عُثمانَ- بالرَّسْمِ العُثمانيِّ، الذي عَليهِ المَصاحِفُ اليومَ. ففَضائِلُهُ كَثيرةٌ رضي الله عنه.

قولُ النّاظم -رحمه اللَّه تعالى-:

(**وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ بِالخَيْرِ مُنْجِحُ**): ثمَّ مِنْ بعدِ عُثمانَ فِي الفَضْلِ عَليُّ بنُ أَبِي طَالبٍ، أميرُ المُؤمنينَ، ابنُ عمِّ الرَّسولِ ﷺ، وزَوجُ ابنتِهِ فَاطمةَ، الذي قَال لَه النبيُّ ﷺ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[2]، هَذا فِي غَزوَةِ تَبوكٍ، لمَّا خلَّفهُ ﷺ فِي المَدينةِ شَقَّ عَليهِ أنْ يَتخلَّفَ، فالنَّبيُّ ﷺ أقنَعه، وَقالَ لَهُ: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**»؛ لأنَّ مُوسى لمَّا ذَهَبَ إِلى مَوْعِدِ ربِّهِ استَخلَفَ هَارُونَ، وقالَ له: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الأعراف: ١٤٢]. استَخلفَ النَّبيُّ ﷺ عليًّا رضي الله عنه مِنْ بعدِه فِي هَذه النَّازِلةِ لَا أَنَّه الخَليفةُ بعدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ، كَما تقولُه الرَّافِضَةُ،

(١) قصة المبايعة رواها البخاري (٣٦٩٨) و(٤٠٦٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢٨٦-٣١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، (٤٤١٦)، ومسلم (٣٢)(٢٤٠٤) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

فالرَّسُولُ ﷺ فعلَ مَع عليٍّ رضي الله عنه لمَّا ذَهبَ إلى تَبوكٍ مثلَما فعلَ مُوسى مَعَ هَارونَ عليه السلام لمَّا ذهبَ لميعاد ربِّه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، فهَذا مِن فَضائِلِهِ رضي الله عنه.

وهو الَّذي قَاتَلَ الخَوارجَ، وقَضَى على فِتنَتهم وأراحَ المسْلمينَ مِنْ شَرِّهم وتحقَقتْ فِيه بُشْرىَ الرَّسُولِ ﷺ فِي قَتْلِهم.

وهو أوَّل من أسْلمَ مِنْ الصِّبيْانِ، فأول من أسلم من الصبيان الأحرار علي رضي الله عنه، وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنه، وأول من أسلم من العبيد بلال بن رباح رضي الله عنه، وأول من أسلم من النساء خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

فعليٌّ رضي الله عنه مِن السَّابِقينَ الأوَّلينَ إلى الإسلامِ، وزَوجُ ابنةِ الرَّسولِ ﷺ فَاطِمةَ، وَأبو الحَسنَيْنِ: الحسنُ بنُ عليٍّ، والحُسينُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما، سَيِّدا شَبابِ أَهلِ الجنَّةِ. فلَه فَضائِلُ عَظيمةٌ.

وهُو الذي قالَ فيهِ النَّبيُّ ﷺ يَومَ خَيبَرَ: **«لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»**[1]، فاستشرَفَ الصَّحابَةُ كلٌّ مِنهم يُريدُ أنْ يَكونَ هَذا الشَّخصَ الذي أخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّه يُحبُّ اللَّهَ ورَسُولَه، ويُحبُّه اللَّهُ ورسولُه، فَإذا هُوَ عليٌّ رضي الله عنه، فهَذا من فضائله العظيمة -رَضِيَ اللَّهُ عَن الجَميعِ-.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩) و(٣٧٠١) و(٤٢١٠)، ومسلم (٣٤) (٢٤٠٦) من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه.

[فَضْلُ بَاقِي العَشرَة المُبشِّرينَ بالجَنَّةِ]

١٧- وَإِنَّهُمْ لَلرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ
عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّوْرِ تَسْرَحُ

١٨- سَعِيْدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ
وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ

الشرح:

قولُه: (وَإِنَّهُمْ لَلرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ): الرَّهْطُ: هُم الجَماعةُ دونَ العَشرةِ، ويُقصَدُ بهم هُنا العَشرةُ المُبشَّرونَ بالجنَّةِ[1].

(عَلىَ نُجُبِ الفِرْدَوْسِ): أي: عَلى نُوقٍ من الجنَّةِ.

(بِالنُّورِ تَسْرَحُ): تَسْرَحُ بِهِم حَيثُ شاءُوا.

لمَّا ذكَرَ الخُلفاءَ الأَرْبعةَ ﷺ ذكَر هنا بَقيَّةَ العَشَرةِ المَشهودِ لهُم بالجنَّةِ، وهُم السِتَّةُ البَاقُونَ مِن العَشرةِ:

أَوَّلُهم: (سَعِيدٌ): وهو: سعيدُ بنُ زَيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفيلٍ، ابنِ عمِّ عمرَ بنِ

(١) انظر في فضل العشرة المبشرين بالجنة: «سنن أبي داود» (٤٦٤٩، ٤٦٥٠)، الترمذي (٣٧٤٨، ٣٧٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٦٣٠)، وابن ماجه (١٣٤)، وأحمد (١/ ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩)، وابن أبي عاصم (١٤٢٨، ١٤٣١)، والحاكم (٣/ ٣١٦) من حديث سعيد بن زيد ﷺ.

الخَطَّاب، وزوجِ أختِ عُمرَ -رَضِيَ اللَّه عَنْهم وأَرْضاهُمْ-.

الثَّاني: (**وَسَعْدٌ**): وهو: سعدُ بنُ أبي وقاصٍ الزُّهريُّ ﷺ.

الثَّالِثُ: (**وَابْنُ عَوْفٍ**): وهو: عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوفٍ ﷺ، وهُو من أَثْرياءِ الصَّحابَةِ، ومن الذينَ يُنفِقونَ فِي سَبيلِ اللَّه ﷻ الإنفاقَ الكثيرَ.

الرَّابعُ: (**وَطَلْحَةٌ**): وهو: طَلْحةُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ ﷺ.

الخامِسُ: (**وَعَامِرٌ**): وهو: أَبُو عُبيْدةَ، عامِرُ بنُ الجَرَّاحِ ﷺ، أمينُ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ و(**فِهْرٍ**): مِن أجْدادِ النَّبيِّ ﷺ، وَمِن آباءِ القُرَشِيِّينَ.

السَّادِسُ: (**وَالزُّبيْرُ المُمَدَّحُ**): وهو: الزُّبيرُ بنُ العوَّام ﷺ، حَوارِيُّ رَسولِ اللَّهِ ﷺ.

هَؤلاءِ السِّتَّةُ، معَ الخُلفاء الأَربعةِ، صَاروا عَشرةً مُبشَّرين بالجنَّةِ، وهُم أَفضَلُ الصَّحابَةِ، وَكُلُّ هَؤلاءِ العَشرةِ من قُريشٍ.

* * *

[إِحْسَانُ القَوْلِ في الصَّحَابَةِ ﷺ وَحُكْم الطَّعْنِ فِيهم]

١٩- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الْصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ
وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ

٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِيْنُ بِفَضْلِهِم
وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الْصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

الشرح:

ذَكر هُنا بقيَّةَ الصَّحابَةِ بعدَما ذَكر العَشرةَ المُبشَّرِينَ بالجنَّة، فَقالَ: (وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ): حتَّى لا يُظنَّ أنَّ ذِكْرَ الفاضِلِ من الصَّحابَةِ تَنَقُّصٌ للمَفضُولِ، بَلْ كُلُّهم صَحابةُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، ولهم فَضلُ الصُّحبةِ والمُناصرةِ للرَّسُولِ ﷺ، والتلقِّي عَنْه، فَقَد رَأَوا الرَّسولَ، وآمَنُوا بهِ، واجتَمعُوا بهِ، وصَلَّوا خلفَه، وسَمِعوا قولَه -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ-.

قوله -رحمه اللَّه تعالى-: (فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ): في صحابة رسول اللَّه ﷺ، بأن تُثنيَ عليهِم وتمدَحهم؛ لأنهم يستحقون هذا المدح والثناء.

(وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ): لا يَجُوزُ تنقُّصُ أَحدٍ مِنهم، أو التماسُ العُيوبِ لهَم؛ كَما تَفعلُ الرَّافِضَةُ -قبَّحهم اللَّهُ- فإنهم أعداءُ الدين وأعداءُ الأمة وأعداء الملة، وكما تفعل الخوارج الذين يكفرون الصحابة.

(فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ): الوَحْيُ يَشْمَلُ القرآنَ والسنةَ، فقَد نطَقَ

الوحيُ: قُرآنًا وسنةً بفضلِ صَحابةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فالذي يَطعنُ فيهم مُكَذِّبٌ لِكتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ رسولِه ﷺ قَالَ تَعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وفِي سُورةِ الفَتْحِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، ثَناءٌ متكرِّرٌ عَلى صَحابةِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فِي أَوَّلِها يقول تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ [الفتح: ١٠]، وقَال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

وَقال فِي آخِرِها: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ يَعني: صِفتُهم ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: التي نَزلتْ عَلى مُوسى -عَليْه الصَّلاةُ والسَّلامُ-.

﴿وَمَثَلُهُمْ﴾: أي: صِفَتُهم ﴿فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾: الذي نَزل عَلى عِيسى -عَليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ-. ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩]، هَذهِ صِفتُهم فِي التَّوراةِ، وصِفَتُهم فِي الإِنْجيلِ.

وقَال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾: فدلَّ عَلى أَنَّ الذي يَغتاظُ من الصَّحابةِ أَوْ يُبْغِضُهم أنَّه كَافِرٌ، بنصِّ هَذهِ الآيةِ الكَريمَةِ.

* * *

[فَضْلُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ ﷺ]

٢١- وَسِبْطَيْ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنَيْ خَدِيجَةٍ
وَفَاطِمَةٌ ذَاتُ النَّقَاءِ تَبَحْبَحُوا

الشرح:

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَسبطي رَسُول اللَّه)؛ يعنِي: الحَسنَ والحُسينَ رضي الله عنهما.

والسِّبْطُ: هو ابنُ البِنْتِ، والحَفِيدُ: هو ابنُ الابنِ، فالحَسَنُ والحسين هما سِبطا رسولِ اللَّهِ ﷺ[1]، أي: ابنا بنتِهِ فَاطمةَ، وهُما **«سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»**[2]؛ كَما قَال النَّبيُّ ﷺ.

---

(١) وردت هذه التسمية في «المعجم الكبير» للطبراني (٢٦٧٦) (٣/ ٥٨) عن جابر وابن عباس من قول الحسن والحسين. وفي «المعجم الأوسط» (٦٥٤٠) (٦/ ٣٢٧) مرفوعًا: **«ومنا سبط هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين»**. وانظر «المعجم الصغير» (٩٤) (١/ ٧٥).

(٢) رُوي هذا الحديث عن عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم حتى قال السيوطي: هذا متواتر. انظر «فيض القدير» (٣/ ٤١٥).

وقد ورد عن عدد من الصحابة منهم: أبو سعيد الخدري عند الترمذي (٣٧٦٨) وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرى» (٨١١٣)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٦٦)، وابن حبان (٦٩٥٩- الإحسان)، وورد عن ابن عمر رضي الله عنهما عند ابن ماجه في «السنن» (١١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٦٧)، وعن ابن مسعود عند الحاكم (٣/ ١٨٢)، وعن جابر وحذيفة وأبي هريرة وعلي وعمر رضي الله عنهم عند الطبراني في «الكبير» (٢٦١٦، ٢٦٠٨، ٢٦٠٤، ٢٦٠١، ٢٦١٧، ٢٦١٨، ٢٥٩٨).

قولِه: (وَابْنَي خَدِيجَة): أولادُ الرَّسولِ ﷺ كلُّهم من خَديجَةَ، ما عدا إبراهِيمَ، فهو من مَارِية القِبطيَّة، وأمَّا بقيةُ أولادِ الرَّسولِ ﷺ فكلُّهم من خَدِيجةَ، ﵂، وله منها ابنان مَاتا في حياته -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- في مكةَ.

قوله: (وَفَاطِمَةُ...): هي فاطمة بنتُ الرَّسولِ ﷺ، وكان النبيُّ ﷺ يحبها، وكانتْ إذا أَقبلتْ قامَ إِليْها وَقَبَّلها، وأَجْلَسها إلى جَنْبِهِ.

* * *

[فَضْلُ أُمِّ الْمُؤْمِنينَ عائشة وَمُعَاوِيَةَ رضي الله عنهما]

٢٢- وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَالُنَا
مُـعَـاوِيَـةٌ، أَكْـرِمْ بِـهِ ثُـمَّ امْـنَـحُ

الشرح:

قولُه: (وَعائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ): التي هِي أَحبُّ النِّساءِ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وأَحَبُّ الرِّجالِ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُو أبوهَا أَبو بكرٍ الصِّديقُ رضي الله عنه[1].

قولُه: (وَخَالُنَا مُعَاوِيَةٌ): مَعاويةُ بنُ أَبي سُفيانَ رضي الله عنه، الصَّحابيُّ الجَليلُ، كَاتِبُ الوَحْي، كانَ يَكتبُ القُرآنَ للرَّسولِ ﷺ.

وكَان خَالَ المؤمنين؛ لأنَّ أُختَه أمَّ حبيبةَ زَوجُ النبيِّ ﷺ، فهو خَالُ المؤمنين، بِمعنى أنَّه أخُو أُمِّ المُؤمنينَ. وهذا من فَضائِلِه رضي الله عنه.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢، ٤٣٥٨)، ومسلم (٨) (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

[فَضْلُ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ]

٢٣- وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ
بِنُصْرَتِهِمْ عَنْ كَيَّةِ النَّارِ زُحْزِحُوا

الشرح:

وَالمُهاجِرونَ والأَنصارُ -أَيضًا- لهم فَضْلٌ عَظيمٌ؛ كَما فِي قولِه -جلَّ وعَلا-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

- المُهاجِرونَ: الذين هَاجَروا مِن مكَّةَ إلى المَدينةِ، هَاجَروا مِن أَوطانِهم لنُصرةِ الإِسلامِ.

- وَالأَنصارُ: الذين نَاصروا رَسولَ اللَّهِ ﷺ وآوَوا إِخوانَهم فِي دَار الهِجْرَةِ.

وَهَذا مَذكورٌ فِي سُورةِ الحَشْرِ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

ثم قال في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

قولُه: (بِنُصْرَتِهِمْ عَنْ كَيَّةِ النَّارِ زُحْزِحُوا): أَنقَذهم اللَّهُ من النَّارِ بِصُحبتِهم للرَّسولِ ﷺ.

* * *

[فَضْلُ التَّابِعِينَ وَالأَئِمَّةِ المَتْبُوعِينَ]

٢٤- وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لِحُسْنِ مَآخِ
وَأَفْعَالِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا

٢٥- وَمَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ ثُمَّ أَخُوهُمُ
أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ الْمُسَبِّحُ

٢٦- وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ
إِمَامَا هُدًى مَنْ يَتْبَعِ الْحَقَّ يَنْصَحُ

٢٧- أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمُ
فَأَحْبِبْهُمْ فَإِنَّكَ تَفْرَحُ

الشرح:

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالتَّابِعُونَ لحُسْنِ مآخذ): ومِن بعدِ الصَّحابةِ التَّابعونَ، قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله: ﴿ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ يَشملُ كُلَّ مَنْ تَبعهم بإحسان إلى يومِ القِيامَةِ، ولكنْ إذا أُطلق التَّابعيُّ فالمُرادُ به مَن تتلمذَ عَلى الصَّحابِي وأَخذَ عنه.

وَإِلَّا فاسمُ التابع عمومًا يَشمل كُلَّ مَن اتَّبع وَسار عَلى نَهج صَحابَةِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ من الأَوَّلين -الذين بعدَ الصَّحابةِ- والآخِرينَ، ولهَذا قال -جلَّ وعَلا- لَمَّا

ذكر المُهاجِرينَ والأنصارَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وهَذه الآيةُ فيها ردٌّ عَلى الرَّافِضةِ الذين يُبغِضونَ صَحابةَ رَسولِ اللَّه ﷺ بِقُلوبِهِم يَتكلَّمونَ فِيهِمْ بِألسِنَتِهم، ويَلعَنونَ ويُكَفِّرون صحابةَ رَسُولِ اللَّه ﷺ ولهَذا قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -رحمه اللَّه تعالى-: **«وَمِنْ أُصولِ أهلِ السنَّةِ والجَماعَةِ: سَلامَةُ قُلوبِهِمْ وأَلسِنَتِهِمْ لأَصْحابِ رَسُولِ اللَّه ﷺ»**[1]: سَلامَةُ قُلوبِهم؛ لِقولِه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾، وسَلامةُ ألسنتِهم؛ لِقولِه: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، فهَذه الآيةُ فيها سَلامةُ القُلوبِ والألسُنِ لصَحابَةِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ. هَذا مَنهجُ التَّابِعينَ لهُم بإِحسانٍ.

أمَّا من يُجرِّحُ، ويلتمسُ العُيوبَ، ويُشكِّكُ في فضلِ الصَّحابةِ أو يُكفِّرُهُم أو يَلعنُهم، فهَذا مُخالفٌ لهدي الإسلامِ، ومُعادٍ لدينِ الإسلامِ، ومُعادٍ للرَّسولِ ﷺ، لأنَّهُ إذا طَعنَ في صحابةِ الرسولِ ﷺ طعنَ في الرسول ﷺ وطَعن في القُرآنِ الذي يُثني عَليهم ويَمدحُهم.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَمَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ ثُمَّ أَخُوهُمُ أَبُو عُمْرٍو والأَوْزَاعِيُّ ذَاكَ المُسَبِّحُ):

يذكر المؤلفُ -رحمه اللَّه تعالى- فضائلَ الأئمةِ، ومِنهم هَؤلاءِ الأئمة:

---

(١) العقيدة الواسطية، ضمن مجموع الفتاوى: (٣/ ١٥٢). وانظر: العقيدة الواسطية مع الشرح، للمؤلف -حفظه اللَّه تعالى- (ص١٨٤).

(وَمالِكُ): وهو: مَالكُ بنُ أَنسٍ، إمامُ دارِ الهجْرَةِ.

(والثَّورِيُّ): وهو: سفيانُ الثَّوريُّ.

(....الأَوْزَاعِيُّ): إمامُ أهلِ الشَّامِ.

(وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَالشَّافِعِيُّ): هو: الإمامُ محمد بن إِدريس الشافعي.

(وَأَحْمَدُ): هُو الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ.

قولُهُ: (فَأَحِبْهُم فَإِنَّكَ تفْرَحُ): تحبُّ السَّلَفَ الصَّالِحَ، وأَئِمَّةَ الإِسلامِ، فإنَّ هذا عَلامةُ الإِيمانِ.

ولم يذكر المُصنِّفُ أبا حنيفةَ؛ لأن أبا حَنيفةَ قيل: إنَّه من التَّابعينَ؛ لأنَّه أدركَ جماعةً من الصَّحابةِ. وَالصَّحيحُ: أنه مِن أَتباعِ التَّابعينَ، وأَنَّه لم يُدرك الصَّحابةَ، وإنَّما أدركَ التَّابِعينَ، فهُو من القَرنِ الثَّالثِ، من القُرونِ المفضَّلةِ -رحمه اللَّه تعالى- وهو أولُ الأئمةِ الأربعةِ، المتبوعين في الزَّمانِ.

* * *

[الإيمانُ بالقَدَرِ]

٢٨- وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُوْرِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ
دِعَامَةُ عَقْدِ الْدِّيْنِ وَالْدِّيْنُ أَفْيَحُ

الشرح:

الإيمانُ بِالقَدرِ هُو الرُّكْنُ السَّادِسُ من أَركانِ الإيمانِ.

أتى جِبريلُ عليه السلام النَّبيَّ ﷺ، فَقالَ: أخبرني عن الإيمانِ، فقالَ ﷺ: «**الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1]، فجَعلَ ﷺ الإيمانَ بالقَدرِ سَادِسَ أَركَانِ الإيمانِ.

والإيمانُ بالقَضاءِ والقَدرِ هُو: الإيمانُ بِعلمِ اللَّهِ وتَقدِيرِه الأَشياءَ قَبلَ كَونِها، وبِأفْعالِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- وَإِرادتِه ومَشيئتِه وخلْقِه وَإِيجادِه، فهُو أمرٌ عَظيمٌ.

وفِي القُرآنِ الكَريم: قولُه تَعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقولُه تَعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] أيْ: قدَّرَ وُقوعَه وَشاءَ وُجودَه وَخلْقهُ، وقدَّر صِفاتِه وَوقتَه الذي يَقعُ فيه. كلُّ شيءٍ فهُو مُقدَّرٌ من جَمِيعِ الجِهاتِ:

١- مِنْ جِهَةِ العِلْمِ بِهِ.

---

(١) رواه مسلم (١) (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.
ورواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٥) (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- ومن جِهَةِ كِتابتِهِ فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ.

٣- ومِن جِهة مَشيئةِ اللَّهِ لهُ فِي وقتِهِ.

٤- وَمِن جِهَةِ خَلْقِهِ وإِيجادِهِ.

فكلُّ شيءٍ له صِفاتٌ جَعلها اللَّهُ له، لا يَزيدُ عَنْها ولا يَنقُصُ، فهَذا شيءٌ مقدَّرٌ، كَمَا قال -تَعالى- فِي المَطَر: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] المَطرُ مُعلومُ الكَمِّيَّةِ، ومعلومُ مَكانِ النُّزولِ، ووقتِ النُّزولِ فهُو معلومٌ للَّهِ -تَعالى- من جَمِيعِ جِهاتِهِ.

فَما مِن شَيءٍ إِلَّا واللَّه -جلَّ وعَلا- عَلِمه وخلقَه وقدَّره، لم يوجدْ بدونِ خَلْقٍ، ولا مِن غَيرِ سَابِق تَقديرٍ، ومن غيرِ أَنه مَكتوبٌ في اللَّوحِ المحفوظِ، ومن غيرِ أَنْ يشاءَه اللَّهُ -جلَّ وعَلا- ويُريدَه.

فأمورُ الكَونِ ليستْ فوضَى، وإِنَّما هي مُنضبِطَةٌ بتقديرِ اللَّهِ لها وإيجادِهِ لهَا وَمَشيئِته لهَا بصِفاتِها الَّتِي هِي عَليْها، فَهَذا أمرٌ مهمٌ جدًّا.

وَالإيمانُ بالقَضاءِ والقَدَرِ ضَلَّت فيه أَفهامٌ، وزلَّت فيه أَقدامٌ، ممَّن لم ينظُروا في الآياتِ القُرآنِيَّةِ والأحاديثِ النَّبويَّةِ، وإنَّما اعتمَدُوا عَلى عُقولهم وَأفكارِهم، فَتخبَّطوا في القَضاءِ والقَدَر تخبُّطًا فَظِيعًا، وهَدَى اللَّهُ أهلَ السنَّةِ والجَماعَةِ، فآمَنُوا بِه عَلى الوَجْهِ الذي أراده اللَّهُ وفرَضَه عَلى عِبادِهِ، بموجِب نُصوصِ الكِتابِ والسنَّةِ، كَعادتِهم فِي جَمِيعِ أَبوابِ العَقيدةِ.

وَالبحثُ فِي القَضاءِ والقَدرِ يَتضَمَّنُ أُمورًا كَثيرةً:

أَوَّلًا: مَعنى القَضاء والقَدرِ:

القَدرُ هو: تقديرُ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- للأشياءِ وَإِرادَتُه لهَا وإيجادُها في وقتِها.

هَذا مَعنى القَدرِ، وكَذلك مَعنى القَضاء.

وغالبًا يَأتي التَّعبيرُ بِالقَضاء والقَدرِ، وَلَا فَرْقَ بينَهما، إلا أنَّ القَضاءَ أعمُّ من القدرِ[1]؛ لأنَّ القَضاءَ يَأْتي بِمعنى القَدَرِ؛ بمعنى أنَّ اللَّهَ قَدَّرَ الأَشياءَ وقَضاها، ويَأْتي بمعنى الفَصْلِ بينَ النَّاس والحكم بينهم فِيما اختَلفوا فيه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: ١٧].

فالقَضاءُ أعمُّ من القَدرِ، فبينَهما عُمومٌ وخُصوصٌ.

ثَانِيًا: حُكْمُ الإيمانِ بالقَضاءِ وَالقَدرِ:

الإيمانُ بالقَضاءِ والقَدرِ واجِبٌ وفَرْضٌ عَلى المُؤمِنِ؛ لأنَّه رُكنٌ مِنْ أَركانِ الإيمانِ السِّتَّةِ، ولأنَّه إيمانٌ بقُدرةِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- ولهَذا قَالوا: **«القَدَرُ قُدرةُ اللَّه، فمَنْ جَحَدَه، فقد جَحَد قُدرةَ اللَّه -جلَّ وعَلا-»**[2]. وفي بعضِ العِباراتِ: **«القدرُ سِرُّ اللَّه في خَلْقِه»**[3].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لأبي السعادات ابن الأثير (٤/ ٧٨) ط. المكتبة العلمية، و«لسان العرب» لابن منظور (١٥/ ١٨٦)، وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (١/ ٧١).

(٢) انظر: «الإبانة» لابن بطة (٢/ ١٣١) ط. دار الراية للنشر، و«منهاج السنة النبوية» (٣/ ٢٥٤) ط. مؤسسة قرطبة.

(٣) أخرج اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١١٢٢) (٤/ ٦٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٨١) عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تكلموا بشيء من القدر فإنه سر اللَّه=**

والبحثُ في القَضاءِ والقدرِ لا يَجوزُ أنْ يُتعدَّى فِيه مَا جَاءَ فِي النُّصوصِ من الكِتابِ والسنَّةِ، وَالتَّعمُّقُ فيه يُفضِي إلى الضَّلالِ والحَيرةِ؛ لأنه سرُّ اللَّهِ في خَلْقِهِ، فأنتَ حِينَ تتعمَّقُ وتَبحثُ فيه لنْ تَصِلَ إلى نَتيجةٍ؛ لأنَّكَ تَبحثُ عَنْ شيءٍ أَسَرَّه اللَّهُ -جلَّ وعَلا- عَنْ خلقه، وَحسبُك أنْ تُؤْمِنَ به، فمَا تعمَّق فيه أحدٌ ووَصَل إلى نَتيجةٍ، بلْ وَصَل إلى الحَيرةِ والاضْطِرابِ؛ ولذلك حَسبُك أَنْ تتمشَّى مَعَ النُّصوصِ الوَارِدِة في كِتابِ اللَّهِ وسنَّةِ رسولِه ﷺ فِي إثباتِ القَدرِ والإيمانِ بهِ، ويَكفيكَ هذا.

ثالثًا: مَراتِبُ الإيمانِ بالقَضاءِ وَالقَدرِ:

الإيمانُ بالقَضاءِ والقَدرِ يَتضمَّن أربعَ مَراتِبَ:

المَرْتَبَةُ الأُولَى: الإيمانُ بِأَنَّ اللَّهَ عَلِمَ مَا كَانَ ومَا يَكون بِعلمِه الأَزَليِّ الذي هُو مُوصوفٌ به أَزَلًا وَأبدًا.

فمَا مِن شَيءٍ إلَّا ويعلمُه اللَّه -جلَّ وعَلا- يَعلم مَا كانَ ومَا يَكونُ، قالَ تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]، فهُو يَعلمُ مَا يكونُ بينَ

= **فلا تفشوا سر الله»**. وروى نحوه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٨٨) عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا.

وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «القدر سر اللَّه فلا تفشه»، انظر: «الإبانة» لابن بطة (٢/ ١٤١)، و«تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥١٣)، و«فيض القدير» (١/ ٣٤٨)، و«تحفة الأحوذي» (٦/ ٢٧٩).

النَّاسِ مِن الكَلامِ والنَّجوى فيمَا بينَهم وهو -سُبحانَه-: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ٢٣]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وَقال تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

فعِلْمُ اللَّهِ شَاملٌ لمَا كَان ومَا يَكونُ، ومَا لم يكنْ لوْ كَان كيفَ يَكونُ، كلُّه داخلٌ فِي عِلمِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- الشَّاملِ المُحِيطِ بكلِّ شَيءٍ: بالماضِي والحَاضِر والمُستقبَل.

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ تُؤمِنَ وَتَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ في اللَّوحِ المَحْفُوظِ كُلَّ شَيءٍ.

واللَّوحُ المَحفوظِ: لَوحٌ مَخلوقٌ، لا يعلمُ كَيفيَّته وسعَتَه إلَّا اللَّهُ -جلَّ وعَلا- فهُو عِندَه -جلَّ وعَلا- نؤمنُ به، ونُؤمنُ بالكِتابةِ.

وَفِي الحَديثِ: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ -تَبارَكَ وَتَعَالَى- الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلىَ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**»(١)، فجَرى بِما هُو كَائِنٌ إِلى يَومِ القِيامَةِ.

وَفِي الحَديثِ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بْخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلىَ المَاءِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣١٧) واللفظ له، والطيالسي (٥٧٧)، والآجري في «الشريعة» (ص١٧٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٤)، وفي «الأسماء والصفات» (ص٣٨٧) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (١٦) (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

فأيُّهما أَسْبقُ: العَرْشُ أَمِ القَلَمُ؟

١- قَالَ قَومٌ: العَرشُ أَسْبَقُ مِن القَلمِ.

٢- وَقَالَ قَوْمٌ: القَلَمُ أَسْبَقُ مِن العَرْشِ.

٣- وَقَوْمٌ فَصَّلوا، فقالَ ابنُ القيم -رحمه اللَّه تعالى-[1]:

والناسُ مُختلِفونَ في القَلَمِ الَّذِي كُتِبَ القَضَاءُ بِهِ مِن الدَّيَّانِ

هَلْ كَانَ قَبْلَ العَرْشِ، أَوْ هُو، بَعْدَهُ؟ قَوْلانِ عِنْدَ أَبِي العَلا الهَمَذَاني

والحقُّ أَنَّ العَرْشَ قَبْلُ لأنَّه قَبْلَ الكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ

وَكِتَابةُ القَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبتْ إِيجادَه مِنْ غَيرِ فَصْلِ زَمانِ

فَالكتابةُ مُقارنةٌ لوُجود القلمْ، حِينما خلقَه اللَّهُ فَقال له: «اكْتُبْ»، وَأَمَّا من حيثُ الوُجودُ فَالعرْشُ أَسبقُ.

وَهَذا هُو القَولُ الصَّحيحُ؛ لقولِه ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلىَ المَاءِ**»، قدَّرهَا قبلَ الكِتابَة ثمَّ كَتَبها، فالكِتابةُ مُقارنَةٌ لِوجودِ القلم، وَوُجودُ القَلمِ مُتأخِّرٌ عن وُجودِ العَرْشِ، والعَرشُ أَسْبقُ.

وهذه مسألة استطرادية، ولكن لابدَّ من معرفتها؛ لأنها تدخلُ في مرتبة الكتابة، وهي الكتابة العامة الشاملة التي كُتب فيها كلُّ شيء.

وَقد يَسأَلُ سائِلٌ فيقولُ: أليسَ اللَّهُ يَأْمرُ المَلَكَ المُوكَّل بالأجِنَّةِ أَنْ يَكْتُبَ

---

(١) انظر: النونية مع شرح ابن عيسى (١/ ٣٧٣-٣٧٧).

الرِّزْقَ والأَجَلَ وَالشَّقاوَةَ والسَّعادةَ؛ كَما قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحُ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ؛ وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٍ»[1].

الجَوابُ: هَذِهِ الكِتابةُ تَفْصِيلٌ لِلكتابَةِ السَّابِقةِ، وهِي مَأخوذةٌ من الكِتابةِ السَّابِقةِ الَّتِي فِي اللَّوحِ المَحفوظِ.

وَجاءَ -أيضًا- فِي ليلةِ القَدْرِ: أَنَّ اللَّهَ يُقَدِّرُ مَا يَجري فِي السنَةِ مِن حَياةٍ أَو مَوتٍ، أَو جَدْبٍ أَو خِصْبٍ، أَو رُخْصِ الأَسْعارِ أَو غَلاءِ الأَسْعارِ، أَو الحُروبِ، وغيرِ ذَلِكَ[2]، هَذا كلُّه فِي ليلةِ القدْرِ، وَلذلكَ سُمِّيَتْ بِليلَةِ القَدْرِ؛ لأَنَّه يُقدَّر فِيها مَا يَجرِي في السَّنةِ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

فَالجَوابُ عَنْ ذلكَ -كَما سَبَقَ-: أَنَّ الكِتابَةَ فِي لَيلةِ القَدْرِ مَأخوذةٌ من الكِتابَةِ العامَّةِ في اللَّوحِ المَحفُوظِ[3]، فَلا تَنافِيَ وَلا تَعارُضَ بينَ الأَدِلَّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (١) (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) قال الحافظ ابن كثير -رحمه اللَّه تعالى- في قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝﴾ قال: «في ليلة القدر يفصل عن اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روى عن ابن عمر وأبي مالك ومجاهد والضحاك وغير واحد من السلف». اهـ، انظر: تفسير القرآن العظيم (١٢/ ٣٣٤) ط. مؤسسة قرطبة.

(٣) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص٣٤٥) ط. الرسالة. وانظر أنواع الأقلام الأربعة في الشرح المذكور (ص٣٤٨).

وَيدلُّ عَلى هَاتين الدَّرجَتينِ (العِلم، والكِتابَة) قولُه تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾؛ يَعني: نُوجِدُها ونَخْلُقَها، فدلَّ عَلى أنَّ كُلَّ مَا يَجرِي من المَصائِبِ أَنَّه مَكتوبٌ في اللَّوحِ المَحفُوظِ.

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: مَرْتَبَةُ المَشِيئَةِ وَالإرادَةِ.

كُلُّ شيءٍ يَقعُ فهُو بِمَشيئَةِ اللَّهِ وَإرادَتِهِ، فَلا يَكونُ في مُلكِهِ ﷻ مَا لا يَشاؤُهُ وَلا يُرِيدُهُ.

كَما فِي قَولِه تَعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

وقَولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وَقولِه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فكلُّ شيءٍ يَحدُثُ قَد شَاءَه اللَّهُ وأَرادَهُ وَأوجدَهُ، بَعدَما عَلِمَهُ وكتَبه في اللَّوحِ المَحْفُوظِ.

الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: الخَلْقُ والإيجادُ، قَالَ تَعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وَقالَ تَعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وَكَما فِي قولِه تَعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾؛ أي: نَخْلقَها ونُوجِدَها، فدلَّت هَذِهِ الآيةُ عَلى مَرتبةِ الكِتابةِ، ومَرتَبةِ الخَلْقِ وَالإيجادِ، ومَرتَبةِ المَشِيئةِ والإرادَةِ.

فَهَذه أربعُ مَراتِبَ لا بدَّ مِن الإيمانِ بِها:

الأُولىَ: مَرتَبةُ العِلْمِ.

الثَّانِيةُ: مَرْتَبَةُ الكِتابَةِ فِي اللَّوحِ المَحفوظِ.

الثَّالِثَةُ: مَرْتَبَةُ المَشِيئةِ والإرَادَةِ عِنْدَ وُقوعِ الشَّيءِ.

الرَّابِعَةُ: مَرْتَبَةُ خَلْقِ الشَّيْءِ وَإِيجادِهِ.

هَذه مَراتِبُ القَضاءِ وَالقَدرِ[1]. مَن جَحَد وَاحِدةً مِنها لَمْ يَكُن مُؤْمِنًا بالقَضاءِ والقَدرِ.

رَابعًا: المُخالِفُونَ فِي القَضَاءِ والقَدَرِ:

خَالف فِي القَضاءِ والقَدرِ طَائِفتانِ مُتناقِضَتان: القَدَرِيَّةُ وَالجَبْرِيَّةُ.

١- **القَدَرِيَّةُ**[2]: الذين يَنفُونَ القَدرَ، سُمُّوا بالقَدرِيَّةِ.

---

(١) انظر «شفاء العليل» (ص٢٩، ٤٩) ط. دار الفكر.

(٢) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه تعالى-**: «وأما فتنة القدر فأول من تكلم بها معبد الجهني، رجل من البصرة، وكان عنده حظ من العلم، يقال له: معبد بن خالد، ويقال: معبد بن عبد اللَّه بن عويمر، مات بعد الهزيمة، وكان يومئذ مع الأشعث وأصابته جراحة، وهو أول من تكلم بالقدر، وهو الذي تبرأ منه عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب، فتكلم عليه عمرو بن عبيد، وجادل به غيلان، وغيلان هو ابن أبي غيلان، أبو مروان من موالي عثمان ابن عفان، وكان عنده حظ من العلم تكلم به أمام عبد الملك بن مروان، واستتابه عمر بن عبد العزيز، ثم ظهر منه تكذيب التوبة، وصلب على باب الشام بأخزى حالة لقيها بشر، قصته قد تقصيتها في كتاب تكفير الجهمية.

وأما عمرو بن عبيد، وهو عمرو بن عبيد بن كيسان بن ثابت، مولى بني تيم البصري مات سنة ثلاث وأربعين ومائة ومات في طريق مكة، فإنه أول من بسط لسانه وأصبح رأسًا، ونظم له كلامًا ونصبه إمامًا ودعا إليه ودل عليه، فصار مذهبًا يُسلك، وهو إمام الكلام، وداعية الزندقة الأول، ورأس المعتزلة، سمي به لاعتزال حلقة الحسن البصري، وهو=

وَأَوَّلُ مَن قَال ذَلك: عَمرُو بنُ عُبيدٍ، وَوَاصِلُ بنُ عَطاءٍ[١]، واعتَزَلا مَجلِسَ الحَسنِ البَصْرِيِّ.

فالقدريةُ الذين نَفَوا القدرَ هُمُ المُعتزِلَةُ[٢]، وَقالوا: إنَّ العَبدَ يَخلُقُ فِعْلَ نَفْسِهِ! وإنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ: لم يُقدِّرْهُ اللَّهُ! فأَفعالُ العِباد هُم الذين يُوجِدونَها استِقلالًا، ليسَ للَّهِ فيها إرادةٌ وَلا مَشِيئةٌ! ولذلك سُمُّوا بِالقَدريَّةِ.

= الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة، وحذر منه إمام أهل المشرق عبد اللَّه بن المبارك الحنظلي». اهـ انظر «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٧٤ و٢٧٥)، و«السير» (٤/ ١٨٥-١٨٧)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٢٦٦).

(١) واصل بن عطاء الغزَّال، أبو حذيفة المخزومي مولاهم البصري، رأس الاعتزال، كان بليغًا مفوهًا، هو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال توفي سنة ١٣١هـ.

وقال إسحاق بن سويد العدوي:

بَرئتُ من الخوارج لست منهم ... مِن الغَـزَّال منـهم وابن بَابِ

ومـن قـوم إذا ذكـروا علـيًّا ... يردون السلام على السحاب

انظر: «السير» (٥/ ٤٦٤)، و«الفرق بين الفِرق» (١١٥-١١٨)، و«الملل والنحل» (١/ ٦٤).

(٢) قال ابن أبي العز عن المعتزلة: «هم أتباع عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وأصحابهما، سُموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري -رحمه اللَّه تعالى- في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة.

وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري. وهم مشبهة الأفعال» انظر: «شرح الطحاوية» (٧٩١-٧٩٢).

والمعتزلة وضع لهم أبو الهذيل كتابين، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة: العدل، التوحيد، إنفاذ الوعيد، المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

انظر المصدر السابق.

وَمعنى هذا: أَنَّ العَبدَ يَخلقُ فِعْلَ نَفسِهِ، فَيكونُ أثبتَ خَالِقِينَ مَع اللَّهِ! واللَّهُ هو الخالق -جلَّ وعَلا- ومَا سِواه فهُو مَخلوقٌ.

وهُم يقولونَ: اللَّهُ معه مَن يَخلُقُ، وهمُ العِبادُ يَخلُقونَ أَفعالهَم!

وهَذَا شِرْكٌ في الرُّبوبيَّةِ، ولِذلكَ سَمَّاهُم النَّبيُّ ﷺ: «**مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»[(١)]؛ لأنَّهم أَثْبَتُوا خَالِقِينَ مع اللَّهِ، مِثلُ المَجوسِ: المَجوسُ قالوا: هَذا الكَونُ له خَالِقانِ: النُّورُ يَخْلُقُ الخَيْرَ، وَالظُّلمةُ تَخلُقُ الشرَّ! وَزادَ عَليهِم القَدريَّةُ، فقَالوا: كُلٌّ يَخلُقُ فِعْلَ نفسِهِ، فَأثبتوا خَالِقينَ مُتعدِّدينَ مَع اللَّهِ ﷻ وهَذا شركٌ في تَوحيدِ الرُّبوبيَّةِ.

٢- **قَابلتْهمْ فِرقةُ الجَبْرِيَّةُ**، وهُم: أتباعُ الجَهْمِ بنِ صَفوانَ[(٢)]، فقَالوا: العَبدُ ليسَ له اختِيارٌ ولا مَشِيئةٌ، **وإنَّما هو مَجبُورٌ عَلى ما يَحصُلُ** مِنهُ بِدونِ اختيارِه، فهُو كَالآلةِ بيدِ مَن يُحرِّكُها، وكالرِّيشةِ **فِي الهَواء**، وهو كَالميتِ بين يدي الغاسل، وكالجنازَةِ عَلى النَّعشِ! **فالعبدُ مَجبورٌ عَلى أفعالِه** وتَصرُّفاتِه، إنَّما هو آلةٌ تُحرَّكُ.

فَالجَبْرِيَّةُ غَلوا فِي **إثباتِ إرادةِ اللَّهِ** وَمشيئَتِه، ونفَوا مَشِيئةِ العَبدِ وإرادتِه.

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٩١)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٥٩)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٣٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الجهم بن صفوان: الترمذي الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد اللَّه القسري بواسط، وكان جهم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك، وتبعه عليها ناس، وقتل بخراسان على يد سلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ.

انظر «شرح الطحاوية» (ص٧٩٤)، و«الفرق بين الفِرق» (ص١٩٤)، و«الملل والنحل» (١/ ٨٦).

والمعتزلة على النقيض غلوا في إثبات مشيئة العبد وإرادته ونَفوا مَشيئةَ اللَّهِ - جلَّ وعَلا - .

فكلٌّ مِن الطَّائفَتَينِ غَلا في شَيءٍ :

فالقَدريَّةُ : غَلوا فِي إثباتِ مَشِيئَةِ العبد وَإرادتِهِ، حتَّى قالوا : إنه ليستقل عن اللَّهِ ويَخلُقُ مَا يُريدُ .

والجَبْرِيَّةُ: غَلوا في إثباتِ مَشيئةِ اللَّهِ وإرادتِه، حتَّى نَفوا مَشِيئَةَ العَبدِ وَإرادَتَهُ .

- **وَأهلُ السنَّةِ والجَماعَةِ تَوسَّطوا، فقالوا**: كُلُّ شَيءٍ فهُو بقَضاءِ اللَّهِ وقَدرِهِ، ومِنها أَفعالُ العِبادِ، فهِيَ مَخلُوقَةٌ للَّهِ، وَهِي فِعْلُ العَبدِ باختيارِهِ وَمَشيئتِه ؛ لأنَّ العَبدَ له مَشيئةٌ وَله اختيارٌ، ولكنَّه لا يَسْتقِلُّ عَنِ اللَّهِ، كَمَا تقولُه القَدريَّةُ، وَليسَ مُجبَرًا، كمَا تقولُه الجبريَّة، بَل هُو يَفعلُ الأشياءَ باختيارِهِ ومَحْضِ إرادتِه ؛ وَلذلك يُثابُ عَلى فِعلِ الخَيرِ، ويُعاقَبُ عَلى فعل الشرِّ؛ لأنَّه فَعلَ بإرادتِه ومشيئتِه، ولوْ كانَ مُجبَرًا فإنَّهُ لا يُعاقَبُ؛ كَيف يُعاقَبُ عَلى شَيءٍ ليسَ له فيه اخْتِيارٌ وَلا مَشيئة أو إرادةٌ؟

ولِذلكَ اللَّهُ -جلَّ وعَلا- لا يُؤاخِذُ المَجنونَ الَّذِي ليسَتْ لَه إرادةٌ، ولا يُؤاخِذُ المُكرَهَ الذي ليسَ له اختيارٌ، ولا يُؤاخِذُ النائمَ الَّذي ليسَ عِندَه فِكرٌ وعَقلٌ، قال ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: الصَّغِيرُ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَالمَجْنُونُ حَتَّى يُفِيقَ، وَالنَّائِمُ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ**»[1]، لمَاذا؟ لأنَّ هَؤلاءِ لَيسَتْ لهُم إرادةٌ أو مَشِيئةٌ،

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وابن حبان (١٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٤١)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ٢٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٥٨)، =

فلا يُؤاخَذُونَ عَلى مَا فَعلُوا وَقتَ غِيابِ عُقولهم وإرادتِهم.

أمَّا مَن كانَتْ عندَه إرادةٌ وعِندَهُ مَشِيئةٌ واختيارٌ فإنَّه يُثابُ عَلى فِعلِ الطَّاعاتِ ويُعاقب على فِعلِ المعاصي، لأنَّه فعَلَها باختيارِه وإرادَتِه، واللَّهُ -جلَّ وعَلا- يَقولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٢٧٧] ﴿وَعَمِلُوا۟﴾، فأَسندَ العَملَ إِلَيْهم، ويقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٦] فأَسندَ الكُفرَ إليْهم؛ لأنَّه مِن فِعلِهمْ وَبإرادتِهم، وَيقولُ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الجن: ٢٣]، فأَسندَ المَعصِيةَ إِليهم؛ لأنَّها مِن فِعلهم.

فَهيَ مِن نَاحِيةِ الفِعلِ: أَفعالُ العِباد، ومِن نَاحيةِ القَدَر: مُقدَّرةٌ من اللَّهِ -جلَّ وعَلا- فهِي قَدَرُ اللَّهِ وَهيَ فِعلُ العَبدِ، جَمعًا بينَ النُّصوصِ.

وهَذا يدلُّ عليه قولُه تَعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨- ٢٩].

فقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾: هذا ردٌّ عَلى الجَبريَّةِ الذين يَنفونَ مَشيئةَ العبدِ، فَدلَّ عَلى أَنَّ العَبدَ يَستقِيمُ بِمَشِيئَتِه.

ثُمَّ قَال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: هَذا ردٌّ عَلى القَدريَّةِ الذين يَقولونَ: إنَّ مَشِيئةَ العبدِ مُسْتقِلةٌ، وَالعبدُ يَفعلُ اسْتِقلالًا، فَالآيةُ ردٌّ عَلى الطَّائفتينِ.

وَفِي الآيةِ: إثباتُ مَذهبِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ: أنَّ الطَّاعاتِ والمَعاصِيَ هِيَ فِعْلُ العِبادِ، وَهِيَ قَضاءُ اللَّهِ وَقدرُهُ، قدَّرها عَليهم، وَفعلُوها باختِيارِهِم

= (٢/ ٥٩) عن ابن عباس ﷺ بلفظ: «إن اللَّه وضع عن أمتي . . .».

ومَشِيئَتِهم وَإِرَادتِهِمْ؛ ولِذلكَ الإنسانُ العَاقِلُ -غَيرُ المُكرَه- يَستَطِيعُ أَنْ يَفعلَ، ويَسْتَطِيعُ أَنْ يَترُكَ؛ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقومَ يُصَلِّي، ويَستطِيعُ أَنْ يَتَصدَّق، ويَستطِيعُ أَنْ يُجاهِدَ فِي سَبيلِ اللَّهِ، كَما أَنَّ الإِنسانَ يَستطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ الصَّلاةَ، ويستطيع أَنْ يتركَ الأَمرَ بِالمَعروفِ والنَّهيَ عنِ المُنْكَرِ، وَيَستطِيعُ أَنْ يَتركَ الجِهادَ فِي سَبيلِ اللَّه، يَتركُ هُو بِاستطاعتِهِ واختيارِه، فهُو يَستَطيعُ أَنْ يَفعلَ ويَسْتَطيعُ أَنْ يَتْرُكَ. يُقدِمُ عَلى الزِّنا، وعَلى شُرْبِ الخَمْرِ، وعَلى أَكْلِ الرِّبا باختيارِهِ، ويستطِيعُ أَنْ يَتركَ الرِّبا، ويَترُكَ الزِّنا، ويَترُكَ المُحرَّماتِ، فهُو باختيارِهِ ومَشِيئَتِهِ يَفعلُ هَذا. وَكلٌّ يَعرِفُ هَذا.

وَالجبرِيَّةُ لَا يُطبِّقونَ هَذا الكَلامَ الَّذِي قَالوهُ فِي كُلِّ الأَشْيَاءِ، فلو أَنَّ أَحدًا اعتَدى عَليهم: ضَرَبهم أَوْ قَتلَ أَحَدًا مِنْهم، أَلَيْسوا يُطالِبونَ بالانتقام وَالقِصاصِ؟!

كَيفَ يُطالِبونَهُ وَهُم يَقولونَ: إِنَّهُ مُجبَرٌ وليسَ لَهُ اختيارٌ؟! هَذا مِن بَابِ التَّناقُضِ.

أَيْضًا هُم يَطلُبونَ الرِّزقَ وَيَتزوَّجُونَ، فَإِذا كَانوا مُجبَرينَ -كَما يَقولونَ- لمَاذا يَفعلونَ هَذه الأَفعالَ ويَطلُبون إِيجادَ الأَشْياءِ المَعدُومَة؟!

فهُم لا يُطبِّقونَ هَذا المَذهبَ الخَبيثَ فِي واقِعِ الحَياة؛ ولِذلك يُطالِبونَ بالانتِقام والقِصَاصِ، وَيتزوَّجونَ، ويَطلُبونَ الرِّزقَ.

فَهَذا مِن القَولِ البَاطِلِ، والعِياذُ باللَّهِ، وهَذه نَتيجةُ الاعتِمادِ عَلى الأَفكارِ، والعُقولِ المُجدَّدةِ أَو الفَاسِدةِ، والاعتمادِ عَلى أَقوالِ وَآراءِ النَّاسِ بِدُونِ رُجوعٍ

إِلىَ كِتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

فَلا تَنافِيَ بينَ: الإيمانِ بالقَضَاءِ وَالقَدرِ، وفِعلِ الأَسبَابِ.

فَأَنْتَ تُؤمِنُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، ومَا لَمْ يَشَأْ لم يَكنْ، ولا تُعطِّلِ الأَسْبابَ، بَلْ تَطلُبُ الرِّزقَ، وَتتزوَّجُ، وتَطلُبُ التِّجارةَ، وتَسْعَى فِي الأَرْضِ تَطْلُبُ مِن فَضْلِ اللَّهِ.

لا تَقولُ أَعْتمِدُ عَلى القَضاءِ وَالقَدَرِ، فَإِنْ كَانَ شيءٌ مقدَّرٌ فَسَوفَ يَأتِينِي، وإِنْ لم يَكُنْ مُقدَّرًا لِي فَلَنْ يَأتِيَنِي!

هَذا لا يَقولُه عَاقِلٌ. حَتَّى الطُّيورُ وَالبَهائِمُ -بِفِطْرَتِهَا- تَذْهَبُ تَطْلُبُ الرِّزْقَ، قَال ﷺ: **«لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلىَ اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»**[1]، الطُّيورُ لَمْ تَقْعُدْ فِي أَوْكارِها، فِطرَتُها تَقْتَضِي أَنَّها تَتحرَّكُ وتَذهبُ لِتَطْلُبَ الرِّزْقَ، **«تَغْدُو خِمَاصًا»**: فِي الصَّباحِ، **«وَتَرُوحُ»**: فِي المَسَاءِ، **«بِطَانًا»**: شَبْعَى.

فَلا تَنافِيَ بَينَ: الإيمانِ بالقَضاءِ وَالقَدرِ، وفِعْلِ الأَسْبابِ. إنَّما يَقولُ هَذا الجَبْرِيَّةُ.

وَلكنَّ الأسبابَ لا تَسْتَقِلُّ بِإِيجادِ النَّتِيجَةِ، إنَّما المُسَبِّبُ هُوَ اللَّهُ -جلَّ وعَلا- رَدًّا عَلىَ القَدرِيَّةِ. فَلا نَغْلو فِي إِثباتِ الأَسبابِ كالقَدرِيَّةِ، ولا نغلو في نَفْي

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٠)، وابن حبان (٧٣٠) (٢/ ٥٠٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (١/ ٢١٢)، والحاكم (٤/ ٣١٨)، وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه، من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

تأثيرهَا، كما تقولُه الجَبْرِيَّةُ. فاتِّخاذُ الأسبَابِ أَمْرٌ مَطلُوبٌ، قَال تَعالى: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] واللَّهُ أَمَرَ بِالصَّلاةِ وَالصِّيامِ وَأمر بالطَّاعاتِ، وهَذا مِنْ فِعْلِ الأَسْبابِ، ونَهى عن أَسبَابِ الشرِّ، كالكُفرِ والمَعاصِي والفُسُوقِ.

فليسَ مَعنَى الإيمانِ بالقَضاءِ والقَدرِ أَنْ تُعطِّلَ الأَسبابَ، بل تَمْضِي فِي طَلَبِها مَع الإيمانِ بِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَتبَ لكَ شَيئًا سيأتيك، ولكنْ لا يَأتي لكَ شَيءٌ وَأنتَ جَالِسٌ، لابدَّ أنْ تَفعلَ السَّبَبَ؛ ولهَذا قالَ ﷺ: **«احْرِصْ عَلىَ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذا، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»**[1].

فَأنتَ تَفعلُ السَّببَ فَإِنْ حَصلَتِ النَّتِيجَةُ فَالحَمدُ للَّهِ، وَإِنْ لَمْ تَحْصُلِ النَّتيجَةُ فَإنكَ تَرضَى وَتسلِّمُ أَنَّ اللَّهَ مَا كَتبَ لكَ شَيئًا. فَهَذا الحَدِيثُ وَاضِحٌ فِي فِعلِ الأسبابِ، وَأَنَّهُ ليسَ مَعنى الإيمانِ بالقَضاءِ والقَدَرِ تَعْطِيلُ الأَسبابِ، أَو أَنَّ فِعلَ الأَسبابِ يستقِلُّ بإِيجاد النَّتائِجِ -كَما تقُولُه المُعتزِلَةُ- بل الأَسبابُ يَفعلُها العَبدُ مِن طاعةٍ أَو مَعصِيةٍ، والنَّتائِجُ بيدِ اللَّهِ، هُو الذي يُرتِّبُ النَّتائجَ وَالمُسبَّباتِ عَلى أَسبابِها.

خَامِسًا: فَوائِدُ الإيمانِ بالقَضاءِ والقَدَرِ:

الإِيمانُ بالقَضاءِ والقَدرِ له فَوائدُ عَظِيمةٌ:

الفَائِدَةُ الأُولَى -وَهِي أعظَمُهَا-: استِكمالُ أَركانِ الإيمانِ، فَمَن جَحَدَ

---

(١) رواه مسلم (٣٤) (٢٦٦٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

القَضاءَ والقَدَر فإنَّه لَمْ يَسْتكملْ أَركانَ الإيمانِ، الَّتي فَسَّر النَّبِيُّ ﷺ الإيمانَ بِها: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ العَبدَ يَمضِي وَلا يَستسلِم للأَوهامِ والخَوفِ، وإنَّما يَمضِي وَيقول: مَا قدَّر اللَّهُ فإنَّه سَيكونُ؛ جَلسْتُ أو لَمْ أَجْلِسْ.

وَلِهَذا حَكَى اللَّهُ عَنْ حَالِ المُنَافِقِينَ يومَ أُحدٍ، فَقالَ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، فلَيسَ الجُلوسُ فِي البُيوتِ يَمنَعُ من المَوتِ، وليسَ الخُروجُ للجِهاد يُوقِعُ المَوتَ، أَو يَجلِبُ المَوتَ إذا لم يقدِّرْهُ اللَّهُ، فهُو سببٌ، ولكن إذا لم يقدِّرْهُ اللَّهُ فَلا أثرَ ولا نَتيجةَ لَهُ.

كَم الذين يَدخلُونَ المعَارِكَ ويَخرجونَ سَالِمِينَ مُعافينَ؟ وهَذا خَالدُ بنُ الوَليدِ ﷺ لمَّا حَضرتْه الوَفاةُ قال: «مَا فِي جِسْمِي مَوضِعُ شِبْرٍ إلَّا وَفِيه طَعنَةٌ أو ضَربةٌ»(٢)، وكَانَ يَتمنَّى الشَّهادةَ، وخاضَ مَعارِكَ عَظيمةً، وتمنَّى أنْ يُقتَل فِي سَبيلِ اللَّهِ، وَلكنْ لم يُقدَّرْ له ذَلكَ.

فالإيمانُ بالقَضاءِ والقَدَر يَبعثُ عَلى الشَّجاعَةِ والإقدامِ والتوكُّلِ عَلى اللَّهِ ﷻ، أمَّا القُعودُ فَلا يُغني شَيئًا، قَال تَعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ

(١) سبق تخريجه (ص١٣٢).

(٢) انظر: «المنتظم» لابن الجوزي (٤/ ٣١٦)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٦/ ٢٧٣)، و«السير» (١/ ٣٨٢).

﴿ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

فالقَضاء لابدَّ أَنْ ينفذَ ولابدَّ أَنْ يجريَ، ولا فَائدةَ فِي قُعودِ الإنسانِ وتخلُّفِهِ عن فعلِ الأَسبابِ النَّافِعةِ، والكَفِّ عَن الأسبابِ السَّيِّئةِ، فهَذا يَبعثُ فِي الإنسانِ القُوَّةَ والشَّجاعةَ والإيمانَ باللَّهِ ﷻ، وينفِي عنه الشُّكوكَ والأوهامَ والتَّشاؤُمَ الذي يُصابُ به كَثيرٌ من النَّاس، وينفِي عَنهُ الوَساوِسَ؛ ولهَذا كانَ أهلُ الإيمانِ لا يَتأخَّرونَ عن طَلَبِ مَا فيهِ خيرٌ ومَا فيه فائدةٌ؛ لأنَّهم يُؤمِنونَ بالقَضاءِ والقَدَرِ، ولا يَقولونَ نَخافُ من الموتِ، أو القَتْلِ. إذا كانَ المَوتُ مُقدَّرًا لك سيأتِيكَ ولو لَمْ تَذْهَبْ إليهِ، وإنْ كَان لم يُقَدَّرْ فلنْ يأتيك ولو كنتَ فِي أشدِّ الخَطَرِ.

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ الإنسانَ إذا أَصابتهُ المُصيبةُ لا يَجْزعُ؛ لأنَّه يُؤمِنُ أنَّ هَذا بقَضاءِ اللَّهِ وقدَرِه، فهَذا يُسهِّلُ مُلاقاةَ المَصائِبِ، فَلا يَجزعُ الإنسانُ، ولا يَلطِمُ الخدَّ، ولا يَشُقُّ الجَيْبَ، ولا يَدعو بِدَعوَى الجَاهِليَّةِ، وإنَّما يَصبِرُ ويَحتسِبُ، كمَا قَال تَعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]، الَّذينَ إذا أَصابتهم مُصيبةٌ لَا يَلومونَ أَنفسَهم ويَقولونَ: السَّببُ كَذا وكَذا، بَل يَرضونَ بقَضاءِ اللَّهِ وقَدرِه، وأَنَّ المُصيبةَ تحصُل عَلى أيِّ حَالٍ إنْ قدَّرها اللَّهُ، فالمُقدَّرُ يَحصُل بِإذنِ اللَّهِ، ثم يَقولونَ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾. وكمَا في قوله ﷺ: **«وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذا، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»**.

فَهَذا يُهوِّنُ عَلى الإنسانِ المَصائبَ، فيَرضَى ويُسلِّم بقَضاءِ اللَّهِ وقَدَرِه.

فهَذِهِ الثَّلاث فَوائِد مِن فَوائِدِ الإيمانِ بالقَضاءِ والقَدَرِ:

الأُولَى: استِكمالُ أَركانِ الإيمانِ.

الثَّانِيةُ: أَنَّ الإيمانَ بالقَضاءِ والقدر يَبعَثُ عَلى القُوَّة والشَّجاعَةِ والإقدامِ فِي سَبيلِ الخَيْرِ.

الثَّالِثَةُ: أنَّ الإيمانَ بالقَضاءِ والقَدرِ يُهوِّنُ عَلى المُسلِم المَصائبَ الَّتي تَجرِي عَليهِ، أمَّا الَّذِي لا يُؤمِنُ بالقَضاءِ والقَدَرِ فإنَّه يَجْزَعُ ويَتَسخَّطُ، ويَحصُلُ مِنْه مَا يَحصُلُ.

وَالآنَ نَسمَعُ كَثيرًا عَمَّا يُسمَّى بـ «الانتِحارِ»، وأَنَّه انتَشرَ بينَ أَهلِ المِللِ الأُخرَى، ما سَببهُ؟

الجَوابُ: سببُه عَدمُ الإيمانِ بالقَضاءِ والقَدَرِ، إذا تَضايقَ الوَاحِدُ مِنْهم نَحَرَ نفسَه! -والعِياذ باللَّهِ-؛ لأَنَّه لا يُؤمنُ بالقَضاءِ والقَدَرِ، فَلا يَقولُ: هَذا شَيءٌ مُقدَّرٌ عَلَيَّ، وهَذا شَيءٌ مَكتوبٌ عَليَّ، وَالفَرجُ قَرِيبٌ -إن شَاءَ اللَّهُ- ويُحْسِنُ الظَّنَّ باللَّهِ ﷻ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥]، ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، فالَّذي يَنتحِرُ ويَقتُلُ نفسَه لا يُؤمِنُ بالقَضاءِ والقَدَرِ؛ لأَنَّه لا يتَحمَّل الشَّدائِدَ والمصَائِبَ.

سَادِسًا: الأُمورُ الَّتي تَترَتَّبُ عَلى مَذهَبِ الجَبْرِيَّة والقَدَرِيَّةِ:

يترتَّب عَلى مَذهبهم أُمورٌ خَطِيرةٌ:

١- يَلزمُ عَلى مَذهبِ القَدريَّة: إثباتُ خالِقينَ معَ اللَّهِ، وهَذا شِركٌ في الرُّبوبيَّةِ؛ ولهَذا سُمُّوا «**مجُوس هَذِهِ الأُمَّةِ**».

٢- وَيَلزمُ عَلى مَذهبِ الجَبْريَّةِ: وَصفُ اللَّهِ بالظُّلمِ، وأَنَّه يُعَذِّبُ العِبادَ عَلى

شَيءٍ لم يَفعلوهُ، بَل فعلَه هُو، فاللَّهُ يُعذِّبُهم عَلى شيءٍ لم يَفعلوهُ! وهُم يُحرَّكُونَ بغيرِ اختيارِهم، وبغيرِ إرادتِهم، فهَذا فيهِ وَصْفُ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- بالظُّلمِ؛ لأنَّه عَذَّبَ عِبادَه عَلى شيءٍ لم يفعلُوه، وإنَّما عَذَّبهمْ عَلى فعلِه هُو!

وَلا يَخفى فَسادُ هذا المذهبِ البَاطِلِ، فاللَّهُ -جلَّ وعَلا- يَقولُ: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، وَربَطَ العَذابَ بِالكُفرِ والمَعاصِي والسَّيئاتِ، وَربَطَ الثَّوابَ بالطَّاعاتِ والخَيراتِ، فاللَّهُ لا يَظلِمُ أحدًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، بلْ هَذا هو العَدلُ منهُ ﷻ. ومِن عدلِه أنَّه لَا يُضاعِفُ السَّيئةَ، بل يَجزِي بمثلِها فحسْبُ، ومِن فَضلِه أَنْ يُضاعفَ الحَسنةَ من عندِه ﷻ: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾، فالمُضاعفةُ فَضلٌ من اللَّهِ إلى عَشرةِ أَمثالها، إِلى سَبعِمائةِ ضِعفٍ، إِلى أَضعافٍ كَثيرةٍ، أَمَّا السَّيئةُ فإنَّ اللَّهَ يُجازِي بها فَحسبُ ولا يُضاعِفُها[1]، وهَذا من عدِله ﷻ.

لكنَّ الجَبريَّةَ يَصِفونَ اللَّهَ بالظُّلمِ؛ وأنَّه يُعذِّبُ العِبادَ عَلى أَفعالِه هُو، وهُم لم يَفعلُوا شَيئًا، وإنَّما هم مُحرَّكونَ كَالآلةِ والرِّيشةِ في الهواءِ! وهَذا مَذهبٌ بَاطِلٌ...

٣- ويَلزَمُ عَليهِ:

تَعطيلُ الأَسبابِ، وأَنْ يُقالَ: ما دَام إِنَّه قَضاءٌ وقدرٌ فأنا أَجلِسُ والمُقدَّرُ

---

(١) أخرج البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (٢٠٧) (١٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

سَيكونُ. فهَذا من سَلبيَّاتِ مَذهبِ الجَبْرِيَّةِ.

٤- ويَلزمُ عَلى مَذهبِ المُعتزِلة -كَما سَبَقَ أيضًا-: الشِّركُ فِي الرُّبوبيَّةِ.

٥- ويلزمُ عَلى مَذهبِهم مَحظورٌ كَبيرٌ، وهُو: تَعجِيزُ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-، وأَنَّهُ يَكونُ في مُلكِه مَا لا يُريدُ وَلا يَشاءُ! وَهذا وصفٌ للَّهِ -جلَّ وعَلا- بالعَجْزِ، وهَذا خَطرٌ عَظِيمٌ.

فَكِلا المَذهَبينِ باطِلٌ ويَلزمُ عليه مَحاذيرُ كَبيرةٌ.

وَأَمَّا مَذهبُ أَهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ فهوَ الوَسَطُ، وهُو العدْلُ فِي كُلِّ شَيءٍ.

وأَهلُ السنَّةِ والجَماعَةِ دَائمًا وسَطٌ؛ وَلهذا يَقولونَ: هَذِه الأُمَّةُ وَسَطٌ بينَ الأُممِ، وَأَهلُ السنَّةِ والجَماعَةِ وسَطٌ بينَ الفِرقِ الضَّالَّةِ فِي هَذا وَفِي غَيرِه: فَهُم يُثبِتُونَ للَّهِ أَفعالَهُ وَإِرادَتَهُ ومَشيئَتَهُ وقَضاءَهُ وقَدَرَهُ، ويُثبِتُونَ للعبادِ أَعمالَهُم ومَشيئَتَهُم وإرادتَهم، تَمشِّيًا مَع كِتابِ اللَّهِ وسنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَلا يَنفُونَ القَضاءَ والقَدَرَ كَما تَقُولُه المُعتزِلَةُ، ولا يَغلُونَ فِي إِثباتِ القَضاءِ والقَدرِ ويَسلُبونَ العِبادَ مَشِيئَتَهم وإِرادَتَهم، كَما تَقولُه الجبرية.

وَهُنا مَسْألةٌ: وَهِيَ: هل الَّذينَ يَنفونَ القَضاءَ والقَدَرَ يُحكَمُ عَليهِم بالكُفر؟

الجَواب: العُلماءُ فَصَّلُوا فِي ذَلك، فقَالوا:

١- مَن أَنكرَ المَرتبَةَ الأُولَى، وَهِيَ: العِلمُ، وَقال: إنَّ اللَّهَ لَا يَعلمُ الأَشياءَ قَبلَ وُجودِها، وإنَّما يَعلمُها إذا وُجِدتْ فَحَسْبُ. مَن قالَ بِهذا كَفَرَ؛ لأنَّه نَفى عِلْمَ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-.

لكنْ يَقُولونَ: إنَّ الَّذينَ يَقولونَ بِنفي العِلمِ انقَرَضُوا. كَما ذكر شيخُ الإسلام

ابنُ تيمية -رحمه اللَّه تعالى- في «الواسطية»[١].

٢- أمَّا بقيَّةُ المُعتزلَةِ فيُثبتونَ عِلْمَ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- الأزليَّ، ولكنْ يَنفونَ القدَرَ، فهُم أَهْلُ ضَلالٍ، وَلا يصِلونَ إلى حَدِّ الكُفرِ؛ لأنَّهم أَثبَتُوا عِلمَ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-، وأثبتوا الكِتابةَ فِي اللَّوحِ المَحفوظِ، وإنَّما نَفوا المَشِيئةَ والإِرادَةَ، يَعنِي: أَثبتُوا العِلمَ والكِتابَةَ وغَلوا فِي أَفعالِ العِبادِ، وَقالوا: إِنَّها تَقَعُ بغيرِ إرادةِ اللَّهِ ومَشِيئَتِهِ -جلَّ وعَلا-، وهَذا مَوجودٌ ومُستمِرٌّ فِي المُعتزِلَة ومَن أَخَذَ مَذهبَهم مِن الطَّوائِفِ الضَّالَّةِ.

فَهذِهِ نِقاطٌ مُختصَرةٌ فِي هَذا البابِ العَظِيمِ، ولكنْ حَسْبُ المُسلمِ أنْ يَعرِفَ هَذه المَبادِئَ ويتوَقَّفَ عِندَها، وَلا يتوغَّل فِي البَحثِ فِي القَضاءِ وَالقدرِ، ولا يَفتحَ عَلى نَفسِهِ بَابَ التَّساؤُلاتِ، فإنّه لنْ يَصِلَ إلى نَتيجةٍ؛ لأنَّ القَضاءَ والقدَرَ سرُّ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- فِي خَلقِه، فَلا يُمكِنُ أَنْ تَصِلَ إِلى نَتيجةٍ من التَّساؤُلاتِ، فعليكَ أَنْ تتَمشَّى مَع مَدلولِ الكِتابِ والسنَّةِ فتُثبِتَ القَضاءَ والقَدَرَ وتَعرِفَ أدلَّتَه، وتَعرِفَ حُكْمَ مَن أَنكَرَه.

وبقِيتْ مَسأَلةٌ أخرى ذكرها أهلُ العلْمِ، وَهِي: مسألةُ: «**الاحتِجاجِ بِالقَدَرِ**».

وذلك أَنَّ مُوسَى ﷺ لمَا لَقِي أَبا البشَريَّةِ آدمَ ﷺ لامَه وَقالَ له[٢]: «لمَ

(١) انظر «العقيدة الواسطية» (ص١٦٤) بشرح المؤلف -حفظه اللَّه تعالى-.

(٢) قصة محاجة آدم وموسى، رواها البخاري (٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٠١٥)، ومسلم (١٤، ١٥) (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

قال ابن أبي العز: «إنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم ﷺ بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة، فإن القدر يُحتج به عند المصائب لا عند المعايب، وهذا المعنى أحسن ما قيل في الحديث» اهـ. انظر «شرح الطحاوية»=

أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَك مِنَ الجَنَّةِ؟!» فقال: «**أَنْتَ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ، بِكَمْ وَجَدْتَ هَذا مَكتُوبًا عَلَيَّ فِي اللَّوحِ المَحْفُوظِ**» فقال مُوسَى -ما معناه-: إنَّ اللَّهَ قد كتب ذلك عليك في اللوح المحفوظ.

فَالجَبريةُ أَخَذوا هَذا، وقَالوا: هَذا دليلٌ للجَبريةِ أَنَّ آدمَ حَجَّ مُوسَى بِأَنَّ مَا حَصَلَ مِنهُ ليسَ باختِيارِهِ، وإنَّما هُو فِعلُ اللَّهِ -جلَّ وعَلا-!

ولكنَّهم لم يَفْهَمُوا الحَديثَ، فمُوسَى لَم يَلُمْ آدمَ عَلى القَضاءِ والقَدرِ، وإنَّما لامَهُ عَلى إِخراجِهِم من الجَنَّةِ فقال: «لمَ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَك مِنَ الجَنَّةِ»، فاحتَجَّ عَلَيْهِ آدمُ بِالقَضاءِ والقَدرِ، والاحتِجاجُ بالقَضاءِ والقَدَرِ عَلى المَصائِبِ جائز؛ لأَنَّه يُسهِّلُها عَلى الإنسان، فَلا يَجْزَعُ، ولا يَسْخَطُ، فَمُوسى لم يَسْأَلْه عن القَضاءِ والقَدرِ، لَمْ يقلْ: لِمَاذا قدَّر اللَّهُ عَلَيْكَ كَذا؟ وإنَّما قَالَ: «**لمَ أَخْرَجْتَنا؟!**» فالسُّؤالُ مَنصَبٌّ عَلى المَصيبةِ التي تَرتَّبَتْ عَلى مَا حَصَل من آدمَ من الأَكلِ من الشَّجرةِ.

ومُوسَى لم يلمْه عَلى الذَّنْبِ؛ لم يقلْ لَه: لمَاذا أكلتَ من الشَّجرةِ؟ لأنَّه تَاب مِن ذَلكَ فَتابَ اللَّهُ عَليْهِ، والتَّائِبُ لا يُلامُ عَلى مَا حَصَلَ منهُ بعدَ التَّوبةِ، وإنَّما لامَه عَلى الإخراجِ من الجنَّة، وهَذه مُصيبةٌ أَصابت آدمَ وذرِّيَّتَهُ.

فآدمُ احتجَّ عَلىَ مُوسَى ﷺ بالقَضاءِ وَالقَدَرِ، والاحتجاجُ بالقَضاءِ والقَدَرِ عَلى المَصائِبِ مَشْروعٌ؛ ولهَذا قال ﷺ: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ**

= (ص١٣٥، ١٣٦).

لو عدلت إلى: (فموسَى ﷺ في الظَّاهِرِ لامَ آدمَ على المُصيبة وهي الخُروجُ من الجنَّةِ وَلم يَلُمْه على المعصية، وهي الأكلُ من الشجرة، فاحتجَّ عليه آدمُ ﷺ بالقَضاءِ والقَدرِ فحجَّه وغلَبه؛ لأنه يجوز الاحتجاجُ بالقَضاءِ والقَدرِ على المصائبِ دُونَ الذُّنوبِ والمَعائبِ.

كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذا، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»[١].

فَيُحتجُّ بِالقَضاءِ والقَدَرِ عَلى المُصِيبَةِ؛ لأَنَّهُ ليسَ لَكَ فِيها اختِيارٌ، وإنَّما هِي فعلُ اللَّهِ.

أمَّا المَعصِيةُ فإنَّها فِعلكَ أَنْتَ فَلا تَحتجَّ بالقَضاءِ والقَدرِ.

ولهَذا قَالَ العُلماء: «يُحتجُّ بالقَضاءِ وَالقَدرِ عَلىَ المَصائِبِ، ولا يُحْتَجُّ بِهِ عَلى المَعَائِبِ»[٢]. وهَذا هُو الفَصْلُ فِي هَذِه المَسْأَلَةِ العَظِيمَةِ.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَبِالْقَدَرِ المَقْدُورِ): مِنَ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- (أَيْقِنْ): أيْ: آمِن به واعْتقدْ.

(فَإِنَّهُ دِعَامَةٌ): دعامة، يَعني: رُكْنُ، والإيمانُ بِهِ هُو الرُّكنُ السَّادِسُ مِن أركانِ الإِيمانِ.

قولُه: (عِقْدِ الدِّينِ)؛ لأنَّ الدِّينَ ثَلاثُ مَراتبَ:

١- مَرتبَةُ الإسلامِ، بأَرْكانِهِ الخَمْسَةِ.

٢- ومَرْتَبةُ الإيمانِ، بأَركانِهِ السِّتَّةِ.

٣- ومَرْتَبَةُ الإِحسانِ، وَهُوَ رُكنْ وَاحِدٌ.

قوله: (وَالدِّيْنُ أَفْيَحُ): الأفيحُ: المَكانُ الوَاسِع، فالدِّين وَاسِعٌ -وللَّهِ الحَمدُ- وشامِلٌ.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٤٧).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٥٤)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ص١٥٤) ط. المكتب الإسلامي.

[الإيمانُ باليَومِ الآخِرِ]

٢٩- وَلَا تَنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيْرًا وَمُنْكَرًا
وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيْزَانَ إِنَّكَ تَنْصَحُ

الشرح:

هَذا البَيتُ ومَا بعدَه فِي الإِيمانِ بِاليَومِ الآخِرِ، وهُو: اليومُ الذي يَكونُ بعدَ الدُّنيا، وهُو يومُ الجَزاءِ والحِسابِ، ويومُ الدِّينِ.

والإيمانُ به أحدُ أرْكانِ الإيمانِ الستَّةِ، الَّتي جَاءَتْ فِي حَديثِ عُمرَ ﷺ في قصَّةِ مَجِيءِ جبريلَ ﷺ إلى النبيِّ ﷺ بِحضْرةِ أَصْحابِهِ، يَسألُه عن الإسلامِ، وعن الإيمانِ، وعَن الإحسانِ، وعن السَّاعةِ، فأجابه النبيُّ ﷺ عن الإيمان بقَولِه: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

وهَذه الأرْكانُ الستةُ تارةً تأتي جَميعًا في القُرآن، وَتارةً يأتي بَعضُها.

وكَثيرًا مَا يأتِي الإيمانُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ مُقْتَرِنَيْنِ؛ كَما في قَوله تَعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقولِه: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [التوبة: ٤٤].

وتَارة تَأتي أَركانُ الإِيمانِ فِي القُرآنِ مُجتمعةً، مثلُ قولِه تَعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن

(١) سبق تخريجه (ص١٣٢).

تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقولِه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فَالإيمانُ باليومِ الآخِرِ هُو أَحَدُ أركانِ الإيمانِ، مَن أنكره كَفَر، فمَن قال: إنَّه لا يُوجَدُ بعثٌ، وإنَّما هِي الحَياةُ الدُّنيا فحسْبُ! فهَذا كَافرٌ؛ لأنَّه مُكذِّبٌ للَّهِ ولرَسُولِه ﷺ ولإجماعِ المُسلِمينَ، ولمِا هُو مَعلومٌ من الدِّينِ بالضَّرورةِ.

فلا شَكَّ فِي كُفرِ مَن أنكَرَ البَعثَ والنُّشورَ؛ ولهَذا قَال تَعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]: فاللَّه أمرَ رَسُولَه ﷺ أنْ يُقسِمَ بربِّه أنَّه سَيبعَثُه.

وقوله: ﴿زَعَمَ﴾: الزَّعْمُ هُو الكَذِبُ، يَعنِي: كَذَبوا فِي قولهم هَذا.

قَال تَعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

وقال: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وقال: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٥- ٣٧].

هَكذا مَقالةُ الكُفَّارِ قَديمًا وحَديثًا، يُنكِرونَ البَعْث، وَليس لهَم حُجَّةٌ، إلَّا أنَّهم يَقولونَ: كَيفَ يُبعَثُ النَّاسُ إذا مَاتوا وَصَاروا تُرابًا؟! فَهذا مُستحِيلٌ!

﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؟! سُبحانَ اللَّهِ! هُم مِن قبلُ كانوا غَير مَوجودينَ أَصْلًا، ثُمَّ خَلقَهم اللَّه -جلَّ وعَلا-، فالَّذي خَلقَهم فِي أَوَّلِ الأَمرِ

قَادِرٌ مِن بابِ أَولىَ عَلى إعادتِهم. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩]، فَالقرآن مَمْلوءٌ من الردِّ عَلى منكرِي البَعثِ.

وَأيضًا: لو لَمْ يُوجَدْ بعثٌ وَجَزاءٌ عَلى الأعمالِ لَكانَ خَلْقُ الخَلْقِ عَبثًا، كَيفَ يَخلُقهمْ ويَعملُون الأَعمالَ الصَّالِحةَ أو الأعمال الكُفْريَّةَ ثمَّ يَموتونَ ويُترَكُونَ؟! هَذا لا يَليقُ بعدلِ اللَّهِ -جلَّ وعَلا- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥- ١١٦]: تَعالى اللَّهُ عَنْ هذا، فاللَّه -جل وعلا- لابد أنْ يبعث الناسَ ويميز المؤمنينَ من الكفارِ ويُجازِيَ المُؤمنَ بإيمانِه، ويُجازِيَ الكافِرَ بكُفرِه، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧- ٢٨]: كُلُّهمْ يَموتونَ ولا يُبعثونَ وَلا يُجازُونَ عَلى أَعمالهم؟! حَاشَى وكلَّا.

ثُمَّ إنَّ اللَّهَ هَدَّد الكُفَّارَ والمُشركينَ والعُصاةَ بأَنَّهم سَيرجِعونَ إِلى ربِّهم ويُحاسَبونَ ويُجازونَ، فدلَّ على أنَّ البعثَ لابدَّ منهُ، وأنَّه كائِنٌ لا مَحالةَ، والدُّنيا دارُ عملٍ، والآخرة دَارُ جزاءٍ. هَذه حِكمةُ اللَّهِ ﷻ.

والإيمانُ باليَومِ الآخِرِ يَشتمِلُ عَلى الإيمانِ بكلِّ مَا يكونُ بعدَ الموتِ: من سُؤالِ المَلَكَينِ فِي القَبْرِ، ومِن عَذابِ القَبرِ أَو نَعيمِهِ، ومِن القِيام مِن القُبورِ للبَعثِ للحَشْرِ والوُقوفِ في المَحْشَرِ، وَما يَجرِي بعدَ ذَلك، كَما تَواتَرتَ بِذلكَ الأَدلَّةُ من الكِتابِ والسنَّةِ فَيَجِبُ الإيمانُ بِذلكَ.

والإيمانُ بِاليومِ الآخِرِ من الإيمانِ بالغَيبِ، فالإيمانُ بالغَيْبِ هُو أَحدُ أَركانِ

الإيمانْ، بلْ هُو الإيمانَ: فَالإيمانُ باللَّهِ وبأسمائِهِ وصِفاتِه من الإيمانِ بالغَيبِ؛ لأنَّنا لم نَرَ اللَّهَ ﷻ.

والإيمانُ بالمَلائِكةِ مِن الإيمان بالغَيب.

والإيمانُ بِالجنِّ والشَّياطينِ مِن الإيمانِ بالغَيبِ.

والإيمانُ بِما يَكونُ فِي آخرِ الزَّمانِ مِمَّا أخبر عَنْه النَّبيُّ ﷺ مِن الإيمانِ بالغيب.

والإيمان بما وقع على الأمم الماضية لم نره، ولكنه من الإيمان بالغيب.

فالغُيوب إمَّا مَاضِيةٌ وإمَّا مُستَقبلَةٌ، فيَجِبُ الإيمانُ بِها؛ ولهَذا قَال ﷻ فِي أوَّلِ سُورةِ البَقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١- ٣]، بَدأ بالإيمانِ بالغَيبِ، فَإنكارُ البَعثِ يَلزمُ منه إنكارُ الإيمانِ بِاللَّهِ -جلَّ وعَلا- وَإنكارُ المَلائِكةِ، وإِنكارُ كلِّ ما لا يَقعُ تحتَ المُشاهدةِ فِي هذه الدُّنيا، وهَذا قولُ الدَّهْرِيَّةِ والمَلاحِدةِ والمُشرِكينَ، الذين يَكفُرونَ بِالغَيبِ.

فَالإيمانُ باليومِ الآخِرِ يشملُ كلَّ ما يَكونُ بعدَ المَوتِ، وَأوَّلُ ذلكَ أنَّ الميِّتَ إذا وُضعَ في قبرِه وَسُوِّيَ عَليه التُّرابُ وانصرَفَ عَنْه النَّاسُ، وإنَّهُ لَيسمَعُ قَرْعَ نِعالهِمْ، يَأتيهِ مَلَكَانِ، فَتُعادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ ويُجلِسانِهِ، وَيَسْألانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دينُكَ؟ مَنْ نَبيُّكَ؟[1]

(١) حديث: سؤال الملكين، رواه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٧٠) (٢٨٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه، و(٧٣) (٢٨٧١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

ثَلاثَةُ أَسئِلةٍ، فإنْ أَجابَ عَنْها بِجوابٍ صَحيحٍ نَجا وَفَازَ وأَفْلَحَ، وإنْ لَمْ يَستَطِع الجوابَ خَاب وخَسِرَ، وَضلَّ سَعيُه.

قولُ النَّاظم -رحمه اللّه تعالى-: (وَلا تُنْكِرَنْ جَهلًا): يَعني: الشّيءُ الذي تَجهلُه لا تُنكرهُ، فَليسَ كُلُّ شَيءٍ تَجهلُه تُنكرُهُ، بَل تُؤمنُ بِما صَحَّ وَبِما ثَبتَ وَإنْ لم تَعرِفْهُ ولم تُدرِكْهُ، قَال تَعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يونس: ٣٩] فالواجب أَن تُؤمنَ بِما صَحَّ عَن اللّهِ وَرَسُولِه ﷺ، وإنْ لم تَعرِفْه وتَتَصوَّرْهُ، فإنَّ هَذا لَه مُستقبَلٌ يقعُ فيه ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]، فالأنباءُ والأخبارُ الَّتي أُخبِرتُمْ بِها كُلُّ شَيءٍ له وقتٌ، إذا جاء وَقتُه ظَهرَ، فَواجِبُنا الإيمانُ به؛ لأنَّه كَلامُ اللّهِ -جلَّ وعَلا- الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، وكَلامُ رَسولِه ﷺ الذي لا يَنطِقُ عن الهَوى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، فَلا نَعتَمِدُ عَلى عُقولِنا، وإنَّما نَعتمِدُ فِي أُمورِ الغَيبِ عَلى الوَحْيِ المُنزَّلِ، ولَا نَتدخَّلُ بِعُقولِنا وأَفكارِنا. وأُمورُ البَرزَخِ من أُمورِ الآخِرةِ، وَلو كَشَفْنا عَن العبدِ بَعدَ وَضْعِهِ فِي قبرِهِ لوَجدناهُ كَما وَضَعناهُ، ولكنْ هُو فِي حُكمِ عالَمٍ آخَرَ، ومَا يَجرِي عَليه لا نَراه، وَلا نُحِسُّ به؛ لأنَّه فِي عالمٍ آخرَ، مُغيَّبٍ عَنَّا.

قولُه: (نَكِيرًا وَمُنْكَرًا): اسمانِ للمَلَكينِ الَّذَيْنِ يَأتِيانَ للميِّتِ فورَ دَفِنِه، فَتُعادُ رُوحُهُ في جَسدِهِ ويُجلِسانِهِ حَيًّا، حَياةً برزَخيَّة ليْستْ مثلَ حَياتِه عَلى الأَرْضِ، وإنَّما هِي حَياةُ الآخِرةِ؛ حَياةٌ أُخرويَّةٌ لا يَعْلَمُها إلَّا اللّهُ ﷻ.

وَتَسميتُهما بِالمنكَر والنَّكير، كَما وَردَ في الحَديثِ بِإسنادٍ لَا بَأسَ به[١]، فهِي تَسمِيةٌ ثَابتةٌ؛ لأنَّ رُؤيةَ هَذينِ المَلَكينِ مُفزِعةٌ يَستنكِرُها الإنسانُ ويَفزَع منها، فَهُما يَأتيان بصُورةٍ لا يَعرِفُها فِي حَياتِه، وَلا يَألفُها، فهَذا وَجْهُ تَسمِيتِهما مُنكَرًا ونكِيرًا، وَفِي هذا ردٌّ عَلى مَنْ يُنكرُ هَذه التسميةَ ويقولُ: هَذا سبٌّ للمَلائِكةِ.

نقولُ: هَذا ليسَ سَبًّا للملائكة، بَل هَذا مِن بابِ أنَّ الَّذي يَأْتِيانِه يَستنكِرُهُما، فَسُميا بِالمُنكَرِ والنَّكِيرِ.

قولُه: (إِنَّكَ تُنْصَحُ): يعني: أَنا أَنْصَحُك أَلَّا تُنكِرَ هَذه الأَشْياءَ، والدِّينُ النَّصِيحةُ؛ كَمَا قال ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ قَالَ: «**لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[٢].

فالنَّاظِمُ -رحمه اللَّه تعالى- يَقولُ: أَنَا أَنصَحُكَ أَلَّا تُنكِرَ مَا ثبتَ عن النَّبيِّ ﷺ، وَما جَاءَ في القُرآنِ والسنَّةِ؛ كَما أنكرَهُ المُعتزِلةُ وَأهلُ الضَّلالِ الذين يَعتمِدونَ عَلى عُقولهم وأَفكارِهم، فَلتحذر مِنْ طَريقتِهم واتَّبع النُّصوصَ، وآمِن بِما جَاءتْ به النُّصوصُ الصَّحيحةُ، وهَذا من الإِيمانِ باللَّهِ، ﷻ.

وَأمورُ الغيبِ الَّتي تَحْدُثُ للميِّتِ فِي قَبرِهِ ويَجبُ الإيمانُ بِها، هِي:

---

(١) ورد في تسمية الملكين الذين يسألان الإنسان في قبره بهذين الاسمين عدة أحاديث مرفوعة وموقوفة عن عدد من الصحابة، منهم أبو هريرة ﷺ عند الترمذي (١٠٧١)، وقال: حسن غريب، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٤٤)، وعن معاذ ﷺ عند البزار (٧/ ٩٧)، والبراء ﷺ عند البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٥٨)، والطبراني في «تهذيب الآثار» (٢/ ٥٠٠)، وعن أبي الدرداء موقوفًا عليه عند ابن أبي شيبة (٣/ ٥٣).

(٢) رواه مسلم (٩٥) (٥٥)، عن تميم الداري ﷺ.

أَوّلًا: مَجِيءُ المَلَكين:

مُنكرٍ ونكيرٍ إلى الميتِ.

فإنْ قَال قائِلٌ: كيفَ جاءا إليهِ فِي قَبرِهِ ونحنُ لا نَراهُم؟

الجَوابُ: اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ قديرٌ، وَأنتَ فقد غُيِّبَتْ عَنكَ كَثيرٌ من الأُمورِ، فَالمَلكانِ يَأتِيانِه وأنتَ لا تَراهُما، وهَل أنتَ تَرى رُوحَك الَّتي تَدخُلُ فِي جسدِك؟

هَل تَرى كلَّ شَيءٍ؟ تُوجَدُ أشياءُ كثيرةٌ لا تَراها، هَل ترى العَقلَ الذي يُميِّزُكَ عَلى غيرِك؟ مَا كلُّ شَيءٍ لا تَراهُ ليسَ صَحيحًا، هَذا كَلامُ المَادِّيينَ الطَّبائِعيينَ، أمَّا أهلُ الإيمانِ فإنهم يتَّسع إيمانُهم لكلِّ ما وردت به الأخبار الصحيحةُ، ولا يتدخَّلون فيه بعقولهم.

فالمَلَكان يأتيانِه ويُجلسانِه ويَستنطِقانِه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

فيقول المؤمن: ربي اللَّه، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينادي منادٍ: **«أنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَوَسِّعُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إلى الجَنَّةِ»** فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوحِهَا وَطِيبِهَا، وَيَرَى مَنْزِلَهُ فِي الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: **«يَا رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»**[1]، فَيَصيرُ قبرُه رَوضَةً مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ. وإنْ كنَّا لا نُشاهِدُ هَذا، وقد يُشاهِدُه بَعضُ مَن يُطلِعُه اللَّهُ عليهِ، ولكن هذا ليسَ بِلازمٍ.

---

(١) رواه أبو داود في «السنن» (٤٧٥٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٧)، والطيالسي (١/ ١٠٢)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣٥٨) من حديث البراء بن عازب الطويل رضي الله عنه، وانظر كتاب إثبات عذاب القبر للبيهقي.

- وأمَّا المُنافقُ والمُرتابُ -الّذي عاش عَلى الشَّكِّ في الدُّنيا- فإنه يَموتُ عَلى الشكِّ، فإذا سَألاه وَقالا: «مَنْ رَبُّكَ»؟ قال: لا أدري، «ما دِينُك»؟ قال: لا أدري، سَمعتُ النَّاسَ يَقولونَ شَيْئًا فقلتُه، «من نبيُّك»؟ قَال: لا أدرِي.

لأنَّه في الدُّنيا لم يُؤمنْ بقلبِه، وإنَّما تكلَّم بلسانِه، «سَمِعْتُ النَّاسَ يَقولونَ شَيْئًا فَقُلْتُه»، قالها من باب المُجاراة لهم، وهذا هو المُنافقُ الذي يقول ما يَقوله المُصلُّون، ويُصليِّ ويَصومُ، ولكنْ ليسَ في قلبِه إيمانٌ، إنَّما يفعلُ هذا من بابِ المُداراةِ ومن باب التَّقِيَّة؛ لأجلِ أنْ يعيشَ مع المُسلِمينَ فحسبُ وهو لم يُؤمنْ بقلبِه.

ولو كانَ فَصيحًا مُتعلِّمًا، يحفظُ المتونَ والأسانيدَ، فإنَّه في القبر يتَلعثمُ ولا يَستطيعُ أنْ يتكلَّم ويغيبُ عنه الجَوابُ ويقول: لا أدري، ولكنْ سمعتُ الناسَ يَقولونَ شَيئًا فقلتُه مِن غير أنْ أعرفَ هذا الشيءَ وأعتقده، فيُنادِي مُنادٍ: «أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلىَ النَّارِ»، فَيأتِيه من حَرِّها وسَمُومها، ويُضيّق عليه قبرُه حَتَّى تَختلِفَ أضلاعُه -والعِياذ باللَّهِ- ويُصبحُ قبرُه حُفرةً من حفرِ النَّار، فيقول: «يَا رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ»؛ لأنه يعلمُ أنه إذا قامت الساعة فما بعدها أشدُّ مما هو فيه -والعياذ باللَّهِ-.

وَهذا يُشيرُ إليه قَوْلُهُ تَعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، كَما أنَّهم عَاشوا عَلى القَولِ الثَّابتِ في الدُّنيا، والإيمانِ الصَّادِقِ فإنَّ اللَّهَ يُثبِّتهم فِي القَبْرِ وعِنْدَ السُّؤالِ، ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: فَلا يَسْتَطِيعونَ الإِجابَةَ.

والأحاديثُ في هَذا مُتواتِرةٌ عن النَّبِيِّ ﷺ[١]، وأهلُ السنَّةِ وَالجَماعَةِ مُجمِعونَ عَليهِ، وَلمْ يُنكرْهُ إلَّا المُعتزِلَةُ الَّذِينَ يَعتَمِدونَ عَلى عُقولهم، وَكذا العَقلانيون الآن الذين هم أفرَاخُ المُعتزِلةِ عَلى هذا المَذهبِ.

ثانيًا: الحَوْض:

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَلَا الْحَوْضَ): الحوضُ: هو حوضُ النبيِّ ﷺ، فإنه تواترت الأحاديثُ[٢]، أن للنَّبيِّ ﷺ حوضًا **«طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأَحْلَى مِن العَسَلِ، كِيزَانُهُ عَدَدُ نُجومِ السَّمَاءِ»**[٣]، ترد عليه أمتُه، ويشربون منه، ويُذاد عنه كلُّ مبتدِع، وكلُّ مرتد، فالمرتدُّ يُذادُ عنه، ولا يَرِدُ على الرسول ﷺ، وإذا سأل عنهم ﷺ لماذا رُدُّوا؟

يُقال له: **«لأَنَّهُمْ مَا زَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلىَ أَعْقَابِهِمْ»**[٤]، وفي الصنف الثاني يُقال: **«فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَاذَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»**[٥].

---

(١) قال ابن أبي العز: «وقد تواترت الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به». انظر «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٥٠) ط. المكتب الإسلامي.

(٢) انظر طرقها ومن رواها من الصحابة في «فتح الباري»، وقال الحافظ ابن حجر: فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفسًا، وزاد عليها النووي ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكروه سواء، فزادت العدة على الخمسين، ثم قال: وبلغني أن بعض المتأخرين وصلها على رواية ثمانين صحابيًّا. انظر «الفتح» (١١/ ٤٧٧) ط. الريان.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٧) (٢٢٩٢) عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﵄.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٧) (٢٢٩٣) من حديث أسماء بنت أبي بكر ﵄.

(٥) رواه البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٨) (٢٢٩٤) من حديث عائشة ﵂، ورواه مسلم أيضًا (٢٩) (٢٢٩٥) من حديث أم سلمة ﵂، و(٣٢) (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود ﵁.

فكلُّ مَن أحدَث بدعةً في الدِّين ؛ كالمُعتزِلةِ والخَوارجِ والشِّيعة وسَائرِ الطَّوائِفِ الضَّالَّةِ، الذين أحدَثُوا فِي الدِّين ما ليسَ منه حَرِيُّون أنْ يُذادُوا عن الحوَضِ يومَ القِيامِة، فُيذادُ عنه كلُّ مبتدِعٍ وكلُّ مرتدٍ عن دينه، ولا يَرِدُه إلا أهلُ الإيمان، الثَّابتون عَلى الإيمانِ الصَّادقِ فِي الدنيا وماتوا عليه، هؤلاءِ يَرِدون الحوضَ، ويَشربون منه شربةً، لا يَظمئونَ بعدَها أبدًا. هذا هو حوض النبي ﷺ.

فالذي تمسَّك بسنة الرسولِ في الدنيا، وعَمل بها يَرِدُ على حوضه ﷺ يومَ القيامة، ويَشربُ منه، والذي أعرضَ عن السنة وابتدع البدعةَ أو ارتدَّ عن دينه فإنه يُصرَفُ ويُطرَدُ عن الحَوضِ، وهو أشدُّ ما يكونُ حاجةً إلى الماءِ.

ثالثًا: الميزان:

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَالمِيزَانَ): وهو ميزانٌ حقيقيٌّ، له كِفَّتان[1]، توضَع الحَسناتُ في كِفةٍ، والسَّيئاتُ في كِفة، قَال اللَّه تَعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢- ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ

---

(١) قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص٤٧٥): «فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات».
وقد ورد ذكر الكفتين في عدد من الأحاديث منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي رواه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٠٢) (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٢٨) وصححه، وفيه: «يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا اللَّه في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله». وروى أحمد (٢/ ١٦٩، ١٧٠) نحوه من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقد ورد ذكر الكفة في حديث البطاقة الذي رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦) من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ [القارعة: ٦- ٩]؛ يعني: موازينَ أعمالِه، فتوضع حسناتُه في كِفَّة وسيئاتُه في كفة، فأيُّهما رجَحَ فإنه يأخذُ جزاءَه بموجِب ذلك من رُجحان الحَسنات أو رُجحان السَّيئاتِ، وهذا من عدلِ اللَّه أنه لا يَظلمُ أحدًا، بل يُجازِي الإنسانَ بعمله.

وهو ميزانٌ حقيقيٌّ.

والمُعتزِلة يَقولونَ: إنه مِيزانٌ غَيرُ حَقيقيٍّ، وإنما مَعناه إقامةُ العدلِ، فهو مِيزانٌ معنويٌّ، معناه العدل بين العبادِ!

وليس لهم دليلٌ إلا عقولُهم، فهم يُنكرونه لأنهم لم يَروا الميزانَ، وهم لا يُؤمنون بالغيب، وهذه آفةُ الاعتماد على العقول؛ لأن المؤمنَ لا يَعتمدُ على عقلِه، والعقلُ دليلٌ؛ ولكنْ لا يكونُ هو كلَّ شيء، هناك أشياء لا يُدركها العقلُ، فالأمورُ المغيَّبة لا يُدركُها العقلُ، فلا تُحكِّم عقلَك فيها، وإنما يُعتمد فيها على الدليل فحسب، فهذا وجهُ إنكارهم له، وعلى مذهبهم الباطل أن الذي لا يُشاهدونه ولا يَرونه أنهم ينكرونه، أو يُؤولونه بغير معناه.

وهم لا يُنكرون لفظَ الميزان؛ لأنه ورد في القرآن كما في قَولِهِ تَعالى: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨- ٩] وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ [القارعة: ٦-٩]، فلا ينكرون لفظَ الموازين، ولكن يُفسِّرونها ويُحرِّفونها عن معناها؛ كما هو حَالهُم مع سائر النصوص، يُحرِّفونها عن معناها الصحيح، أما أهلُ الحق فإنهم يُؤمنون بها على حَقيقتِها، ويَكِلُون كيفيتَها إلى اللَّه -جلَّ وعَلا-.

[خُرُوجُ الموحدِّينَ من النَّارِ]

٣٠- وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّه الْعَظِيْمُ بِفَضْلِهِ
مِنَ الْنَّارِ أَجْسَادًا مِن الْفَحْمِ تُطْرَحُ
٣١- عَلَى الْنَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ
كَحَبِّ حَمِيْلِ الْسَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

الشرح:

هَذه مَسْأَلةُ العُصاةِ من المُوحِّدينَ الَّذينَ عِندَهم كَبائِرُ ولكنَّها دُونَ الشّرك، فَهؤلاء يُعتبَرونَ مُؤمِنينَ مُوحِّدينَ، ولكنَّ إيمانَهم وتَوحِيدَهم ناقصٌ، فإنهم لا يَخْرُجونَ من الإسلامِ، خِلافًا للخَوارِجِ والمُعتزِلةِ، فهم تَحتَ المَشِيئَةِ؛ إنْ شَاءَ اللَّهُ غَفرَ لهم ولم يُعذِّبْهم، ودَخَلوا الجنَّةَ من أول وَهْلةٍ، وإنْ شاءَ اللَّهُ عذَّبهم؛ ولكنَّهم لا يُخلَّدونَ في النَّار كَما يُخلَّد الكُفَّارُ والمُشرِكونَ، وإنما يُخرَجُونَ من النَّار بَعْدَ تعذِيبِهم؛ إما بِشفاعَةِ الشَّافعين، وإما بِفضْل اللَّهِ ﷻ، وإما بانتهاءِ عَذابِهم، فيُخرجُونَ من النَّار قَطْعًا.

فالنَّارُ يَدخلُها الكَافرُ والمُشرِكُ، وقد يَدخُلُها المُؤمنُ المُوحِّدُ بِذُنوبه، ولكنَّ الكافَر والمُشرِكَ يُخلَّدان فِي النَّار، وأما المُوحِّدُ والمُؤمِنُ فَلا يُخلَّدُ فيها إذا دَخَلَها، هَذه عَقِيدةُ أهْلِ السُّنةِ والجَماعَةِ، خِلافًا للخَوارِجِ والمُعتزِلةِ.

- **الخَوارجُ يَقولونَ**: مُرتكِبُ الكَبيرةِ كافِرٌ خَارِجٌ مِنَ المِلَّةِ، وإذا ماتَ وَلَمْ

يتبْ فهُو خَالدٌ مُخلَّدٌ في النَّارِ مِثلُ الكفَّارِ.

- والمُعتزلةُ يَقولونَ: يَخرُجُ من الإيمانِ ولا يَدخُلُ في الكُفرِ، فَهُو في مَنزلةٍ بينَ المَنزِلَتينِ، فإنْ مَاتَ وَلم يَتُبْ فهو مَخلَّد في النَّارِ.

وَكِلا المَذْهَبينِ بَاطِلٌ وَضَالٌّ ومُخالِفٌ للأدلَّةِ، فإنَّ اللَّه -جلَّ وعَلا- يَقولُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَجَاءَ في الحَديثِ: «.... انْطَلِقْ: فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ»(١)، وقال ﷺ: «وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(٢)، ويُخرجُ وقد احترق وصار فحمًا، فيُوضع في نهرٍ من أنهار الجنة، فيَنبت جسدُه كما ينبت العشبُ، ثم يُدخلُ الجنة.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (مِنَ الْفَحْمِ): تتفحم أجسادُهم من العذاب، فيُعيد اللَّه -جلَّ وعَلا- تلك الأجسادَ ويُعيدُ فيها الحياةَ، ثم يدخلُهم الجنة.

قوله: (عَلىَ النَّهْرِ في الْفِرَدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ): الفردوس هو أعلى الجنة، ووسط الجنة، ويجري منه هذا النهر.

قوله: (كَحَبِّ حَمِيْلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ): كما جاء في الحديث الصحيح: «حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلىَ أَنْهَارِ الجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ

(١) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس ﷺ.
(٢) رواه مسلم (٧٨) (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

السَّيْلِ»[١]، (ضبائر): يعني: جماعات محترقين، فيُلقَون في نهرٍ من أنهار الجنة يُسمَّى نهرَ الحياة، فيَحْيَون كما يحيا الحبُّ الذي يحمله السيلُ، فالسيلُ إذا جَرى في الأودية يَحمِل معه البذورَ، فيَطرحُها في الأرض فتَنبتُ، كذلك يطرُحُون في نهر الحَياة فتنبتُ أجسامُهم، ثم بعدَ ذلك يَدخُلون الجنةَ.

قوله: (كَحَبِّ حَمِيْل): يعني: الحَبَّ الذي يَحملُه السيلُ.

(يَطْفَحُ): عليه ثم يستقرُّ في الأرضِ، ثم يَنبت ويُصبحُ شَجرًا حيًا.

* * *

(١) رواه مسلم (٣٠٦) (١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

[شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ]

٣٢- وَإِنَّ رَسُولَ اللَّه لِلْخَلْقِ شَافِعٌ
وَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْحَقِّ مُوضَحُ

الشرح:

ذكر النَّاظمُ -رحمه اللَّه تعالى- فِي هَذه الأَبياتِ والأَبياتِ السَّابقةِ عِدَّةَ مَسائل:

الأُولى: سُؤالُ المَلَكين.

الثَّانيةُ: عَذابُ القَبْرِ ونَعِيمُهُ.

الثَّالِثَةُ: وَزْنُ الأعمالِ.

الرَّابِعةُ: حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ.

الخَامِسَةُ: مَسْأَلةُ أَهلِ الكَبائِرِ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ.

والسَّادِسَةُ: مسألة الشفاعة، وهي المذكورة في هذا البيت.

وَالشَّفَاعَةُ مَعْنَاهَا: الوَساطَةُ فِي قَضاءِ الحَوائِجِ عندَ منَ هِي عِندَه، والشَّفاعةُ تَكونُ عندَ اللَّهِ، وتكونُ عندَ النَّاسِ، والشَّفاعةُ عندَ اللَّهِ تَختلِفُ عن الشَّفاعَةِ عندَ النَّاسِ، فَالنَّاسُ تَشفعُ عندَهم وَلو لَمْ يَأذَنُوا لَكَ، وَأَمَّا اللَّه -جلَّ وعَلا- فَلا أَحَدَ يَشفعُ عندَه إِلَّا بإذنِه ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فَيأذَنُ للشَّافِعِ أَنْ يَشفَعَ، ولابدَّ أَنْ يَكونَ المَشْفوعُ فيه من أهلِ التَّوحيدِ، أيْ من عُصاةِ

المُوحِّدينَ، وأمَّا الكَافِرُ فَلا شَفاعَةَ فيه، وَلا تُقبَلُ فيه شَفاعةٌ، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، فالكَافرُ لا تُقبَلُ فِيهِ شَفاعةٌ، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وَلو بذلَ الكَافرُ أَموالَ الدُّنيا يُريدُ الفِديةَ لَم تُقبَلْ مِنْه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران: ٩١]، لا يُقبَلُ مِنْهم عَدْلٌ، وَهُو المَالُ الذي يَفتَدونَ بِهِ أنفسَهم، ولا يُقبَل فِيهم شَفاعةُ أحَدٍ، بَل هُم قَطعًا من أهلِ النَّارِ خَالدِونَ مُخلَّدونَ فِيها.

فَهذه الشَّفاعةُ عِند اللَّهِ لا تكونُ إلَّا بِشرطَين:

الأول: إذنُ اللَّهِ للشَّافِعِ أنْ يشفعَ.

الثاني: أنْ يَكونَ المَشفوعُ فيه من عُصاة المُوحِّدينَ.

أمَّا المَخلوقُ فتشفعُ عندَه ولَو لَمْ يأذنْ لك بالشَّفاعة، ولو لم يرضَ عن المشفوع فيه، قد يُبغضُ المشفوعَ فيه ويودُّ أنْ يقتلَه، أو ينتقمَ منه، ولا يَرضَى عنه، ولكنْ يَقبل الشَّفاعَةَ فيه مُضْطَرًّا؛ لحاجته للنَّاسِ والوُزراءِ والأَعوانِ، فلو ردَّ شَفاعَتَهم لتنكَّروا عَليه، فهو يتألَّفُهم ويَقبلُ شَفاعتَهم، ولو كان لم يأذنْ، ولو كان لا يَرضَى عن المَشفوعِ فيه.

أمَّا اللَّه -جلَّ وعَلا- فَلا يَشفعُ أحدٌ عنده إلَّا بإذنه، وَلا يُشفعُ عنده إلَّا في عُصاةِ أهلِ التَّوحيد. هَذا هو الفرقُ بينَ الشَّفاعَتينِ.

فَالشَّفاعةُ عندَ اللَّهِ حَقٌّ بهذينِ الشَّرطَينِ، وَهِي الشَّفاعةُ المُثبَتةُ، وأمَّا الشَّفاعة

المّنفيَّةُ فهِي الشَّفاعَةُ فِي الكُفَّار، أوْ الشَّفاعَةُ التي تكونُ بغيرِ إذْنِ اللَّهِ.

فالشَّفاعَة شَفاعتان -كَما قالَ العُلماءُ-: شَفاعةٌ مُثبَتةٌ، وشَفاعَةٌ مَنفيَّةٌ[1]. قَال تَعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

قد يأتيك مَنْ يَقولُ: الشَّفاعة لا تَقبلُ بدليل هاتين الآيتين.

فتقول: هناك آياتٌ تدلُّ على قَبول الشفاعة؛ كَقولِه تَعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقولِه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَقولِه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، فَهيَ تدلُّ عَلى قَبولِ الشَّفاعةِ بالشَّرطينِ: أنْ يأذَنَ اللَّهُ بها، وأَنْ يرضَى عَن المَشفوعِ فيه.

فَليستْ كلُّ الشَّفاعةِ مثبَتةٌ، وليْست كلُّها مَنفيَّةً، لابدَّ من التَّفصيل عَلى حَسَب ما جَاء فِي الأَدِلَّةِ.

والقرآنُ لا يُضربُ بعضُه ببعضٍ، وإنما يُجمَعُ بين الآيات ويوفَّق بينها، ويُفسَّر بعضُها ببعضٍ، ويُقيَّد بعضُها ببعضٍ. هذه طريقةُ الراسخين في العلم.

فلا يُؤخذُ طَرَفٌ، ويُقال: الشفاعةُ ثابتةٌ لكلِّ أحدٍ. كما يقولُ القُبوريون والمشركون من قبلُ، قَال تَعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

---

(١) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد (ص٢٨٣) مع فتح المجيد، ط. قرطبة. ومسائل كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (ص٢٨٨) مع فتح المجيد ط. دار قرطبة. المسألة الثانية والثالثة.

﴿يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، يَطلبون الشفاعةَ وهم يُشركون باللَّه! هذه شفاعةٌ باطلةٌ منفية.

وهناك مَن يُنكر الشفاعةَ مطلقًا كالمعتزلة والخوارج.

أما أهلُ السنةِ فهم وَسَطٌ في هذا الباب، فقالوا: الشفاعةُ شفاعتان:

١- شَفاعةٌ منفيَّة.

٢- وشَفاعةٌ مثبتَةٌ.

فنحنُ لا نُنكرُ الشفاعةَ مطلقًا، ولا نُثبِتها مطلقًا، بل لابدَّ من التفصيل؛ جمعًا بين الآيات في هذا الباب. هذا هو الفقه في دين اللَّه ﷻ، وهذه طريقة الراسخين في العلم.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ): الشفاعةُ المثبَتة أنواعٌ: منها ما هو خاصٌّ بالنبيِّ ﷺ، ومنها ما هو مُشتَركٌ بينه وبين غيره من الملائكة، والأولياء والصالحين، والأفراط.

فأما الخاصُّ بالنبيِّ ﷺ فهو عدة شفاعات:

الشَّفاعةُ الأولى: الشَّفاعةُ العُظمَى، فهو ﷺ يَشفعُ في الخَلق يومَ القيامة الشَّفاعةَ العُظمَى، حينما يَطولُ المَوقفُ والحَشرُ عَلى الناسِ، وَهم وُقوفٌ على أقدامِهم، شَاخِصةٌ أبصارُهم، حُفاةٌ عراةٌ، تدنو منهم الشمسُ، ويأخذُ منهم العرقُ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، فَيتقدَّمون يَطلبون مَنْ يَشفعُ لهم عندَ اللَّه أنْ يُريحَهم من الموقف[1]، فَيأتونَ إلى آدمَ ﷺ، ثم يَأتونَ إلى نُوحٍ ﷺ، ثم

(١) حديث الشفاعة الطويل: =

يَأتونَ إلى إبراهِيمَ عليه السلام، ثم يأتون إلى مُوسى عليه السلام، ثم يَأتونَ إلى عيسَى عليه السلام، فكلُّهم يعتذرون، ويقولون: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا بَعدَهُ مِثْلَهُ**»، فَيعتذرون عن الشَّفاعة عندَ اللَّه في هذا المَوقف، حَتى يأتوا إلى محمدٍ ﷺ فيقول: «**أنا لهَا**»، وَيتقدَّم إلى ربِّه -سبحانه- ويَسجدُ بينَ يديه، ويَحمدُه بمحامدَ، ويَدعُوه ويتضرَّعُ إليه، حَتى يُقالَ له: «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ**»، فيَشفعُ في أهلِ الموقفِ، فيَقبل اللَّه شفاعتَه.

فالرَّسُولُ ﷺ لم يَشْفعْ إلَّا بعدَ الاسْتِئذانِ، وهو سَيِدُ الخَلقِ ﷺ، فيَشفعُ هَذه الشَّفاعَةَ العُظمى، وهِو المَقامُ المَحْمُودُ، الذي ذكرَه اللَّه بقَولِه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، لأنه يحمَدُه عَليه الأوَّلونَ والآخِرونَ[١].

الشَّفاعَةُ الثَّانيَةُ: شَفاعتُه فِي أهلِ الجَنَّة أنْ يَدخُلوا الجَنةَ؛ لأنَّهم إذا جَاءوا

= رواه البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧) (١٩٤) عن أنس رضي الله عنه، ورواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٢) (١٩٣) و(٣٢٦) (١٩٢) بلفظ أتم من حديث أنس رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧) (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه اللَّه المقام المحمود). اهـ. وزاد في رواية (١٤٧٥): (فيومئذ يبعثه اللَّه مقامًا محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم). وانظر تفسير ابن كثير آية الإسراء ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ (٩/ ٥٥) ط. قرطبة.

إلى الجَنّةِ لا يُفتحُ لهم عَلى الفَور، فيَستشفِعونَ بمُحمدٍ ﷺ في فَتْحِ بابِ الجنَّةِ(١)، فيَشفعُ لهم فتُفتحُ، قَال تَعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] لم يقلْ: حَتَّى إذا جَاءوها فُتحتْ أبوابُها كَما فِي النار، بل قال: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ فالمَجيءُ شيءٌ، وفَتْحُ الأبوابِ شيءٌ آخرُ، وذلك بشَفاعة محمدٍ ﷺ.

الشَّفاعةُ الثَّالثةُ: أنه يَشفعُ ﷺ لأُناسٍ من أَهلِ الجَنَّةِ في رِفْعةِ مَنازِلهم في الجنَّةِ.

الشَّفاعةُ الرَّابعةُ: شَفاعتُه في عَمِّه أبي طالب، مع أنَّ الشفاعةَ لا تَنفع الكفارَ، واللَّهُ -جلَّ وعَلا- قال في الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وأَبو طالبٍ ماتَ على الكفر، ولكنْ نظرًا لأنَّ أبا طَالب حَمَى النبيَّ ﷺ وَدَافع عنه، وصَبَرَ معه على الضِّيق، وأَحسنَ إلى الرسول ﷺ، ولكنَّه لم يوفَّقْ للدخُول في الإسلامِ، وعَرَض عَليه النبيُّ ﷺ الإسلامَ وحرِص على أَنْ يدخلَ في الإسلام، ولكنه أبى؛ لأنه كان يَرى أن دخولَه في الإسلامِ فيه مَسَبَّةٌ لدين آبائه، حَيثُ أخذتْهُ الحميةُ الجاهليةُ لدين آبائه، وإلا فَهو يَعترفُ أن مُحمدًا على الحقِّ، وأنَّ دينَه هو الحقُّ، ولكنْ مَنعتْه الحميةُ والأنَفَةُ؛ لأنه لو أسلمَ -بزعمه- لصارَ ذلك سُبَّةً على قومِه.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٣٣) (١٩٧) من حديث أنس ﷺ قال رسول اللَّه ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّة يَوْمَ الْقِيامَة فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ».

وهو القائل:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسَبَّةٍ ... لَرَأَيْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا(١)

فقد منعته الملامةُ وحذرُ المسبَّةِ على قومه، ولقد جاءه الرسولُ ﷺ وهو في سياق الموتِ، وقال له: «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، وَكَانَ عِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟!

فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَا عَلَيْهِ، وَقَالَا: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَقَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»(٢)، فَأَنزَل اللَّهُ قَال تَعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، ونَزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

فالنبيُّ ﷺ لا يَشفعُ فِي إخْرجِهِ من النَّار؛ لأنَّه مُخلَّد فِي النَّار كَغيرِه من الكُفَّارِ، ولكنْ يَشفعُ فِي أَنْ يُخفَّفَ عنه العَذابُ فحسب، ويُجعلَ فِي ضَحْضَاح من نار، وَفي أخْمَصِ قَدميهِ جَمرتانِ يَغلي منهما دِماغُه، فلا يَرى أنَّ أحدًا أشدُّ منه عذابًا(٣)، مَع أنه أخفُّ أهلِ النار عَذابًا.

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٤٢)، و«سمط النجوم العوالي» (١/ ٣٩٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٣٩) (٢٤) من حديث المسيب بن حزن ﷺ.
(٣) البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٣٦٠) (٢١٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وفيه: =

فهَذه الشَّفاعاتُ خاصَّةٌ بالنبيِّ ﷺ.

أما الشَّفاعةُ في أهْل الكبائر في أَنْ يَخرُجوا من النار، أو ألا يَدخُلوها، فهَذه شفاعةٌ عامَّة تكونُ للمَلائكة، وتكونُ للأنبياءِ؛ وَتكونُ لنبينا محمَّدٍ ﷺ، وتكونُ للأولياءِ يَشفَعونَ لإخْوانِهم، وتكونُ للأفْراطِ يَشفَعُون لآبائِهم، فهيَ شَفاعةٌ عامَّة له ولغيرِه -عليه الصَّلاة والسَّلام-.

هذا ملخَّص ما يُقال في الشَّفاعة.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ): هذا سبق بيانه في مسألة عذاب القبر.

* * *

= «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ».

[التَّكْفِيرُ بالمَعْصِيَةِ]

٣٣- وَلَا تُكَفِّرَنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا
فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ

الشرح:

هَذه مَسألةُ تكفيرِ أَصحابِ الكَبائر التي دُون الشِّرك، وقد حَصَل فيها اختلافٌ طويلٌ ما بين الخَوارجِ، والمُعتزلةِ، وما بين المُرجِئة، وما بين أَهلِ السُّنةِ والجَماعَة.

فَالخَوارِجُ يُكفِّرونَ بالكبائرِ التي دُونَ الشِّرك، ويُخلِّدونَ أصحابَها في النَّار، ويَستحِلُّونَ دِماءَهم وأَموالَهم عَلى أنَّهم كُفارٌ، وَيَستدلُّونَ بالآيات التي وَردتْ في الوَعيدِ على الذُّنوب والمَعاصِي، ويَحمِلُونها على كُفر أصحابِ تلك المَعاصِي.

والمُعتزلةُ يَقولونَ: لَيْس بِكافِرٍ ولا مُؤمنٍ، بلْ هو فِي المَنزلَةِ بينَ المَنزِلَتين.

والمُرجئةُ عَلى النَّقيضِ، فالكَبائرُ عِندَهم لا تَضرُّ الإيمانَ ولا تَنْقُصُهُ، فالعَاصِي صَاحبُ الكَبيرةِ عِندَهم مُؤمنٌ كاملُ الإيمان، يَقولونَ: لا يَضرُّ مع الإيمانِ مَعصِيةٌ، كَما لا يَنفعُ مع الكُفرِ طاعةٌ!

هَذا مذهبُ المُرجِئة، عَلى سَبيل الاختصَار؛ لأنهم لا يُدخِلُون الأعمالَ في الإيمانِ، فمَن تركَ وَاجِبًا، أو فَعلَ محرَّمًا، أو ارتكَبَ مَعصِيةً كبيرةً أو صَغيرةً

دَونَ الشِّرك، فهذا كاملُ الإيمانِ، ولا تَنْقُصُهُ المَعاصي، ولا تزيدُه الطَّاعاتُ عندَهم؛ لأن الإيمانَ -عندَهم- في القَلب، وهو شيءٌ واحدٌ، لا يزيدُ ولا يَنقُص. هذا مَذهبُ المُرجِئة -وهو عَلى النَّقيضِ من مَذهبِ الخَوارجِ- فهُم أخَذوا بآياتِ الوَعدِ والرَّجاءِ وتركوا آياتِ الوعيد.

أمَّا أهلُ السُّنةِ والجَماعَةِ فإنَّهم عَلى الحقِّ والاعْتدَالِ، لا يُكفِّرونَ صَاحِبَ الكَبيرَةِ، ولا يَقولونَ: إنَّه كاملُ الإيمانِ، بلْ يَقولونَ: إنَّه مُؤمنٌ، ولكنَّه نَاقِصُ الإيمانِ، أو مُؤمنٌ فَاسِقٌ، فهو مُؤمنٌ بإيمانِه، فَاسِقٌ بكَبيرتِه، وهو تَحتَ المَشِيئَةِ: إنْ شاءَ اللَّهُ غَفرَ له، وإنْ شاءَ عذَّبه؛ كَما قَال تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وإنْ عُذِّب فَإنَّه لا يُخلَّد فِي النَّار -كَما تقُولُه الخَوارجُ والمُعتزِلَةُ -فَجمعَ أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ.

بينَ آياتِ الوَعْدِ، وآياتِ الوَعيدِ، فَلا يَقولونَ -كَما تقولُه المُرجِئَةُ-: إنَّ المَعاصِيَ لا تَضُرُّ.

ولا يَقولونَ: إنَّها تُكفِّرُ، كَما يَقولُه الخَوارجُ.

وإنَّما يَقُولون: إنَّ المَعاصِي تَضُرُّ وتَنْقُص الإيمانَ، ولكنَّها لا تُخرِج صاحبَها من الدِّين، فجَمَعوا بينَ النُّصوصِ.

هَذا هُو مَذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ في مُرتكِبِ الكَبيرَةِ.

وَهَذا مَعنى قولِ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ): يَعني: أهْلَ القِبلَةِ من المُؤمِنينَ وَالمُسلِمينَ.

قولُه: (وَإِنْ عَصَوْا): يَعني: مَا دَامَتْ مَعصِيتُهم دُونَ الكُفْرِ والشِّركِ.

قَوْلُه: (فَكُلُّهُمْ يَعْصِي): لا يَسْلَمُ أحدٌ من المَعاصي، قال -عليه الصَّلاة والسَّلامُ- «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(١).

قَوْلُه: (وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ): يَعني: يَغفِرُ؛ كَما في قَولِهِ تَعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وفي الحَديثِ القُدسيِّ: «لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(٢)، فَإذا كانَ من أهلِ التَّوحيد ولَمْ يُشرِكْ، وإنَّما عِندَه مَعاصٍ دُونَ الشِّرْكِ، فهَذا يَطْمَعُ في مَغفِرَةِ اللَّهِ ﷻ، قَال تَعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، قد يَغفِرُ لَهُم، وَقد يُعذِّبُهم بذُنوبِهم، لكنْ لا يُخلِّدُهم فِي النَّار.

هَذا هُو المَذهبُ المُعتَدِلُ بينَ الإفْراطِ والتَّفريطِ في أَصحابِ المَعاصِي.

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة»، وأخرجه ابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨)، والدارمي (٢٧٢٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١/ ٣٦٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥/ ٣٠١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٢١٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٧٢) وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٤٢٠) من حديث أنس ﵁.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٤٧)، والحاكم (٤/ ٢٤١) من حديث أبي ذر ﵁، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وأخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وقال: «حسن غريب»، عن أنس ﵁. وانظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب في شرح الحديث الثاني والأربعين، وقد رواه مسلم (٢٢) (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر ﵁، بلفظ مقارب وفيه: «وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

[عَقِيدَةُ الخَوارِجِ]

٣٤- وَلَا تَعْتَقِد رَأْيَ الْخَوارِجِ إِنَّهُ
مَقَالٌ لِمَن يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

الشرح:

الخَوارِجُ فرقةٌ من فرقِ الضَّلالِ سُمّوا بِالخَوارِج، لأنَّهم خَرجُوا عَن طَاعَةِ وُلاةِ الأُمورِ، وأولُ مَا خرجُوا خَرجُوا على عليِّ بنِ أبي طَالبٍ ﷺ في خِلافَتِهِ، وقالوا: لماذا تَحكِّم الرِّجالَ واللَّهُ -جلَّ وعَلا- يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]؟!

ولذلك لما ناظرهُم عبدُ اللَّه بنُ عباس ﷺ(١) أدْلَوا عَليهِ بِهَذِهِ الشُّبهةِ، وقَالوا: إنَّه حَكَّم الرِّجالَ! فقال: أليس اللَّهُ قد حكَّم الرِّجالَ في الأَرْنَبِ يَصِيدُها المُحرِمُ؛ فقال في الصَّيْد: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]؟! أَليسَ اللَّهُ حكَّمَ الرِّجالَ في قَضِيةِ النُّشوزِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]؟! فحكَّم الرِّجالَ، وتحكيمُ عليٍّ ﷺ للرجالِ هُو من هَذا القَبيل.

---

(١) مناظرة ابن عباس ﷺ للخوارج: رواها بطولها عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٨٦٧٨)، وأحمد (١/ ٣٤٢)، والحاكم (٢/ ١٥٠) من رواية سماك بن الوليد الحنفي أبي زميل عن ابن عباس ﷺ.

فإن رأيَ الخَوارِجِ (مَقَالٌ لَمِنْ يَهْوَاهُ): يعني يحبُّه ويتَّبعُه.

(يُرْدِي): يُهلِكُ مَنْ قال به؛ لأنه رأيٌ خَطيرٌ فيه تكفيرُ المُسلِمينَ، واستحلالُ دِمائِهم وأموالهم، والخُروجُ على وُلاةِ الأمورِ.

فمَذهبُ الخَوارِجِ يَتفرَّعُ منه فروعٌ قَبيحةٌ، فَلا تَعتقِدْه أو تَمِلْ إليهِ، بل اعتبرْه مَذهبًا بَاطِلًا، وهَذا في الذِي يَرَى رَأيَهم ولو لم يَفعلْ مِثلَ فعلِهم، فكَيفَ بالذي يَرى رأيَهم ويُنفِّذُه؟!

* * *

[عَقِيدَةُ المُرْجِئَةِ]

٣٥- وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوْبًا بِدِيْنِهِ
أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالْدِّيْنِ يَمْزَحُ
٣٦- وَقُلْ إِنَّمَا الإِيْمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ
وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ الْنَّبِيِّ مُصَرَّحُ
٣٧- وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً
بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ

الشرح:

المُرْجِئةُ هُم الطَّرفُ الثَّاني المُقابِلُ للخَوارجِ، وسُمُّوا المُرجئةَ من الإرجَاءِ، وهو: التَّأْخِيرُ؛ لأنهم أخَّروا الأعمالَ عن مسمَّى الإيمانِ، فقالوا: الأعمالُ لا تَدخُلُ في الإيمانِ، فَلو أنَّ الإنسانَ آمَنَ بِقلبِهِ ولمْ يَفعلْ شيئًا، فلمْ يُصَلِّ، ولم يُزَكِّ، ولم يَأتِ بالأوامِرِ، ولمْ يتجنبِ المحرَّمات، فهو مُؤمنٌ -عندهم- كاملُ الإيمان!

وهَذا مذهبٌ باطلٌ، وفيه تَعطيلٌ للأعمالِ نِهائيًّا.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ): لأن مذهبَ الإرجاءِ تَلاعُبٌ بالدِّينِ، يَكونُ العبدُ مُؤمِنًا -عندَهم- وَلو لم يَعملْ شَيئًا، وَلوْ تَرَكَ الصَّلاةَ والصِّيامَ والزَّكاةَ والحَجَّ، ولو لم يعملْ شيئًا طُولَ حَياتِه، ولو فَعلَ

كلَّ المُحرَّماتِ!

وهذا مذهب باطل؛ ولذلك فالفُسَّاقُ وأصحابُ المَعاصي يَفرحونَ بهذا المَذهبِ ويُؤيِّدونَه؛ لأنه يَصلُحُ لهم؛ يَعني: يَعمَلونَ ما يَشاءونَ وَهُم عَلى إيمانِهم عند المُرجِئة، فأَصحاب الأهْواء، وأصحابُ الشَّهواتِ، وأصحابُ المَعاصِي يَفرحُون بهذا المَذهبِ، فهو مَبنيٌّ عَلى التَّلاعُبِ بالدِّين، والتَّحلُّلِ منه نهائيًّا.

قوله -رحمه اللَّه تعالى-: (أَلَا إِنَّمَا المُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْرَحُ): يعني: المُرجِئةُ يَلعبونَ بالدِّين، ويُعطِّلونَ الأوامرَ والنَّواهيَ، فَعَلى مذهبِهم لا حَاجَةَ إلى الأَوامرِ والنَّواهي، فيكونُ هذا تَلاعُبًا بدينِ اللَّه ﷻ.

قوله -رحمه اللَّه تعالى-: (وَقُلْ إِنَّمَا الإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ): هذا القولُ الثَّالثُ؛ يعني: اترِكْ رَأيَ الخَوارجِ، واترُكَ رَأيَ المُرجئةِ، وقُلْ قولَ أهلِ السُّنةِ والجَماعَةِ: الإيمانُ قولٌ باللِّسانِ، واعتِقادٌ بالقَلْبِ، وعَملٌ بالجَوارِحِ، يَزيدُ بالطَّاعةِ ويَنقُص بالمَعصِيَةِ، هَذا تعريفُ الإيمانِ الكَاملُ، المأخوذُ من الأدلةِ لا مِنَ الأهواءِ والأفكارِ.

فَالإيمانُ يتكوَّن من هَذهِ الأربَعة:

١- قَولٌ باللِّسانِ.

٢- واعتِقادٌ بالقَلبِ.

٣- وعَملٌ بالجَوارِح.

٤- يَزيدُ بالطَّاعةِ ويَنقُص بالمَعصِية.

- فليس الإيمانُ بالقَلبِ فحسب، كما تقولُه الأشاعرةُ.

- أو الذين يَقولونَ: إنَّ الإيمانَ هو الاعتقادُ بالقَلبِ مع النُّطقِ باللِّسانِ، كما يقوله الحَنفيَّة.

- أو هُو النطقُ باللِّسانِ فحسب كما تقولُه الكَرَّاميةُ.

- أو مُجرَّدُ المَعرِفَةِ بالقلب! كما تقوله الجهمية. فيلزمُ على هذا المَذهب الخَبيثِ أنْ يَكونَ فِرعونُ مُؤمنًا؛ لأنه يَعترفُ بِقَلبِه بمَا جَاء به مُوسَى عليه السلام ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢] فهو مُعترِفٌ بهَذا بقلبِه، ولكنَّه أنكرَه بِلسانِه من باب الكِبرِ والبَقاءِ على ملكه، واستِكبارًا عمَّا جَاء به مُوسَى عليه السلام.

وكَذلكَ المُشرِكُون يَعترِفونَ بقُلوبِهم أنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّه، وأنَّه عَلى الحقِّ قَال تَعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، فَهُم لا يُكذِّبونَ الرَّسولَ ﷺ، ولَكنْ حملَهم على مُخَالَفتِه الجُحودُ، والكِبرُ، والاستِكبارُ عن الحَقِّ، والعَصَبيَّة للبَاطِلِ؛ كما حَمَل أبا طَالبٍ عمَّ الرَّسولِ ﷺ، فقد اعترفَ بأن الرَّسولَ على الحقِّ، فقال:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا

فَلمَّا لم يَتَّبعْهُ وَماتَ عَلى مِلَّةِ عبدِ المُطَّلبِ عَلى الشِّركِ صَار من أهلِ النَّارِ، وهو يَعترفُ أنَّ دينَ مُحمدٍ ﷺ حقٌّ، وقال:

لَولَا المَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسَبَّةٍ ... لَرَأَيْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا[1]

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧٦).

مَا منعَه من اتباعِ الرَّسُولِ ﷺ إلا الحَمِيَّةُ لدينِ آبائِهِ وأجْدادِه، فَمنَعتْه الحَمِيَّةُ -والعِياذُ باللَّهِ- فَمَاتَ عَلى الكُفر، وَهُو يَعرِفُ أنَّ محمَّدًا عَلى الحَقِّ، ويَعتقِدُ هَذا، فعَلى مَذهبِ الأشاعِرَةِ يلزُم أنْ يَكونَ مُؤمِنًا.

وَليسَ الإيمانُ هُو القَولُ باللِّسانِ فحسْب بِدُونِ اعتِقادِ القَلب، كما تقُولُه الكَرَّامِيَّةُ؛ لأنَّه عَلى هَذا القَولِ يَكونُ المُنافِقُونَ مُؤمنين! لأنَّهم يَعترِفونَ بألسِنتِهم، وَلكنَّهم يُنكِرونَ في قَلوبِهِمْ، وقد حَكَمَ اللَّهُ عليهم بأنَّهم في الدَّرْكِ الأسْفَلِ من النَّارِ تَحْتَ المُشرِكِينَ، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ يَعني: يتلفَّظ، ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] يَعني: يَتلفَّظونَ بألسنتِهم.

وفي الآيةِ الأُخرى يقولُ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

فمجرَّدُ القولِ باللِّسانِ لا يَكفِي، بل اللَّهُ قال عنهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ يعني: سُترةً، ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [المنافقون: ١- ٣] ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بألسِنَتِهم ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ بقلوبِهم. فالنُّطقُ باللِّسانِ لا يَكْفِي، ولو اعترفَ الإنسانُ، حَتَّى ولوْ قاتلَ وَجاهدَ معَ المُسلِمينَ، ولو صَلىَّ وصَامَ، لا يَكفِي هذا حتَّى يَعتقِدَ بقَلبِه ما نَطَقَ به لِسانُه.

وكَذلَك ليسَ الإيمانُ كَما تَقولُ مُرجِئةُ الفُقهاءِ: الإيمانُ هُو قَولٌ باللِّسانِ واعتِقادٌ بالقَلبِ! لأنَّهُ لو كان كَذلِكَ لمَا صَارَ للأوامِرِ والنَّواهِي فائدةٌ، يَكفِي أنَّ الإنسانَ يَعتقِدُ بقَلبِهِ وينطِقُ بلسَانِه ولو لَمْ يُصَلِّ وَلَمْ يَصُمْ! وَهَذا مَذهبٌ بَاطِلٌ بلا شَكٍّ؛ لأنَّه يُعطِّلُ الأعمالَ كلَّها، واللَّه -جلَّ وعَلا- قرنَ العملَ بالإيمانِ في

كثيرٍ من الآياتِ ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَلَمْ يَقُل آمَنوا. فَحسْب أو عَمِلُوا الصَّالِحاتِ. فَحسْب، فَلابُدَّ من الاثنينِ مَعًا، فَلا يَكفِي العملُ بدونِ إيمانٍ، وَلا يَكفِي الإيمانُ بِدُونِ عَمَلٍ، فالإيمانُ والعملُ الصَّالِحُ قَرينانِ، وهَذا في كَثيرٍ من الآياتِ.

وممَّا يَدلُّ عَلى أنَّ الإيمانَ قولٌ باللِّسانِ، واعتقادٌ بالقَلبِ، وعملٌ بالجَوارِحِ: حديثُ الرَّسولِ ﷺ أنه قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[1].

فقولُ: (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**): هذا قَولٌ باللسانِ.

(**وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**): هذا من أعمالِ القَلبِ.

و(**إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**): هذا من أعمالِ الجَوارِحِ.

فدلَّ على أنَّ الإيمانَ: قولٌ واعتِقادٌ وعملٌ.

وأَمَّا كُونُهُ يَزِيدُ بالطَّاعةِ، فهذا صَريحٌ في القرآن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٢-٤]، فجَعل الصَّلاةَ والإنفاقَ من الإيمانِ، وهَذه أعمالُ جَوارِحٍ، وذِكْرُ اللَّهِ هَذَا قولٌ باللِّسانِ، ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وهُو دَليلٌ على أنَّ الإيمانَ يَزِيدُ.

وقال تَعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٥٧) (٣٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وَقالَ تَعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، فدلَّ على أنَّ الإيمانَ يَزيدُ ويَقْوى بالطَّاعاتِ.

وَكَذلكَ يَنْقُصُ الإيمانُ بالمَعاصِي، بدليل حديث: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(١) فدلَّ على أنَّ الإيمانَ يَضعُفُ، فالذي لا يُنكِرُ المُنكَرَ لَا بِيدِهِ وَلا بِلِسانِهِ هَذا ضَعيفُ الإيمانِ، والذي لا يُنكِرُ لا بيدِهِ وَلا بِلِسانِهِ وَلا بقلبِهِ هَذا ليسَ فيه إيمانٌ أَصلًا؛ لقوله ﷺ: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»؛ كَما في الحَديثِ: «إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»(٢)، هَذا دليلٌ عَلى أنَّ الإيمانَ يَضعُفُ ويَكونُ بِقدْرِ وَزْنِ حَبَّةِ الخَرْدلِ أو أَدْنَى من ذلكَ.

وفِي قَوله تَعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٦٧] دليلٌ عَلى أنَّ الإيمانَ يَضْعُفُ حَتَّى يَصِلَ إِلى أنْ يقرُبَ صَاحِبُه مِن الكُفر، ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾، فهَذا دليلٌ على نقصِ الإيمانِ.

والمُرجِئةُ يَقولونَ: الإيمانُ لا يَزِيدُ وَلا يَنقُصُ؛ لأنّ الإيمانَ بالقَلْبِ، وهو شيءٌ واحِدٌ، والنَّاسُ لا يَتفاضَلونَ في الإيمانِ، فإيمان أبي بكر مثل إيمان أفسق الناس!

وهذا كَلامٌ بَاطِلٌ، بل الإيمانُ يتفاضَل، وبَعضُ المُؤمنينَ أَقوى إيمانًا من

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٨).

(٢) سبق تخريجه (ص١٦٨).

الآخرِ، قال ﷺ: «المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»[1]، قوةٌ في الإيمانِ، وقوةٌ في البدن، وقوةٌ بالفعل.

فالإيمان يزيد وينقص بلا شكٍّ، فالمعاصي تنقص الإيمان، والطاعات تزيد في الإيمان.

هَذا هُو تَعريفُ الإيمانِ عند أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (إِنَّمَا الإِيمَانُ: قَوْلٌ)؛ يعني: باللِّسان.

(وَنِيَّةٌ): يعني: اعتقادٌ بالقَلب.

قوله: (وَفِعْلٌ): وهو عَملٌ بالأركانِ.

الإيمانُ: قولٌ واعتقادٌ وعملٌ، هذا ما يدلُّ عليه قولُ الرسول ﷺ؛ كما في حديث شُعبِ الإيمان، وغيره من الأحاديث.

قوله: (وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ):

هذا ردٌّ عَلى المُرجِئة الذين يَقولونَ: الإيمانُ لا يَزيدُ ولا يَنقُصُ، وإنما هو شيءٌ واحدٌ، وأهلُه في أصلِه سواءٌ!

وهذا قول باطل، بل الإيمانُ يَزيدُ بالطَّاعاتِ ويَنقُص بالمَعاصِي.

* * *

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[تَقْدِيمُ قَوْلِ اللَّهِ وَقَوْلِ رَسُولِهِ ﷺ عَلى كُلِّ قَوْلٍ]

٣٨- وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهَم
فَقَوْلُ رَسُوْلُ اللَّه أَوْلَى وَأَشْرَحُ

الشرح:

هَذه مَسألةٌ أُخرى، وهي: أنَّه لابدَّ أنْ يَكونَ هناك خلافٌ بينَ العُلماءِ في المَسائلِ، هذا يقول: هَذا حَلالٌ، وهَذا يَقولُ: هذا حرامٌ، وهَكذا يَجرِي الخِلافُ بينَ العُلماءِ في المَسائِلِ الاعتِقادِيةِ، والمَسائل العَمليَّة، والمُعامَلاتِ، فالخِلافُ يقعَ بِلا شكٍّ، وهَذه طبيعةُ البشرِ، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨- ١١٩]، ولكنْ لا يَجوزُ لنا أنْ نَأخذَ ما نُريدُ من الأَقوالِ ومَا يُوافِقُ رَغبَتَنا وشَهَواتِنا، وإنَّما نَأخذُ من الأَقوالِ ما قَام عَليه الدَّليلُ من كِتابِ اللَّه وسنَّةِ رسُولِه ﷺ، وهَذا كَما فِي قَوله تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى كِتابِ اللَّه (القرآن)، ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾: ويرجَعُ إليه في حَياتِه -عَليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- ويُسألُ، أَما بعدَ مَوتِه فيُرجَعُ إلى سنَّته، فكَأنَّه مَوجودٌ -عليه الصَّلاةُ والسَّلام- بِوُجودِ سنَّته؛ ولهذا قال ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»[١]، وَقال -عَليه الصَّلاةُ

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٧).

والسَّلام-: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي»(١).

فَلا يَجوزُ أنْ نَأخُذَ من الأَقوالِ مَا نَشتهِي أو يُوافِقُ رَغَباتِنا، أو أهواءَنا، أو نقول: هَذا أوسعُ للنَّاس وأيسرُ للناس، والمرونة مطلوبة!

فهَذا كَلامٌ بَاطلٌ، كَما يقولُه كَثيرٌ من الكُتَّاب اليومَ وَأَصحابُ الأَهواءِ.

ويَقولون: الاختِلافُ رَحمةٌ!

ونقول: الاختلافُ ليس برحمةٍ، الاجتماعُ هو الرَّحمةُ والاتِّفاقُ هو الرَّحمةُ، أما الاخْتلافُ فإنَّه عَذابٌ وشرٌّ؛ كما قال عبدُ اللَّه بنُ مسعودٍ ﷺ: «الخِلافُ شَرٌّ»(٢).

فالاختلافُ موجودٌ، ولكنْ ليس مَعنى ذلك أنْ نقولَ: هذا من سَعَةِ الدين؛

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (ص٢٦٩)، من حديث عمرو بن عوف ﷺ بلفظ: «وسنة نبيه ﷺ»، ورواه الحاكم أيضًا في «المستدرك» (١/ ٩٣) عن ابن عباس ﷺ بلفظ: «كتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ»، وعزاه في «كنز العمال» إلى أبي بكر الشافعي في الغيلانيات عن أبي هريرة ﷺ، «الكنز» (٨٧٥)، وعزاه أيضًا لأبي بكر السجزي في «الإبانة» الكنز (٩٥٥)، وقد ورد بغير هذا اللفظ عند مسلم (٣٦، ٣٧) (٢٤٠٨)، والترمذي (٣٧٨٨)، وأحمد (٣/ ١٤)، والسنة لابن أبي عاصم من (١٥٥١) إلى (١٥٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٩٦٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٤٣) (٥٢١٩)، وأبو يعلى (٩/ ٢٥٥) (٥٣٧٧)، وهو عند ابن أبي شيبة بلفظ: (الخلاف أشد). «المصنف» (٣/ ٢٥٧). وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٥١٦)، وأصله في «الصحيحين»: رواه البخاري (١٠٨٤)، ومسلم (٦٩٥).

لأن الدينَ ليس في أَقوالِ العلماءِ، إنما الدينُ بالدَّليلِ، قَال تَعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] هذا هو الميزانُ الذي بين أيدينا، لم يكلْنا اللَّه للخِلافِ أو إلى رأيِ فُلانٍ وقَولِ فلان، بل أمرنا بأنْ نَرجعَ إلى المِيزانِ، وهو: الكتاب والسنة.

- فمَنْ كانَ من أَهلِ العلمِ وَيستَطِيعُ أنْ يَعرِفَ الرَّاجحَ من المَرجوحِ فإنه لا يَسَعُه أنْ يأخذَ القولَ على عِلَّاته حَتَّى يَعرِضَه على كتابِ اللَّهِ وسُنَّة رسولِه ﷺ.

- وأَمَّا إنْ كان من العَوامِّ أو من المُتبدئينَ في طَلب العلم، فهذا يَسأل أهلَ العلم، قَال تَعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

والأَئمةُ يُحذِّرونَ من أَخْذِ أَقوالهم بِدُونِ مَعرفةِ الدليل:

- **فالإمامُ مَالكٌ -رحمه اللَّه تعالى- يقول**[1]: «**كُلّنَا رادٌّ ومَردودٌ عَليهِ، إلا صَاحبَ هذا القَبر**»، يعني: رسولَ اللَّه، ويقولُ: «**أَوَكُلَّمَا جَاءنا رَجلٌ أَجْدَلُ من رَجُلٍ تَركْنَا مَا نزلَ به جِبريلُ على مُحمَّدٍ ﷺ لجَدَل هؤلاءِ**».

- **والإمام الشافعي -رحمه اللَّه تعالى- يقول**: «**إذا صحَّ الحدَيثُ فهُو مَذهَبي**»، ويقول: «**إذا خَالفَ قولي قولَ رسول اللَّه ﷺ فاضرِبُوا بقَولي عُرْضَ الحَائطِ، وخذوا بقَولِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ**»، ويقول: «**أجْمعَ المُسلمونَ عَلى أنَّ مَن**

---

(١) انظر أقوال الأئمة في الحث على الأخذ بالحديث ونبذ ما خالفه من الأقوال والآراء؛ في «قواعد التحديث» للقاسمي (ص٢٧٣) ط. دار الكتب العلمية، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٥)، و«الرد على الأخنائي» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٨٥) ط. المطبعة السلفية، و«إعلام الموقعين» (٣/ ٢٨٧)، وتيسير العزيز الحميد (٥٦٣) ط. مكتبة التراث الإسلامي.

اسْتبانتْ له سنةُ رسُولِ اللَّه ﷺ لَمْ يَكنْ له أنْ يدعَها لقولِ أحدٍ» .

- والإمامُ أحمدُ -رحمه اللَّه تعالى- يقول[1] : «عَجِبتُ لقَومٍ عَرَفوا الإسنادَ وصحَّته يَذهبُونَ إلى رَأيِ سُفيانَ! واللَّهُ تَعالى يَقولُ : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، أتدرِي ما الفتنةُ؟ الفتنةُ الشِّركُ، لعلَّه إذا ردَّ بعضَ قوله أنْ يقعَ في قَلبِه شيءٌ من الزَّيْغِ فَيهْلِكَ» .

فَلا قولَ لأحدٍ مَع قَولِ رَسولِ اللَّه ﷺ، والوَاجِبُ عَلينا عنْدَ الاختلافِ أنْ نَرجعَ إلى المِيزانِ، وهَذا من رحمةِ اللَّهِ بنا، أنَّه لم يَكِلْنا إلى الاختلافِ وأقوالِ الناس، وإنَّما أمرَنا أنْ نَزِنَ الأقوالَ بِالكتاب والسنةِ، وهذا يكونُ للعُلماء، وأما العوامُّ فعليهم أنْ يسألُوا أهلَ العلم : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فيَسألُ العاميُّ من يثقُ بعلمِه وَدينِه ويَأخذُ بقوله؛ ولهَذا يَقولونَ: مَذهبُ العَاميِّ مذهبُ مَن أفتاهُ. فهَذا هُو الضَّابط فِي هَذه المَسألةِ.

والآنَ الصُّحفُ والكِتاباتُ كلُّها تُنادي بالأَخْذِ بالآراءِ والتَّوسِعةِ على النَّاس، وأنَّهم إذا رُدُّوا إلى الدَّليلِ فهَذا حَرَجٌ وضِيقٌ، هَكذا يَقولونَ!

وهذا القولُ كُفرٌ؛ لأنَّ قائلَه يَرى أنَّ الأخذَ بِالدَّليلِ يكونُ حَرَجًا! والذي يقولُ هَذا يَكفُرُ. والأخذُ بالدَّليلِ هو الفَرَجُ وليسَ حَرَجًا، وهُو التَّيسِيرُ من اللَّه ﷻ.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه اللَّه تعالى-: «هذا الكلام من الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ رواه عنه الفضل بن زياد وأبو طالب. ثم قال: ذكر ذلك شيخ الإسلام -رحمه اللَّه تعالى-». اهـ. انظر «فتح المجيد» (ص٥٥٧)، ط. قرطبة. وانظر: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (٢/ ١١٦) ط. دار ابن حزم، وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (١/ ٤٩٢) ط. المكتب الإسلامي.

فهَذا هُو الكَلامُ فِي مَسألةِ اختلافِ العُلماءِ، ومَاذا نأخذُ من الأَقوالِ المُختلِفةِ فِي المَسائِلِ.

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ): المُعتَبرُ قولُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وهو الذي أُمِرْنا باتِّباعِه، وَلَمْ نؤمرْ بِاتِّباعِ الآراءِ والأَقوالِ.

والعُلماءُ والأئمةُ يُحذِّرونَ مِن هَذا غَايةَ التَّحذيرِ.

* * *

[الطَّعْنُ فِي أَهْلِ الحَدِيثِ]

٣٩- وَلَا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلْهُو بِدِيْنِهِمُ
فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيْثِ وَتَقْدَحُ

الشرح:

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ):

أي: لا تَتَّخِذِ الدِّينَ مَهزَلةً ومَلعبةً؛ فإنَّ هذا فِعلُ المُنافقينَ والفُسَّاق، بلْ عَليكَ احترامُ الدِّينِ وتَعظِيمُ أمرِ الدِّينِ وأَهلِه، وقالَ اللَّه -جلَّ وعَلا- عَن المُنافِقينَ والفُسَّاقِ: ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٥١]، ويَدخلُ فِي هَذا الصُّوفيةُ الذين يَجعَلونَ الرَّقْصَ والدُّفُوفَ والأغَانيَ من الدِّينِ! ويُسَمُّونَها الأناشِيدَ والمَرَاثِيَ والقَصائِد، ويُنشِدونَها يَتَقَرَّبونَ بهَا إلى اللَّهِ!

وهي من الأغاني والطَّرَبِ المُحرَّم، وَاللَّهوِ المُحرَّم.

وَيدخلُ فيه من بَابِ أَولَى: الذين يَميلُونَ إلى الشَّهواتِ ومَا تهْواه أنفسُهم، ويُعطُونَ أنفسَهم ما تُريدُ، ولو كَان مُخالِفًا للدِّينِ، فهَذا مِن اتخَاذِ الدِّينِ لَهْوًا ولَعِبًا، فيَدخُلُ فِيهِ الفُسَّاقُ الّذينَ لا يُبالُونَ بِأَمرِ الدِّينِ، ويَتَّبعونَ ما تَشتهِيهِ أنفسُهم ورَغباتُهم.

ويدخلُ فيه العُبَّادُ من الصُّوفيَّةِ الذين أَدْخَلوا في العِبادةِ مَا ليسَ مِنهَا، بَل أَدْخلُوا فِيها مَا يُخالِفُها من ضَرْبِ الطُّبولِ والرَّقصِ، وَيتَّخذونَ هَذا دِينًا، وَيُنشِدون القَصائِدَ المُنغَّمةَ، كفِعلِ النَّصارَى في تَرانِيمِهم!

فهذا كلُّه من اتخّاذ الدِّين لهْوًا ولَعِبًا .

قوله -رحمه اللَّه تعالى- : (فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الحَدِيثِ وَتَقْدَحُ) :

عَليكَ باحترامِ أَهلِ الحَديثِ. وأهلُ الحَديثِ: هم أهلُ الرِّواية الَّذينَ اعتَنوا بسُنَّةِ رَسولِ اللَّه ﷺ، وحَافظوا عَليهَا ، حتَّى بلَّغوها للنَّاسِ كَما جَاءَت عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ونَفَوا عَنْها كلَّ دَخِيلٍ وكلَّ كَذِبٍ، واعتَنوا بها عِنايةً تامَّةً. وهم عَلى قسمين :

الأَول: أَهلُ رِوايةٍ فَحَسْب.

الثاني: أَهلُ رِوايَةٍ ودِرايةٍ.

أهلُ الرِّوايَةِ هم: الحفَّاظُ الذين حَفِظُوا الأَسَانيدَ، وأتقنُوها ، وميَّزوا رُوَاتِها ، وبيَّنوا أَحْوالَ الرُّواةِ، وأيضًا اعتَنوا بِالمُتونِ وحَفِظوهَا وَبلَّغوهَا بأَلفاظِها ، حتَّى إنَّ الحَافظَ إذا شكَّ في لفْظةٍ يَقولُ: أَوْ قالَ كَذا وَكَذا ، يَأتِي بالاحتمالِ الثَّاني وَلا يَجزِمُ. أو يَقولُ: شكَّ فلانٌ، ولو كَانتِ اللَّفظةُ الثَّانيةُ بمعنَى اللَّفظَةِ التي توقَّف فِيها ، ولو كَانَ المَعنَى وَاحِدًا ، يَحترِمُونَ الألفاظَ ، فيُؤدُّون الحَديثَ بلفظِه ؛ كَما جَاءَ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَمَلًا بقولِه ﷺ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتَنَا ، فَبَلَّغَهَا كَمَا سَمِعَهَا ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»[1] .

فَهُمْ يُحافِظُونَ عَلى مُتونِ الأَحاديثِ وأَسانيدِها أَلَّا يَدخلَها ألفاظٌ غَيْرَ لفظِ

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦، ٢٦٥٧، ٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٠)، وأحمد (١/ ٤٣٧، ٤/ ٨٠، ٤/ ٨٢، ٥/ ١٨٣)، وابن حبان (٦٦) (١/ ٢٦٨)، والحاكم (١/ ١٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤١) (٢/ ١٢٦)، و«الأوسط» (١٣٠٤) (٢/ ٧٨)، و«الصغير» (٣٠٠)، والدارمي (١/ ٨٦) (٢٢٨)، وأبو يعلى (٩/ ٦٢) (٥١٢٦)، وكتب فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد رسالة أثبت فيها تواتره.

الرَّسولِ ﷺ، وإذا شكُّوا بيَّنوا الشكَّ، ويَدرُسونَ الأَسانيدَ، ويَعرِفُونَ أحوالَ الرُّواةِ واحدًا واحدًا، ويُميِّزونَ بينَ الصَّحيحِ والحَسنِ والضَّعيفِ والمَوضوعِ.

هَذه مُهمَّة الحُفَّاظ، ويُسَمَّونَ: نُقَّادَ المُتونِ والأَسانيدِ، مثلُ نقَّادِ الذَّهبِ والفضَّة، فالصَّيارِفَةُ يَعرفونَ الذَّهبَ الصَّحيحَ والفضَّةَ الصَّحيحةَ من المُزيَّفة، من حينِ يَسمعُ صوتَ النَّقد يقولُ لكَ: هذا مَغْشُوشٌ أو هَذا غيرُ مَغْشوشٍ. فأصْحابُ الحَديثِ مثلُهم، إذا ما سَمِعَ الحَدِيثَ وسَمِعَ سندَه، يقولُ لك: هَذا فِيهِ كَذا، أو فِيهِ كَذا. هَؤلاءِ عُلماءُ الرِّوايَةِ.

والآخَرونَ عُلماءُ الرِّوايَةِ والدِّرَايةِ؛ يعني: فقهاءَ الحديثِ الذينَ يَروُونَ الحَديثَ، ويَستنبِطونَ منه الأحكامَ، ويَذكُرونَ فقهَ الحديثِ؛ كالبُخاريِّ ومُسلمٍ ومَالكٍ وأَحمدَ، هَؤلاء فقهاءُ الحَديثِ فهم حُفَّاظٌ وفُقهاءُ.

وقد ضَرَبَ النبيُّ ﷺ مَثلًا لهَؤلاءِ وهَؤلاء؛ فقال: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا:**

فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ: قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ.

وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ: أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ: فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا.

وَأَصَابتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً.

فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا. وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (١٥) (٢٢٨٢).

فالطَّائفةُ الأُول: «نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ»: وهَذا مِثَالٌ للحُفَّاظ، الذينَ أمسَكُوا الحَديثَ وَرَوَوهُ وَحَفِظوهُ، ومَنْ احتَاجَ إلى دَليلٍ يَرجِعُ إلى ما دوَّنوه ومَا جَمعوهُ فيأخذُ منه، مِثلُ الجَابِيَةِ التي تَحفَظُ مِياهَ السُّيولِ، يَرِدُ إليها النَّاسُ بِدَوابِّهم وبأوانيهم ويَرتَوونَ مِنها. هَذا مَثَلُ حُفَّاظ الحَديثِ تَمامًا.

والطَّائفةُ الثَّانيةُ: «أَمْسَكَتِ المَاءَ وَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ»: وَهَذا مِثالٌ لِفقهاء الحَديثِ، الَّذِينَ حَفظُوا الحَديثَ وأَمسكُوهُ واستَنْبَطُوا مِنهُ الأحكامُ، وهَذا إنباتُ الكَلأ، فشَرِبَ النَّاسُ وَرَعَوا.

وَهؤلاءِ أحْسنُ من الطَّائفة التي قَبْلَها، أَحسنُ من الحفَّاظ؛ لأنَّهم أهلُ رِوايةٍ وأَهلُ دِرايةٍ.

وَالطَّائِفةُ الثَّالِثَةُ: «إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً»: فَذلكَ مِثالُ مَنْ لَمْ يَقبلْ هُدى اللَّهِ، وَلم يرفعْ بِذلك رَأسًا.

فالناسُ كَالأَراضِي -ثَلاثةُ أَقسامٍ:

الأولُ: أَجادبُ: لا تُنبِتُ، ولكنَّها أَمسكتِ الماء. هَؤلاءِ الحفَّاظ.

الثَّاني: أرضُ خِصْبَةٌ: أمسكت وأنبتت. هؤلاء هم الحفاظ الفقهاء.

الثَّالثُ: طَائِفةٌ ليسَ فيها خيرٌ: لا تُنبِتُ كَلأً ولا تُمسِكُ ماءً. هذا مَثَلُ المنُافِقينَ الذين لا خيرَ فيهمْ، الذينَ لا يَرفَعونَ بسنَّةِ الرَّسولِ ﷺ رَأسًا.

فأهلُ الحَديثِ همْ أفضلُ الأمَّةِ، وهُم الفرقةُ النَّاجيةُ.

قال الإمامُ أحمدُ -رحمه اللَّه تعالى-: «إنْ لم تكُنِ الفِرقَةُ النَّاجِيةُ أصْحابَ الحَديثِ فَلا أدْرِي مَن هُم»[1]، فَأصحابُ الحَديثِ هم الفِرقَةُ النَّاجيةُ، وكَذلكَ مَن اتَّبعهُم وَسَارَ عَلى نَهجِهم فهُو يُلحَقُ بهم.

* * *

(١) انظر «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي (ص٢٥) دار إحياء السنة، و«معرفة علوم الحديث» للحاكم (ص٢) ط. دار الكتب العلمية.

[أَهَمِّيَّةُ الاعْتِقَادِ الصَّحِيحِ وفضلُه في الدُّنيا والآخرةِ]

٤٠- إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الْدَّهْر يَا صَاحِ هَذِهِ
فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيْتُ وَتُصْبِحُ

الشرح:

قولُ النَّاظم -رحمه اللَّه تعالى-: (إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ):

هَذا الخِتامُ يقولُ فيه: إذا اعتقدتَ مَا جاءَ في هَذهِ القصيدة كُلَّ حَياتِكَ، أَو عندَ خَاتمةِ حَياتِكَ فَأَنتَ عَلى خَيْرٍ في العَاجِلِ والآجِلِ. أما أنْ تَعتقِدَ ذلك فَترةً، ثم تترُكَه وتُهْمِلَهُ، فهذا لا يَنفعُك شَيئًا، لابدَّ من الاستمرارِ عَلى هذهِ العقيدةِ فِي كلِّ حَياتِك إلى أَنْ تَموتَ عَليَها، أَمَّا مَنِ اعتقدَها في الأَوَّل ثم تَراجَع عَنهَا فهَذا يَهلِكُ مَع الهَالكين.

(يَا صَاحِ): يَحتمِلُ أنَّ أصلَه يا صَاحِبي ورُخِّمَ، والتَّرخِيمُ: أنْ يُحْذَفُ آخرُ المنادَى كـ(يَا سُعَا) فيمَن دعا سعادًا.

أَو أنَّ الأصلَ (يا صاحِي) من الصَّحْوةِ، وحُذِفتِ الياءُ كَذلك من أَجلِ التَّرخِيم والتَّخفيفِ، عَلى المُستمِع.

فَإذا عَمِلتَ بما ذكرَه الناظمُ في هذهِ الأبياتِ واعتقدتَ ما جاءَ فيها، فأَنتَ على الجادَّة الصَّحيحةِ والمَسلك الصَّحيحِ، ومَنْ خَالفَ مَا جاءَ فيها فإنَّه يَكونُ من المُخالِفِينَ، عَلى حَسَب مُخالفتِه، وليسَ ذلك لأَجل النَّاظِمِ أَو مَنظومتِه،

وإنَّما من أجلِ أنَّ هَذه المنظومةَ مأخوذةٌ من الكتابِ والسُّنَّة، فليسَ هَذا مدحٌ لمَنظُومتِه، وإنَّما هو مَدحٌ لمَا تَشتمِلُ عليه من مَعاني الكِتابِ والسُّنَّةِ.

قوله -رحمه اللَّه تعالى-: (فَأَنْتَ عَلىَ خَيْرٍ تَبِيتُ): في المساء.

(وَتُصْبِحُ): في الصَّباحِ. فَلا تكنْ ممَّن يُصْبحُ مُؤمِنًا ويُمسِي كافرًا، أو يُمسِي مُؤمنًا ويُصبح كافرًا بِسَبَبِ الفِتنِ، لا تكُونُ كَذلك -إنْ شاءَ اللَّه-؛ لأنَّكَ عَلى مَنهجِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، وهَذهِ هي الفِرقَةُ النَّاجِيةُ، قال ﷺ: **«وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلىَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»**[1].

وسمِّيتِ النَّاجيةَ؛ لأنَّها نَجَتْ من النَّارِ، ولمْ تقعْ فِيها مَع الفِرقِ المُخالِفةِ.

وسُمُّوا أهلَ السنةِ؛ لأنَّهم يَعملُونَ بسُنةِ الرَّسولِ ﷺ، عَمَلًا بقولِه ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»**[2].

وَسُمُّوا بالجَماعةِ؛ لأنَّهم يجتمعون ولا يختلفون، فمِن سماتِ أهلِ الحقِّ الاجتماعُ، ومِن سماتِ أهْلِ البَاطِلِ الافتراقُ والاختِلافُ.

---

(١) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن، وله طرق، وورد عن عدد من الصحابة، منهم:
معاوية رضي الله عنه عند أبي داود في «السنن» (٤٥٩٧)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٧٧).
وعوف بن مالك رضي الله عنه عند ابن ماجه (٣٩٩٢)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٧٠).
وأبو هريرة رضي الله عنه عند الترمذي (٢٦٤٠) وقال: حسن صحيح.
وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند الترمذي (٢٦٤١).
وأنس رضي الله عنه عند ابن ماجه (٣٩٩٣)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٤٥)، وأبي يعلى في «مسنده» (٧/ ١٥٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٤٧).

جَزى اللَّهُ النَّاظِمَ عن الإسلامِ والمُسلِمينَ خيرًا، ونفعَنا بما ذكرهُ، وثبَّتنا وإيَّاكم والمُسلِمينَ على قولِ الحقِّ، والعَملِ به إلى يَومِ نَلقاهُ.

وَبهذا انتَهى الشَّرحُ على هَذهِ المَنظومَةِ المُبارَكةِ. واللَّهُ تَعالى أعْلَمُ.

تَمَّتْ

في ٨/ ٣/ ١٤٢٦هـ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحمَّدٍ وعلى آله وصَحْبِه وَسلَّم

والحمدُ للَّه ربِّ العَالَمِينَ

الفهارس العامة

* * *



١- فهرس الآيات القرآنية

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

* * *

٢- فهرس الأحاديث النبوية

* * *

٣- فهرس الآثار وأقوال العلماء

* * *

٤- فهرس الأشعار

* * *

٥- فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

* * *

نثر الورود

على حائية ابن أبي داود

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

خرج أحاديثه وحققه

أسامة بن زيد بن محمد المدخلي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الميراث النبوي

للنشر والتوزيع





المقدمة

الحمد لله الذي بفضله وإحسانه يتمّ كل عمل صالح مبرور، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه الشموس والبدور.

أما بعد: فإن المحافظة على العلم الشرعي ووسائله ذات العلاقة به مطلبٌ شرعيّ، وإنَّ خير وسيلة لحفظه وبقائه ميراثًا غاليًا لأمة محمد ﷺ هي تدوينه وطبعه ونشره؛ ليكون نافعًا للقاصي والداني ممن أراد اللَّه بهم خيرًا، وإذ كان الأمر كذلك فإنَّ كثيرًا من طلبة العلم الأذكياء الأخيار الذين يقرؤون عليَّ بعض المتون يقومون بتسجيل تعليقاتي المختصرة لا سيّما فيما يتعلق بتصحيح الاعتقاد وتفنيد الأفكار الخاطئة والمحدثات المضلِّلة في هذا الزمن الذي تنوعت فيه الفتن، وكثُر مؤجّجوها في العالم الإنساني والإسلامي في السر والعلن، ومن ثَمَّ يقوم الطلَّاب بتفريغ بعض المتون المشروحة وتسليمها لي للنظر فيها والإذن في طبعها ونشرها، ومن جملة المواد التي حظيت بهذا العمل القصيدةُ الحائية لابن أبي داود السجستاني - رحمه اللَّه تعالى - والتي اعتنى بإخراجها وتحقيق نصوصها الأستاذ: أسامة ابن زيد بن محمد المدخلي المتحصِّل على درجة ليسانس في العلوم الشرعية، وقد أذنت

له في طباعتها لتخرج من الرفِّ إلى الكفِّ، ولا يعيب الكتابَ صغرُ حجمه، فكم من درر توجد في النهر.

وها هي بين يدي محبّي العقيدة السلفية الصحيحة، لهم غُنمُها هنيئًا مريئًا، وعليّ غُرمُها الذي أرجو من اللّه أن يسامحني فيه؛ إذ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

المؤلف

١٨/٢/١٤٢٧هـ

* * *

قال الإمام الحافظ المحدّث ابن أبي داود[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصيدته الموسومة بـ: «الحائية» ما نصّه:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّه وَاتَّبِعِ الْهُدَى ... وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّه وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّه تَنْجُو وَتَرْبَحُ

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيْكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

وَلَا تَكُ فِي القُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقًا قِرَاءَةً ... فَإِنَّ كَلَامَ اللَّه بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّه لِلخَلْقِ جَهْرَةً ... كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ شَبَهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

وَقَدْ يُنْكِر الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيْثٌ مُصَرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيْرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِيْنَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلَا كَيْفٍ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

يَقُوْلُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيْثُهُمْ ... أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوْهُمْ وَقُبِّحُوا

---

(١) هو الإمام أبو بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني، إمام محدث سمع الحديث وهو صغير كان من أكابر الحفاظ ببغداد، عالمًا متفقًا عليه، إمام ابن إمام، شارك أباه في شيوخه بمصر والشام، وسمع ببغداد وخراسان وأصبهان وشيراز، ولد سنة ٢٣٠هـ، والده الإمام الحافظ المعروف بأبي داود صاحب السنن، وتوفي - رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته - سنة ٣١٦هـ. [انظر «عون المعبود» (١/ ٤)].

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيْرَاهُ قُدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُم عَلِيٌّ حَلِيْفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجَحُ
وَإِنَّهُمْ لَلْرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيْهِمُ عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّوْرِ تَسْرَحُ
سَعِيْدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ
وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِيْنُ بِفَضْلِهِم وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُوْرِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّيْنِ وَالدِّيْنُ أَفْيَحُ
وَلَا تَنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيْرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيْزَانَ إِنَّكَ تَنْصَحُ
وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّه الْعَظِيْمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِن الْفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبِّ حَمِيْلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
وَإِنَّ رَسُولَ اللَّه لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْحَقِّ مُوضَحُ
وَلَا تُكَفِّرَنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ
وَلَا تَعْتَقِد رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَن يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوْبًا بِدِيْنِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالدِّيْنِ يَمْزَحُ
وَقُلْ إِنَّمَا الإِيْمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ
وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهَم فَقَوْلُ رَسُوْلُ اللَّه أَوْلَى وَأَشْرَحُ
وَلَا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلْهُو بِدِيْنِهِمُ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيْثِ وَتَقْدَحُ
إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيْتُ وَتُصْبِحُ

❋ ❋ ❋

تمهيد

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذه القصيدة في العقيدة الإسلامية - عقيدة أهل السنة والجماعة السائرين على نهج السلف(١) الصالح رضوان الله عليهم

---

(١) هذا المصطلح «السلف» مرادفٌ للأسماء الشرعية الأخرى لأهل السنة والجماعة، وأن الدعوة إلى اتباع السلف أو الدعوة السلفية إنما هو دعوة إلى الإسلام الحق وإلى السنة المحضة، ودعوةٌ إلى العودة إلى الإسلام كما أُنزل على النبيِّ ﷺ وتلقّاه عنه أصحابُه الكرام، حيث أصبح مدلول السلف ينطبق على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج طِبقًا لفهم الصحابة والقرون المفضلة. [«فكر التكفير قديمًا وحديثًا» (ص٢٥) للدكتور عبدالسلام ابن سالم السحيمي».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلامه على بعض المعتقدات الفاسدة قال: «... وهذه الأمور كلُّها إذا تدبّرها المؤمن بعقله تبيّن له أن مذهب السلف هو المذهب الحق الذي لا عدول عنه، وأن من خالفهم لزمه فسادٌ معلوم بصريح المعقول وصحيح المنقول» اهـ [«مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٨٥).

ويقول أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه أو اعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتّفاق؛ فإنّ مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا» [المصدر السابق (٤/ ١٤٩)]. ويقول شيخنا حفظه الله صاحب هذا الشرح في تعريف السلف الصالح في كتابه: «قطوف من نعوت السلف ومميزات منهجهم في أبواب العلم والعمل» (ص٧) ما نصه: «والسلف هم: أصحاب رسول الله ﷺ الذين حضروا عصره وأخذوا منه هذا الدين القويم مباشرة غضًّا طريًّا؛ علمًا وعملًا وخلقًا وسلوكًا، ويلحق بهم في استحقاق هذا اللقب العظيم والوصف الجليل الكريم كلّ من اقتدى بهم ﷺ ونوّر مراقدهم ولو كان في عصرنا هذا أو قبله أو بعده إلى يوم الدين.

ويقول حفظه الله في المصدر نفسه (ص٧): «وعلى هذا الفهم الحق اجتمعت كلمةُ أهل=

ورحمته - للإمام ابن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ، هو إمام، وأبوه إمام؛ أبوه صاحب السُّنن وهو من تلامذة أبيه، وله مصنفات نافعة ومفيدة، وهو من علماء السلف حقًّا ومن أتباعهم صدقًا، والدليل على أنه من علماء السلف مصنّفاتُه التي منها هذه القصيدة في تصحيح الاعتقاد، وعادة العلماء الأجلاء - القدامى والمعاصرين - أنهم يفصحون عن معتقدهم بالمؤلّفات المنظومة والمنثورة؛ إمّا استقلالًا وإما ضمن مباحث الفقه الإسلامي الذي من مباحثه بالدرجة الأولى مبحث تصحيح الاعتقاد، والتحذير مما يضادّه من ضروب الشرك والبدع، ومن خلال ذلك يعرف معتقد العالم فيرغب الناس في الأخذ عنه والتتلمذ على كتبه، وهكذا في باب علوم الشريعة؛ من شعائر، ومعاملات، ومنهج دعوة إلى للّه، وجهاد شرعي، وسلوك وأدب معهما حُسنُ خُلُق نقيّ من شوائب التصنّع والرياء، إلى غير ذلك من العلوم الشرعية التي هي الدين، فجاءت هذه القصيدة لابن أبي داود الذي هو من علماء القرن الثالث فيها بيان اعتقاده حيث ابتدأها بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

ن: تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى   وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

أقول: وهذه من ميزات علماء السلف؛ لأنهم ينطلقون في مؤلفاتهم - المنظومة والمنثورة - من نصوص الكتاب والسنة، فأمر صاحب القصيدة بالتمسّك بحبل اللّه واتباع الهدى؛ دلّت على ذلك آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار عن علماء السلف لا تدخل تحت

= العلم وصرّحوا أن من عداهم ممن خالفهم باسم أو رسم أو عمل فإنه ليس منهم وإن عاش بينهم وعاصرهم في أيام حياتهم» اهـ.

الحصر في مقامٍ كهذا .

فمعنى قول المؤلف : «**تمسّك**» أي : اعلم واعمل وعلّم ودُم على ذلك ابتغاء مرضاة للَّه ، وابتغاء نيل الأجر والثواب منه ﷻ ، و«حبل الله» هو : دين اللَّه الذي جاء به كتاب اللَّه ﷻ وسنة نبيّه ﷺ ، وهو كما أسلفت انطلاقٌ من آيات قرآنية ؛ ومنها قول اللَّه ﷻ : ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

فقوله : «**تمسك بحبل الله**» هو : نتيجة ما فهمه من قول اللَّه ﷻ : ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ أي : اعتصموا بدين للَّه ، أي بالعمل بالقرآن وبسنة من أنزل عليه الفرقان ، كما أمر اللَّه ﷻ وكما أمر رسوله - عليه الصلاة والسلام - ، والاعتصام بحبل اللَّه الذي هو التمسك بدينه لا يتم لذكر ولا لأنثى حتى يعلم دين للَّه ، ولا يمكن أن يعلم المرء دين اللَّه إلا إذا تعلّم ؛ فإنّ الجاهل مهما رأى نفسه أنه متمسّك بحبل اللَّه وهو فاقد الصواب فعمله مردود عليه ؛ إذ لا يقبل اللَّه ﷻ من مكلَّف من عالم الإنس والجن عملًا إلا إذا اجتمع فيه شرطان :

الشرط الأول : الصواب ومعناه : متابعة النبيّ ﷺ في أقواله وأفعاله وجميع ما جاء به ظاهرًا وباطنًا ، والدليل على ذلك قول اللَّه تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر : ٧] .

والشرط الثاني : الإخلاص ، أي : الإخلاص في العمل ؛ وهو أن

يبتغي العامل من وراء عمله وجه اللَّه والدار الآخرة، قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، فإذا اختلّ شرط من هذين الشرطين فإن العمل[1] لا يقبل، والجاهل فاقد الصواب؛ فلا يقبل عمله حتى يتعلّم، ولا يمكن أن يتمسك بحبل اللَّه حتى يكون ذا علم شرعي، فالعلم إمام العمل والعمل تابعٌ له، لذا قال اللَّه ﷻ مخاطبًا نبيه ﷺ وأمته تبعٌ له في الخطاب: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩] فأمر اللَّه ﷻ نبيه أن يعلم أولًا ثمّ يعمل، فجاء الأمر بالعلم مقدّمًا على العمل، وهكذا قول اللَّه ﷻ في أول آيات أنزلها على النبيّ ﷺ أمره فيها بالعلم كما في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] قبل أن يأمره بشيء من العبادات العملية أو الاعتقادية بل أمره أن يقرأ إذ قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم فتر الوحي حتى أنزل اللَّه ﷻ صدر سورة المدثر: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٧]، وانطلق النبيّ الكريم - عليه الصلاة والسلام - لإنذار الناس وتبليغ الرسالة المشتملة على البشارة

---

(١) يقول الإمام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحسن عملًا أخلصه وأصوبه»، وقال: «العمل لا يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، الخالص: إذا كان لله والصواب: إذا كان على السنة» [رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٥)] وذكر هذا القول ابن تيمية في «فتاواه» (١/ ٣٣٣) وكذلك ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين» (١/ ٨٣).

والنذارة؛ البشارة للمؤمنين المطيعين المتّبعين شرع نبيهم الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بأن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار وفوق ذلك رضا اللَّه -تبارك وتعالى- ورؤيته، والنذارة للعصاة وللكافرين المعرضين عما جاء به النبيّ ﷺ مما فيه الحياة الطيّبة المباركة، ألا وهو الكتاب الكريم والسنة المطهّرة علمًا وعملًا ظاهرًا وباطنًا.

وإذ كان الأمر كما علمت فالجمع بين العلم والعمل هو منهج المنعم عليهم؛ الذين أمرنا اللَّه - تبارك وتعالى - أن نسأله أن يسلك بنا سبيلهم في أعظم سورة أنزلها اللَّه ﷻ، وأوجب قراءتها في كلّ ركعة من صلواتنا فرائض ونوافل ألا وهي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ حيث ختمت بقوله ﷻ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾... الآيات، وفسّر هذا الإجمال في قول اللَّه ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]

فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أولياء اللَّه ولا يدخل معهم غيرهم: «النبيون»: الذين هم صفوة الخلق - عليهم الصلاة والسلام -، و«الصديقون»: الذين صدّقوا بما جاءت به رسل اللَّه عن اللَّه - تبارك وتعالى -، و«الشهداء»: الذين ثبتت لهم الشهادة بنصوص الشرع ممن قتل في معارك القتال مع أعداء اللَّه وهو مقبل غير مدبر، وممن كتبت له الشهادة وإن لم يقتل في المعارك، و«الصالحون»: من باب عطف العام على الخاص، وهم كل عبد صالح من عالم الإنس والجن من ذكر

وأنثى ، ولا يكون العبد صالحًا إلا إذا جمع بين العلم والعمل ، وأما من علم ولم يعمل فقد تشبّه بالمغضوب عليهم وهم اليهود الذين أنزل اللّه عليهم الكتب التي فيها هدىً ونورٌ كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى ، فغيّروا وبدّلوا وحرّفوا واستهزؤوا ، بل وقتلوا المرسلين بعد أن علموا ؛ فغضب اللّه عليهم ولعنهم ومسخ بعضهم قردة وخنازير ؛ وهو عذاب أدنى ، والعذاب الأكبر يوم يقوم الأشهاد قال تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢] يقدُمهم - والعياذ باللّه - اليهودُ الذين أكرمهم اللّه بإرسال الرسل المتتابعة وإنزال الكتب ، وأكرمهم بالخير الأخروي والدنيوي ، فحرّفوا وبدّلوا وغيّروا وعصوا اللّه ﷻ وكذّبوا رسله ، بل وقتلوهم كما قصّ اللّه خبرهم في القرآن الكريم ، فمن تشبّه بهم من هذه الأمة أي : علم ولم يعمل استحقّ من العذاب نصيبه بقدر ما جنى لقول اللّه تعالى : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] ، وقوله ﷻ : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣] وقوله - تبارك وتعالى - : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] .

ومن عمل من دون علم بل على جهل من هذه الأمة فقد تشبّه بالنصارى ؛ الذين تركوا الكتاب الذي أنزله اللّه واشتغلوا بملذّاتهم وشهواتهم واتبعوا الهوى وصارت عبادتهم ضائعة هباءً منثورًا ؛ كما قال اللّه تعالى عن الكافرين - وهم منهم - : ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] أي : لا يقيم اللّه لهم وزنًا وإن تعبّدوا بأنواع من القُرُبات ، سواءً يوم بعثة النبيّ ﷺ وفي أيام حياته أو بعد

مماته وإلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة، كلّ من عبد اللَّه بجهل وعبد اللَّه بغير رسالة محمد من اليهود والنصارى فهو من أهل الضلال، وإن مات على ذلك فهو من أهل النار، وما ذلك إلا لأنه كفر بآخر رسول وأعظم رسول أرسله اللَّه ﷻ، وكتب اللَّه ﷻ أن تكون رسالته عامة شاملة لا يسع أحدًا الخروجُ عنها أبدًا كما قال اللَّه ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وكلمة الناس تشمل جميع الأناسيّ من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والوثنيين وغيرهم من ملل الكفر وطوائفها جميعًا، وفي الحديث يقول النبيّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي جِئْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[١]، فمن يدّعي بأنه على دين اليهودية أو النصرانية ولم يؤمن برسالة النبيّ ﷺ فهو كاذب في دعواه، ودعواه لا تنفعه ولو عبد اللَّه ليلًا ونهارًا، فلا حظّ له في رحمة اللَّه إذا مات ولم يؤمن بما بعث به النبيّ ﷺ، وما يقال من الدعوة إلى وحدة الأديان واجتماع الأديان جنبًا إلى جنب في محاربة الإلحاد فهو كلام باطل وردّة عن الإسلام، بل الإسلام وحده هو الذي يحارب الباطل ويردّه ويجاهد المبطلين ويأمر بجهادهم، لا اليهودية المحرّفة ولا النصرانية المحرّفة.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملّته [١/ ١٣٤ (٢٤٠)].

ورحم اللَّه القائل: «من فسد من علمائنا ففيه شَبَهٌ من اليهود، ومن فسد من عُبّادنا ففيه شَبهٌ من النصارى»[1]، وفي الحديث: «وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[2] أي: هو منهم فيما تشبّه بهم فيه، سواء في شرك أو في بدع مضلة أو غير ذلك مما هو من أفعال الضالين، وإذ كان الأمر كما علمت فإنّ «المنعم عليهم» هم: الذين تمسكوا بحبل اللَّه الذي بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بالأمر به إذ قال: «تمسك بحبل اللَّه واتبع الهدى»، وقوله: «واتبع الهدى»: منتزع من قول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، فقد أمر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ باتباع الهدى واتباع دين الحق، فالهدى: هو العلم النافع، ودين الحق هو: العمل الصالح، والجمع بين العلم النافع والعمل الصالح طريق المنعم عليهم كما مضى، وقد قسّم العلماء العلم إلى أقسام:

---

(١) ذكره ابن تيمية في كتابه: «اقتضاء الصراط المستقيم» عن سفيان بن عيينة (١/ ٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس [٤/ ٤٣ (٤٠٣١)] وهذا لفظه، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده(٢/ ٥٠و٩٢)، وعبد بن حميد في مسنده- المنتخب- برقم (٨٤٦) وابن أبي شيبة في المصنف: (٥ / ٣١٣)، والطحاوي في مشكل الآثار: (١/ ٨٨)، والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد: (٥ / ٢٦٧)، وابن حذلم في حديث الأوزاعي برقم (٣٠)؛ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«بعثت بالسيف حتى يعبد اللَّه وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظلّ رمحي، وجُعل الذلّ والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم»** وصححه الألباني في صحيح الجامع: [١/ ٥٥٤(٢٨٣١)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٦- العقل): وهذا - أي إسناد أبي داود - إسناد جيد. . . وقد احتج الإمام أحمد وغيره بهذا الحديث. وصححه ابن حبان كما في بلوغ المرام: (ص٣٠١). وقال الحافظ في فتح الباري: (١٠/ ٢٧١): أخرجه أبو داود بسند حسن. وصحّح الألباني الحديث في الإرواء (٥ / ١٠٩) برقم. ٢٦٩١

أ - علم ممدوح ومثاب عليه صاحبه: وهو العلم بشرع اللَّه ﷻ والعمل به جملةً وتفصيلًا، هذا العلم جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالثناء عليه وعلى حامليه في آيات متعدّدات؛ منها قول اللَّه - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨] ومنها قولُه الحق: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] والجواب: لا يستويان، ومنها قول اللَّه - تبارك وتعالى -: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] فالعالم مُبْصر والجاهل بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر الطريق الحسّيّ، والجاهل لا يبصر الطريق المعنوي التي تفضي بسالكها إلى رضا اللَّه ودار كرامته، وهذه الآيات الكريمات فيها مدح للعلم والعلماء وفيها ذم للجهل والجاهلين.

ب - وقسم من العلم الشرعي هو: خيرٌ في ذاته وممدوحٌ في ذاته وشرٌّ على حامله الذي لا يعمل به، وهذا يدلّ عليه قول النبيّ ﷺ: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ**»[1]، ويدلّ عليه قوله - عليه الصلاة والسلام -: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا**»[2] والمفهوم: أن العلم الذي لا ينفع يُستعاذ باللَّه منه

(١) جملة من حديث صحيح أخرجه مسلم: في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ، برقم (٢٧٢٢)(٧٣) عن زيد بن أرقم ت، وأخرجه أصحاب السنن عن غيره من الصحابة.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما يقال بعد السلام، حديث رقم(٩٢٥)، عن أم سلمة ﵂ أن النبيّ ﷺ كان يقول إذا صلّى الصبح حين يسلّم: «**اللهمّ إنّي أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيّبًا وعملًا متقبّلًا**»، وانظر صحيح ابن ماجه (١/ ١٥٢).

لأنه شرّ على صاحبه وهو خيرٌ في ذاته .

ج - **وقسم مذموم هو وأهله** وهو : العلم الذي هو شر محض ؛ كعلم السحر والكهانة وعلم الشعوذة على اختلاف أنواعها والعلم الذي ادعاه المشركون لأنفسهم ، وهذه العلوم دلّ على شرها وشؤمها كتاب اللّه ﷻ وسنة النبيّ ﷺ ؛ قال اللّه ﷻ في شأن السحر : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقال اللّه ﷻ في علم الكفار الذي كانوا يتطاولون به : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي : بأن آباءهم كانوا على حق وصواب ، وأنهم لا يمكن أن يتخلّوا عن طرائقهم وما كانوا عليه قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣] . فقول المؤلف : «واتّبع الهدى» منتزعٌ من قول الله : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] إذ المراد بالهدى : العلم النافع ، ودين الحق : هو العمل الصالح ظاهرًا وباطنًا أقوالًا وأفعالًا ، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي : على كل دين يخالفه من اليهودية والنصرانية والوثنية وغيرها من النحل الباطلة .

فدين الإسلام هو الدين الحق الذي يعلو ولا يعلى عليه ، والذي يجب أن يأخذ به العباد ويتمسّكوا به كما أمرهم اللّه تبارك وتعالى ودعاهم إليه رسوله - عليه الصلاة والسلام - ؛ كما في قوله ﷻ : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ومن لم يعتصم بحبل اللّه - تبارك وتعالى - فقد ضلّ ضلالًا بعيدًا بانتمائه إلى فرق الباطل الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعًا ، أو من أهل البدع والضلال الذين عدلوا عن منهج المنعَم عليهم

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والله أعلم.

*** الأسئلة:**

(س١): أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ هذا سائل يقول: عندنا في بلاد الكفر بعض الدعاة يقولون: من قال بأن الإرهاب ليس من الإسلام فهذا كفر أكبر فهل هذا صحيح أم لا؟

الجواب: الحقيقة صغار طلبة العلم لا سيّما في بلاد الكفر لا يجوز لهم أن يخوضوا في المسائل التي لا علم لهم بها، فقضية الإرهاب ليس عملًا واحدًا بل هو أعمال عنف وترويع وبغي وعدوان متعددة، إرهاب بالتكفير، وإرهاب بالتقتيل، وإرهاب بالخروج على ولاة الأمور، وإرهاب لفرد من الأفراد؛ فلا يطلق الحكم حكمًا واحدًا مع اليقين وإجماع علماء المسلمين أن الإرهاب بدون حقّ وبدون مستند يستند إليه فاعلُه من كتاب أو سنة أنه إجرام وإفساد في الأرض.

والشيء يذكر بنظيره؛ فإنّ ما قامت به الفئة الضالة في هذه البلاد المسلمة المملكة العربية السعودية - حرسها الله - ذات الحكام المسلمين والعلماء المسلمين والأمة المسلمة من ذكر وأنثى ضلالٌ مبين وفساد في الأرض مشين. نعم إنّ ما قامت به الفئة الضالة الطاغية الحاقدة من تكفير وتقتيل للمسلمين الصغار والكبار والذكر والأنثى وللمستأمنين والموجودين في البلاد من الكفار المقيمين بإذن إمام المسلمين هؤلاء أهل طغيان، وحقًا أن من كفّر المسلمين بدون برهان كما فعلت هذه الفئة الضالة ومن أفتاها من المتعالمين بالتكفير والتقتيل فقد باء بالكفر،

والحمد لله علماء المسلمين وحكام المسلمين والمسلمين في هذه البلاد وغيرها لا يجوز لأحد أن يطلق عليهم أنهم كفارٌ.

وقصارى القول فإنّ هذه الفئة الضالة قد ضلّت عن سواء السبيل، وخابوا وخسروا في كل مقام من المقامات التي انطلقوا منها، فهم في حكم الشرع قرنٌ من الخوارج الجدد، بل زادوا على الخوارج الذين ظهروا في عهد الصحابة بقتلهم لأنفسهم وتعميم القتل، بينما الخوارج القدامى ما كانوا يقتلون أنفسهم في عهد الصحابة، بل كانوا يقاتلون وما كانوا يقتلون عامة الناس، بل برزوا فقاتلوا، وهو إجرام وفساد أخبر به النبيّ ﷺ قبل حصوله - وكان من معجزاته- بوصفه لهم بأوصاف متعدّدة منها: أنهم **«كلاب النار»**[1]، وأما هؤلاء الخوارج الجدد؛ فإنهم زادوا في الإجرام على الخوارج القدامى كما أسلفت، فهم إرهابيون وخابوا في كل معركة، وباؤوا بإثم من قتلوه من طفل صغير، وشيخ كبير، وعاجز ضعيف، ومستأمن احترم الشرعُ دمه وعرضه وماله، ودولة مسلمة تحكم شرع للّه، وأمّنت البلاد والعباد من خوف وفزع من اعتداءاتهم الإجرامية، ولقد قال النبيّ ﷺ في حقّهم: **«كلاب النار»**[2]، ولشدة إجرامهم فقد قال النبيّ عليه الصلاة والسلام:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» [(٤/ ٣٨٢)] وابن ماجة في «سننه» [المقدمة باب في ذكر الخوارج برقم (١٧٣)] كلاهما عن ابن أبي أوفى ﷺ، وهو جملة من حديث أخرجه ابن ماجة [برقم(١٧٦)] عن أبي أمامة ﷺ، ولفظها: (.. كِلَابُ أهلِ النَّارِ). وحديث «المسند» هو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» [(١/ ٤٦٧ حديث رقم(٥٤٥)] للشيخ مقبل الوادعي.

(٢) التخريج السابق.

«طُوبَى لمَنْ قَتَلُوهُ وَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ»[١]، وقال ﷺ: «لَئِن لَقِيتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[٢] وفي رواية: «قتل ثمود»[٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»[٤]، والحقيقة أنهم يستحقّون القتل ويستحقّون الدعاء عليهم، لهذا فقد أمرت وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية بالقنوت والدعاء على هذه الفئة الضالة التي ألحقت أضرارًا بالإسلام والمسلمين في جميع أقطار الأرض.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» [(٥٣٠٦)] عن ابن عمر ﷺ بلفظ: «فَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَطُوبَى لمَنْ قَتَلُوهُ» وأخرجه في «المسند» [(٤/ ٣٥٧)] من حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ، وهو جملة من حديث أخرجه أبو داود في «سننه» [كتاب السنة باب في قتل الخوارج برقم (٤٧٦٥)] عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك ﷺ، ولفظه: «طُوبَى لمَنْ قَتَلَهم وقتلوه»، وأورده الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٦٦٨). وحديث ابن أبي أوفى الذي في«المسند» هو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» [(١/ ٤٦٨حديث رقم(٥٤٧)] للشيخ مقبل الوادعي.

(٢) جملة من حديث أخرجه البخاري في «صحيحه» [كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا . .﴾ [الأعراف: ٦٥] رقم (٣٣٤٤)]، ومسلم في [«صحيحه»: في كتاب الزكاة، باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، برقم (١٠٦٤) (١٤٣)]، من حديث أبي سعيد الخدري ت، بلفظ: «لَئِنْ [أَنَا] أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

(٣) أخرجها البخاري في [«صحيحه» كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب ﷺ وخالد بن الوليد ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع رقم (٤٣٥١)]، ومسلم في [«صحيحه»: في كتاب الزكاة، باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، برقم (١٠٦٤) (١٤٤)(١٤٥)] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) جملة من حديث أخرجه البخاري في [«صحيحه» كتاب استتابة المرتدين باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم رقم (٦٩٣٠)] واللفظ له، ومسلم في [«صحيحه»: كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، برقم (١٠٦٦) (١٥٤)]، من حديث علي ﷺ.

* وقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا تكُ بدعيًّا» خطابٌ لكل مكلّف عمومًا ولطلّاب العلم خصوصًا، وذلك تحذير من المؤلف من الوقوع في البدع، والبدع جمع بدعة، والبدعة: هي الفعل أو الاعتقاد أو القول الذي لم يكن على عهد النبيّ ﷺ ولا على عهد خلفائه الراشدين المهديّين من بعده، واللَّه تبارك وتعالى أمر الأمة باتّباع ما جاء به النبيّ الكريم - عليه الصلاة والسلام - من الكتاب والسنة ونهاهم عن اتّباع غيرهما في آيات متعددات، منها قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، والذي أُنزل إلينا من ربنا هو كتاب اللَّه الفرقان وسنة النبيّ ﷺ كما في هذه الآية وغيرها من الآيات، وكما في قول النبيّ ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١) وهي السنة، فالكتاب والسنة والإجماع مصادر التشريع، وحقيقة الإجماع: هو ما أجمع عليه من يعتد بإجماعهم من أئمة العلم في كل زمان ومكان، والقياس الجلي فرع المصادر الثلاثة: الكتاب والسنة والإجماع.

وبمناسبة ذكر البدعة في قول المؤلف: «ولا تك بدعيًّا» لا بد من

---

(١) قطعة من حديث نصه: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمُ الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، أَلَا وَلَا لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ**» أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٠) واللفظ له، وأبو داود في «سننه»: في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٤)، عن المقدام بن معد يكرب الكندي رضي الله عنه. وأورده الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٤٣).

فهم السنة ووجوب الالتزام بها .

إذًا فالسنة : ما ثبتت عن النبيّ ﷺ من قوله أو فعله أو تقريره سواء فيما يتعلق بالاعتقاد أو فيما يتعلق بالشعائر التعبدية أو فيما يتعلق بالمعاملات أو فيما يتعلق بشأن الدين كله جملةً وتفصيلًا ، وحكم العمل بها : إما الوجوب وإما الاستحباب بحسب الخطاب التكليفي وهذا يعرف في مواضعه بمقتضى أدلته ، ثم السنة من حيث علاقتها بالقرآن الكريم ثلاثة أنواع :

١ - نوع منها جاء موافقًا في الأحكام والحلال والحرام للقرآن الكريم : أي إذا جاء القرآن فيه الأمر بالصلاة أو الزكاة أو الحج أو نحو ذلك فقد جاءت السنة أيضًا بذلك كما قال ﷻ : ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] وقال ﷻ : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وجاءت السنة أيضًا كذلك فقد قال ﷺ : «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ البَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»(١) وقد خاب قوم زعموا أنهم مستغنون عن السنة ، ومكتفون بالقرآن الكريم ، ولا شك أن من قال ذلك

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٦و٩٢و١٢٠)، والبخاري: كتاب الإيمان: باب قول النبيّ ﷺ: بني الإسلام على خمس؛ حديث رقم (٨) (ص٢٢)، و «صحيح مسلم» كتاب الإيمان: باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام رقم (١٦)، والنسائي: كتاب الإيمان وشرائعه، باب على كم بُنيَ الإسلام، رقم (٥٠٠١)، وسنن الترمذي: الإيمان: باب ما جاء بني الإسلام على خمس، رقم (٢٦٠٩) وغيرهم؛ كلهم عن ابن عمر ﷺ .

واعتقده فقد كذّب القرآن؛ ومن كذّب القرآن فقد كفر.

٢- ونوع منها جاء بأحكام مستقلّة: أي: لم تكن موجودة في القرآن العظيم وإن كان هذا النوع قليلًا، وكل من القرآن والسنة يشهد للآخر، فالقرآن يشهد للسنة ويأمر بالاعتصام بها، والسنة تأمر بالعناية بالقرآن الكريم، وأدلّة ذلك موضّحة في الكتاب والسنة، قال اللّه ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧] ففي الآية دعوة من القرآن للأمة أن تأخذ بكل ما جاء به رسول اللّه ﷺ من الأحكام جملة وتفصيلًا؛ كل شيء في موضعه، والسنة جاءت تدعو إلى الأخذ بالقرآن الكريم كما في قول النبيّ ﷺ: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي شَفِيعًا لأَهْلِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوافَّ يُحاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا يَوْمَ القِيَامَةِ**» وقال ﷺ: «**اقْرَؤُوا البَقَرَةَ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**» أي: السحرة، وفي حديث عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**يُقَالُ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَرَتِّلْ وَارْتَقِ** - أي: في غرف الجنة - **فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»[2]

---

(١) أخرجه مسلم [برقم (٨٠٤) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة] عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. والحديثان الآتيان بعده هما بعض منه..

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٢)، وأبو داود في [«سننه»: كتاب الصلاة، باب اسْتِحْبَابِ التَّرْتِيلِ فِي الْقِرَاءَةِ، رقم (١٤٦٤)]، والترمذي في [«سننه»: كتاب فضائل القرآن، باب مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ الْقُرْآنِ مَالَهُ مِنَ الأَجْرِ، رقم (٢٩١٤)]، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٤٣، رقم ٧٦٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٩، رقم ٢٠٣٠)، =

وغير ذلك كثير، وما ذلك إلَّا لأنَّ القرآن والسنة وحيان كريمان من عند الله؛ وإن كان للقرآن مزيّته وخصائصه التي لا يجهلها أهل العلم وللسنة فضلها، وهما عند أئمة العلم السائرين على نهج السلف من مشكاة واحدة من عند اللَّه تبارك وتعالى كما هما في وجوب العمل سواء.

٣ - ونوع منها جاء إيضاحًا لما في القرآن الكريم من الأحكام المجملة: كالصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها.

ولشؤم البدعة وخطرها فقد وردت نصوص تحذّر منها؛ منها: ما سبق من الآيات الكريمات، ومن السنة قول النبيّ ﷺ في حديث عائشة: «**مَنْ عَملَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[1] وفي رواية: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[2] أي: أمر الدين، وقول النبي ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[3]، وفي ذلك تحذير شديد من الوقوع في

= والبيهقي (٢/ ٥٣). وفيه قبل الجملة الأخيرة: «كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا». قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وأورده الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في [«الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٦١٨) (٧٩٢)].

(١) أخرجه البخاري معلَّقًا: كتاب الاعتصام، باب إِذَا اجْتَهَدَ الْعَامِلُ أَوِ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ خِلَافَ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ؛ فَحُكْمُهُ مَرْدُودٌ. وأخرجه مسلم: في كتاب الأقضية، باب نَقْضِ الأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، رقم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري: في كتاب الصلح، باب إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم: في كتاب الأقضية، باب نَقْضِ الأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، (١٧١٨) (١٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٦) وأبو داود في «السنن»: السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)، وابن ماجه في «السنن»: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢)، والترمذي في «الجامع»: كتاب العلم، بَاب مَا جَاءَ فِي الْأَخْذِ=

البدع، وما ذلك إلا لشؤمها وكثرة شرّها وخطرها على الناس؛ إذ كل زمان تنجُم فيه بدع وضلالات، وقد بدأت من عصر الصحابة فقد ظهرت بدعة الخوارج[1] وامتدت إلى يومنا هذا وإلى ما شاء اللَّه من الزمان في المستقبل، وهم شرّ الفرق المبتدعة التي جرّت الأذى للمسلمين وأوجدت الفُرقة بينهم، فقد استحلّ الخوارج الدماء وكفّروا المسلمين، وفي عصر الصحابة كفّروا أفاضل المسلمين الذين شهد لبعضهم النبيّ ﷺ بالجنة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحذت حذوهم وورثت جُرمهم الفئة الضالة في هذا الزمان؛ الذين تجمّعوا وخطّطوا تخطيطًا شيطانيًّا فكفّروا المسلمين وعلى رأسهم العلماء والحكام، واستحلّوا الدماء المحرّمة المعصومة، وأخافوا السبيل، بل وأخافوا المدن والقرى في بلاد الحرمين وغيرها من بلدان العالم، وسلف هذه الفئة الضالة هم الذين خرجوا على عليّ بن

= بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ، رقم (٢٦٧٦) وقال: «حديث حسن صحيح»، والدارمي في «سننه»: المقدمة، باب اتباع السنة، رقم (٩٥)، وابن حبان في صحيحه (١٠٢- الموارد)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٤-١٧٧) وصححه. جميعًا من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. وأورده الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢٥٤٩).

(١) الخوارج فرقة كبيرة من الفرق الاعتقادية وتمثل حركة ثورية عنيفة في تاريخ الإسلام السياسي، وهي منتشرة انتشارًا عظيمًا على بقاع واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق وفي المغرب العربي، ولها أسماء كثيرة؛ من أهمها: (الخوارج - الحرورية - الشراة - المارقة - المحكِّمة - النواصب)، وهي فرق متعددة من أكبرها فرقة الإباضية، وقد عرَّفها الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ١١٤): «بأن كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان». [راجع «فرق معاصرة» غالب بن علي عواجي (١/ ٦٣)].

أبي طالب وبرز لهم هو ومن معه من أصحاب النبيّ ﷺ ونصرهم اللَّه عليهم، فما هي إلا ساعات إلا وقد قضي عليهم، وأراح اللَّه حينذاك المسلمين من شرّهم، وكانوا قبل ذلك خرجوا على الفاروق فقتلوه وجماعةً معه، وخرجوا على الخليفة الثالث عثمان بن عفّان رضي الله عنه فقتلوه؛ والقصة معروفة شهيرة كالشمس في وقت الظهيرة، قاتلهم اللَّه أنّى يؤفكون، ثم خرجوا بعد ذلك في الدولة الأُموية، ثم في الدولة العباسية وبعدها، لكن شأنهم كما قال النبيّ ﷺ: «**كُلَّمَا طَلَعَ قَرْنٌ قَطَعَهُ اللهُ**»[1] أي: كلّما طلع قرن من الخوارج قطعه اللَّه على أيدي من شاء من

---

(١) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٨٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٦١-١٦٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٤٢): «رواه أحمد، وفيه أبو جناب وهو مدلس».

وأخرجه ابن ماجه في [«سننه» المقدمة، باب في ذكر الخوارج، رقم (١٧٤)] عن هشام بن عمار، وابن عساكر في تاريخه (١/ ١٦٢، ١٦٣) من طريق أبي النضر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد وهشام بن عمار الدمشقيان قالا: نا يحيى بن حمزة نا الأوزاعي عن نافع، وقال أبو النضر: عن من حدثه عن نافع عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ به.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «غريب من حديث نافع. والظاهر أن الأوزاعي قد رواه عن شيخ له من الضعفاء، واللَّه أعلم. وروايته من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص أقرب إلى الحفظ.» تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٧٤).

قلت: حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما رواه معمر في الجامع (١١/ ٣٧٦- مصنف عبد الرزاق)، والطيالسي في مسنده (١/ ٣٠٢، رقم ٢٢٩٣)، ونعيم بن حماد في الفتن (١٥٠٦)، وأحمد في المسند (٢/ ١٩٨ و٢٠٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٣٣، برقم ٨٤٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٥٣-٥٤)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٠٨-٢١٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٦٠-١٦١) عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا قُطِعَ قَرْنٌ نَشَأَ قَرْنٌ، حَتَّى يَخْرُجَ فِي بَقِيَّتِهِمُ الدَّجَّالُ**». هذا لفظ أحمد. قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٨٠): «سنده لا بأس به». =

عباده، ولما قيل لعلي رضي الله عنه: «هنيئًا لك استأصلت شأفتهم» قال: «هم في أصلاب الرجال وأرحام النساء حتى يخرج آخرهم مع الدجال»[1].

= وقال البيهقي: «وَالْحَدِيثُ تَفَرَّدَ بِهِ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ رضي الله عنه، وَرُوِيَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما مَوْقُوفًا عَلَيْهِ فِي قِصَّةٍ أُخْرَى بِهَذَا اللَّفْظِ". الأسماء والصفات (٢/ ٣٩٥).

وللحديث طريق أخرى عند الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٦، برقم ٨٥٥٨) عن أبي هريرة عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما نحوه.

وفي سنده: «عبد اللَّه بن صالح كاتب الليث».

قال فيه الحافظ ابن حجر رحمه الله: صدوق، كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة، من العاشرة. التقريب (٣٣٨٨).

انظر: الصحيحة للشيخ الألباني رحمه الله برقم (٣٢٠٣).

(١) رواه الهيثم بن عدي في كتاب «الخوارج» (٧/ ٣٢١- البداية والنهاية)، والخطيب عن حبة ابن جوين العرني عن علي رضي الله عنه قال: «كلا واللَّه إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، فإذا خرجوا من بين الشرايين فقلَّ ما يلقون أحدًا إلا ألبوا أن يظهروا عليه».

والهيثم بن عدي كذبه ابن معين والبخاري وأبو داود والعجلي والساجي. لسان الميزان للحافظ (٦/ ٢٠٩-٢١٠، ٧٤٠).

وحبة العرني اتفقوا على ضعفه، إلا العجلي فوثقه، ومشاه أحمد، وقال صالح جزرة: وسط، وقال ابن حبان: كان غاليًا في التشيع واهيًا في الحديث، وقال الساجي: يكفي في ضعفه قولُه: إنه شهد صفين مع علي ثمانون بدريًا، وقال ابن الجوزي: روى أن عليًا شهد معه صفين ثمانون بدريًا؛ وهذا كذب.

قال ابن حجر: إي وللَّه، إن صح السند إلى حبة. انظر: الإصابة (٢/ ١٦٤)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٥٥) للحافظ ابن حجر.

ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٨/ ٢٧٥) من طريق يحيى الحماني عن شريك عن أبي السابغة النهدي عن حبة العرني نحو لفظ الهيثم بن عدي، وزاد: «حتى تخرج طائفة منهم بين نهرين حتى يخرج إليهم رجل من ولدي فيقتلهم فلا يعودون أبدًا».

ورواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٣٩، رقم ٧٦٦٦) عن أبي جعفر مولى علي عن علي قال: «لو لم يبق من أمة محمد ﷺ إلا ثلاثة لكان أحدهم على رأي هؤلاء؛ إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء». قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن أبي جعفر مولى علي إلا أبو جعفر الفراء، ولا عن أبي جعفر إلا ابنه عبد الحميد، تفرد به الكرماني بن عمرو أخو معاوية بن عمرو». وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٦٣): «رواه الطبراني في الأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم».

وإذ كان الأمر كما علمت فإنّ الخوارج شرّهم عظيم وضررهم جسيم، لذا رغّب النبي ﷺ الأمة في قتلهم وقتالهم، وتمنّى أن يجدهم فيقتلهم قتل عاد وثمود لشدّة شرّهم وخبثهم، فهم لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، وقد يكون الكفار أعفَّ قتلةً منهم، أما هم فإنهم إذا ظفروا بخصومهم قتلوهم شرّ قتلة كما فعلوا بعبد اللَّه بن خبّاب وجاريته؛ فقد ذبحوه كالخروف وبقروا بطن جاريته عن جنينها، والشيء بنظيره يذكر؛ فإن أفعال هؤلاء الضلّال في هذا الزمن وفي الدولة السعودية بالذات يذكّرنا بذلكم الصنيع الشنيع مع الصحابة الكرام والعلماء الأعلام.

ثم ظهرت بدعة القدرية، وهم نفاة القدر الذين يعتقدون بأن اللَّه لم يقدّر خيرًا ولا شرًّا وإنما العباد هم الذين يخلقون أفعال أنفسهم، وكذّبوا صريح القرآن؛ فقد قال اللَّه ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال عز من قائل: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وفي حديث جبريل المشهور في أركان الإيمان: «**وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى**»[1] فبطل فكر القدرية المنحرف بنصوص

(١) حديث جبريل الذي رواه أحمد في المسند: (ج١/ ٢٧، ٢٨، ٥١، ٥٢) والبخاري في كتاب خلق أفعال العباد (٢٦)، ومسلم: الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان؛ برقم (٨)، وأبو داود: السنة، القدر؛ برقم (٤٦٩٥)، والنسائي: الإيمان وشرائعه، باب نعت=

الكتاب والسنة وإجماع الأمة، واستقام مذهب الطائفة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة القائلين بما دلّت عليه النصوص القرآنية المقتضية لكون اللَّه خالق كل شيء، رحم اللَّه السابقين منهم وسدد الباقين في كافة أعمالهم الظاهرة والباطنة.

وظهرت فرقة الشيعة[1]، يقال: أصل التشيع تفضيل علي بن أبي طالب وأهل البيت فغلا فيهم الشيعة حتى بلغ بهم الأمر أنّ فرقة منهم ألّهوا عليَّ بن أبي طالب[2] رضي الله عنه جعلوه إلهًا، فخدّ لهم الأخاديد وأوقد فيها النيران وقذفهم فيها فقال الآخرون منهم: علمنا الآن أنك إله لأنه

= الإسلام؛ برقم (٤٩٩٠)، والترمذي: الإيمان، باب مَا جَاءَ فِي وَصْفِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الإِيمَانَ وَالإِسْلَامَ؛ برقم (٢٦١٠)، وابن ماجة: المقدمة، الإيمان؛ برقم (٦٣)؛ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ورواه أحمد: (٢/ ٤٢٦)، والبخاري: الإيمان؛ باب سؤال جبريل النبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبيّ ﷺ له؛ برقم (٥٠)، ومسلم: الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان برقم (٩)، وأبو داود: السنة، القدر؛ برقم (٤٦٩٨)، والنسائي: الإيمان وشرائعه، باب نعت الإسلام؛ برقم (٤٩٩١)، وابن ماجه: المقدمة، الإيمان؛ برقم (٦٤)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، إلّا أبا داود والنسائي فهو عندهما من حديث أبي هريرة وأبي ذرّ رضي الله عنهما معًا.

(١) الشيعة فرقة من أكذب الفرق على أئمتهم ومن أخطرها على المسلمين، ظهرت هذه الفرقة على أرجح الأقوال بعد معركة صفِّين، لها أسماء عديدة منها «الشيعة - الرافضة - الزيدية» ومن أهم الفرق الشيعية «السبئية - الكيسانية - الزيدية - الرافضة - المختارية» [«فرق معاصرة» (١/ ١٣٨)].

(٢) يتزعّم هذه الفرقة عبد اللَّه بن سبأ اليهودي حيث دعا بألوهية عليّ وأنه لم يقتل بل رفع إلى السماء وأن المقتول إنما هو شيطان، ولقد استتابه عليٌّ ثلاثة أيام فلم يرجع فأحرقه ضمن سبعين رجلًا [المصدر السابق (١/ ١٤٦)]

لا يعذب بالنار إلا الرب! وفرقة منهم تسمّى السابّة[1] وهؤلاء هم الذين يتقرّبون في دعائهم بسبّ أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبيّ ﷺ إلا نفرًا يسيرًا من الصحابة، وأطلقوا على أبي بكر وعمر «الجبت والطاغوت» و«صنمي قريش» واتهموا جميع الصحابة بالنفاق والتعاون على الإثم والعدوان؛ قالوا: لأنهم سلبوا عليًّا الوصية وهي أن يكون هو الخليفة بعد النبي ﷺ، فتعاونوا عليه فكان الخليفةَ أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهؤلاء كذّبوا القرآن الكريم الذي أثنى اللّه ﷻ فيه على الصحابة الكرام؛ وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة، والفرقة الثالثة: الزيدية[2]: التي تعدّ من الفرق الإسلامية وهي المفضِّلة، وسمُّوا مفضِّلة لتفضيلهم عليًّا رضي الله عنه على الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم، ولكن لا يسبّون أبا بكر وعمر وعثمان، ثم هم يقولون: بصحّة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان على القاعدة التي عندهم «تصحّ إمامة المفضول مع وجود الفاضل»؛ فعليٌّ هو الفاضل والمفضول عندهم هو أبوبكر وعمر وعثمان، فهذه الفرقة أخفّ شرًّا وإن كانوا أهل خطأ وانحراف، وهم يوافقون المعتزلة في باب الأسماء والصفات، وهذا منهجهم في حقّ أصحاب النبيّ ﷺ إلَّا أنهم أخفّ من السابّة والمؤلّهة؛ كما مرّ قريبًا.

ثم جاءت فرقة الاعتزال أي: المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن

---

(١) فرقة من فرق الشيعة يبغضون الصحابة بغضًا شديدًا وخاصة الشيخين أبى بكر وعمر رضي الله عنهما ويتقرّبون بسبّهما. [المصدر نفسه (١/ ٢٤٠)].

(٢) نسبة إلى زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ولد عام (٨٠هـ) وتوفيّ (١٢٢هـ)، من آرائهم جواز ولاية المفضول، والقول بعصمة الأئمة، وقد وصف أبو زهرة الزيدية بأنها أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية وأكثر اعتدالًا. [«فرق معاصرة» (١/ ١٥٥)].

ونفي صفات اللَّه ﷻ عن للَّه، وهذا تكذيب منهم لنصوص القرآن؛ فاللَّه ﷻ أثبت لنفسه الأسماء الحسنى والصفات العلى وأثبتها له رسوله - عليه الصلاة والسلام -، فمن كذّب اللَّه في خبره وأمره ونهيه فقد كفر؛ لذا كفّرهم كثير من أهل العلم.

ثم الجهمية المعطّلة الذين نفوا عن اللَّه أسماءه وصفاته أيضًا، وأثبتوا لله ذاتًا مجرّدة عن الأسماء والصفات، وهو تكذيب منهم للقرآن كذلك؛ لأن اللَّه قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وذكر اللَّه أسماءه في القرآن كما في آخر سورة الحشر وكما في كثير من الآيات التي تختم بأسماء اللَّه الحسنى كقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي فيها أسماء اللَّه وصفاته، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[١] فتظافرت نصوص الكتاب والسنة على إثبات أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العلى على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، وهو ما مشى عليه السلف وأتباعهم إلى يوم القيامة، وخالفتهم تلك الفرق من جهمية ومعتزلة ومن لفّ لفّهم؛ ممن نفى عن اللَّه صفات كماله نفيًا كاملًا،

(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب: إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلاَّ وَاحِدًا، رقم (٧٣٩٢)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا، رقم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة واللفظ للبخاري.

وعطّل تعطيلًا كليًا، وممن عطّل تعطيلًا جزئيًا كالأشاعرة والماتريدية والكلّابية؛ فإنهم عطّلوا تعطيلًا جزئيًا فهم دخلوا في التعطيل والعياذ بلله، ووافقهم بعض العلماء الذين تأثّروا بالمذهب الأشعري الكلّابي؛ وإن كان لهم فضلُ علم في التفسير وفي الحديث إلّا أنهم وافقوا الأشاعرة في تأويل بعض نصوص الصفات تأويلًا مذمومًا، لكنهم لا يُصنَّفون من أهل البدع والضلال كالأشاعرة الذين قعّدوا قواعد التأويل المذموم التي جرتهم إلى تعطيل البارئ سبحانه عن صفات كماله، فلا تترك كتبهم ولا تهجر، بل لا يستغنى عنها، وقد وقع في ذلك كثيرٌ من أهل العلم الكبار كابن حجر والقرطبي والشوكاني والقسطلاني وغيرهم، لكن هؤلاء يستفاد من علومهم الغزيرة في التفسير وفي الحديث وفي علوم القرآن وعلوم السنة، ويجب بيان ما أخطأوا فيه لطلبة العلم، والله أعلم.

وفي تعليق صاحب القصيدة الفلاح على مجانبة البدع واجتناب المحدثات والموبقات بيان أنها من أسباب الشقاء في الدنيا والبرزخ والآخرة، وذلك بعكس التمسك بحبل لله، وجملة: «لعلّك تفلح» منتزعة من قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودن بكتاب الله»؛ أي: اجعله إمامًا لك؛ تدين الله تبارك وتعالى بما فيه من الأوامر بالامتثال، والنواهي بالاجتناب، والأخبار بالتصديق، والحدود بالوقوف عندها، وغير ذلك مما في

كتاب اللَّه ﷻ من الهدى والنور الذي يجب أن يعتبره المكلّف دينًا له، مع الخضوع لما فيه، والتعبّد بما دل عليه من الفرائض والأوامر والنواهي والحلال والحرام والأخبار والوعد والوعيد إلى غير ذلك مما دل عليه كتاب اللَّه ﷻ، وكما يدين العبد بكتاب اللَّه يدين بسنة رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - أي: يتعبّد اللَّه بها، ويؤمن بما جاء فيها؛ لأنها وحيٌ ثانٍ، وهي والقرآن الكريم من مشكاة واحدة أي: وحي من عند اللَّه تبارك وتعالى؛ كما قال ﷻ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ (٣) إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤]، وقال النبيّ ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[١].

فلا يجوز لأحد أن يكتفي بالقرآن ويُعرض عن سنة النبيّ ﷺ، بل يجب الإيمان بالسنة الثابتة الصحيحة بجميع أقسامها، كما يجب الإيمان بالقرآن الكريم الذي هو متواتر لفظًا ومعنىً، والتديُّن بكتاب اللَّه وبالسنة المطهّرة يترتب عليه النجاة من عذاب اللَّه والفوز بجنته، لذا قال المؤلف: «تنجو وتربح» أي: دن بكتاب اللَّه والسنن التي أتت عن رسول اللَّه تنجو من عذاب اللَّه وسخطه ومقته، و«تربح»، أي: تظفر بالربح العظيم والفوز الكبير برضا اللَّه وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدّت للذين آمنوا باللَّه ورسله.

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

وفي قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وقل غير مخلوق كلام مليكنا**» إرشاد إلى عقيدة

(١) سبق تخريجه (ص٢٢).

المتقين في كلام اللَّه ﷻ، وبيان أنه صفة من صفاته، فهو باعتبار صفة ذات، وباعتبار صفة فعل، فباعتبار اتصاف اللَّه به أزلًا وأبدًا هو صفة ذات، أي: أن اللَّه لم يزل متكلّمًا، وباعتبار تنزّله وتكلّم اللَّه به بمشيئته واختياره صفة فعل، أي: أن اللَّه يتكلّم متى شاء ويكلّم من شاء بما شاء؛ فكلّم اللَّه ﷻ آدم في وقت، وكلّم موسى في وقت آخر، وكلّم محمدًا - عليهم الصلاة والسلام - في وقت آخر، ويكلّم اللَّه ﷻ آدم يوم القيامة كما في الحديث الثابت عن النبيّ ﷺ: «**أَنَّ اللهَ يُنَادِي آدَمَ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: مِنْ كَمْ يَا رَبِّ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ**»[1] ويكلّم اللَّه كلّ فرد من أفراد المؤمنين ليس بينه وبينه ترجمان كلامًا حقيقيًا يليق بعظمته وجلاله، إذًا فكلام اللَّه صفته صفة ذاتية باعتبار اتصاف اللَّه به أزلًا وأبدًا، وصفة فعلية باعتبار آحاده وتنزّله وكونه بمشيئة اللَّه - تبارك وتعالى - واختياره، والقرآن الكريم كلام اللَّه منزّل غير مخلوق؛ من اللَّه بدأ، وإليه يعود.

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة بخلاف أهل البدع والضلال كالجهمية والمعتزلة فهؤلاء لا يؤمنون بأن القرآن منزّل من عند للَّه، أما

---

(١) أخرجه أحمد: ٣/ ٣٢(١١٣٠٤) والبخاري: في كتاب أحاديث الأنبياء، قصة يأجوج ومأجوج، برقم (٣٣٤٨)، ومسلم: الإيمان؛ باب قَوْلِهِ: **يَقُولُ اللَّهُ لآدَمَ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ**، برقم (٢٢٢)؛ عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

ورواه أحمد: ٤/ ٤٣٢(٢٠١٢٥) و٤/ ٤٣٥(٢٠١٤٣) والترمذي: التفسير، تفسير سورة الحج؛ برقم (٣١٦٨، ٣١٦٩)، عن عمران بن حصين ﷺ. وقال الترمذي فيهما كليهما: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الجهمية فنفوا عن اللَّه كل صفة من صفات الذات والأفعال، والمعتزلة أثبتوا لله أسماءً، ونفوا عنه الصفات، وقالوا بأن كلام اللَّه مخلوق كغيره من المخلوقات؛ وهذه عقيدة فاسدة باطلة، وعقيدة الجهمية أشدّ فسادًا، ومن غير حياء تراهم يستدلّون بعمومات من القرآن الكريم؛ ومنها قول اللَّه ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، قالوا: والقرآن شيء من الأشياء إذًا فهو مخلوق، وهذا تأويل باطل؛ لأن «كل» وإن كانت من أدوات العموم إلا أن عمومها بحسب ما تضاف إليه، كما قال اللَّه ﷻ في وصف الريح التي أرسلها على قوم عاد ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥] يعني: تدمر كل شيء صالح للتدمير، وكلّ شيء أراد اللَّه بقاءه بقي، وهكذا ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: كلّ شيء صالح لأن يكون مخلوقًا يدخل في العموم، والشيء الذي لا يجوز أن يكون مخلوقًا لا يجوز أن يقال فيه ذلك؛ كذات اللَّه وأسمائه وصفاته.

ومن صفاته القرآن الكريم لا يدخل في عموم قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فبطل احتجاجهم، وكذلك الأشاعرة والماتريدية والكلّابية لهم قول في كلام اللَّه رديءٌ مبتدَع حيث قالوا: «إن الكلام معنى قائم بذات الله» يريدون نفي الحرف والصوت واللفظ، وهذا اعتقاد فاسد؛ فإن القرآن الكريم كلام اللَّه ﷻ حروفه وألفاظه ومعانيه كلها كلام اللَّه ليس كلامه المعاني دون الحروف ولا الحروف دون المعاني، فقولهم: «معنى قائم بالنفس» قول باطل.

إذ قالت الأشاعرة: «إن اللَّه ﷻ أوحاه إلى جبريل وهو عبّر عنه

بلغته»، وقالت الكلّابية: «القرآن حكاية» أي: نزل به جبريل على محمد، وهو حكاه لقومه بلغته، وكلا القولين في غاية الفساد، وهدى اللَّه أهل السنة والجماعة إلى الاعتقاد الصحيح في كلام اللَّه ﷻ الذي منه كتبه المنزّلة فقالوا: هي كلام اللَّه ألفاظها وحروفها ومعانيها تكلّم اللَّه بها قولًا، وأنزلها وحيًا، وبلّغها جبريل إلى الرسل بلاغًا بدون زيادة ولا نقصان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ .

فالرسل منهم البلاغ واللَّه ﷻ هو الذي تكلّم بالكتب المنزلة التي هي من كلامه؛ كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، والفرقان.

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا   كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

وقوله: **«ولا تك في القرآن بالوقف قائلًا»**: تحذير لكلّ مكلّف أن يسلك مسلك الطائفة التي تسمى الواقفة، وعقيدة هذه الطائفة هي قولهم: «لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق بل يجب التوقف فيه»، وهذا التوقّف الصادر منهم دليل على قلّة فهمهم، وعدم العناية منهم بهذا الباب العظيم الذي هو باب الأسماء والصفات، فهم قصّروا وهم غير معذورين؛ لأن السلف - رحمهم اللَّه - في كل زمان ومكان أقاموا الحجج على أهل البدع لا سيّما في باب الأسماء والصفات، فما بقيت حجّة لأحد، وإذ كان الأمر كما علمت فإنّ الواقفة من طوائف البدع الهالكة بقولهم: «لا نقول في القرآن إنه مخلوق ولا نقول غير مخلوق»، وقد ذمّهم السلف واعتبروا قولهم هذا قولًا فاسدًا، فهم من أهل التعطيل ولا شكّ.

قوله: «**كما قال أتباع لجهم**» أي: الجهم بن صفوان، وقوله: «**وأسجحوا**»: يُقال ركب فلان سجيحة رأسه، وهو ما اختاره لنفسه من الرأي فركبه[1].

ولا تقل القرآن خلق قرأته فإن كلام اللَّه باللفظ يوضح

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ولا تقل القرآن خلق قرأته**»[2] رد على المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن كما سبق بيانه، وهو رد أيضًا على الأشاعرة والكلّابية والماتريدية الذين قالوا: «كلام اللَّه معنى من المعاني قائم بالنفس بلا حرف ولا صوت، وأن هذا القرآن الذي بين أيدينا عبارة أو حكاية عن ذلكم المعنى القائم بالنفس»، وهو معتقد فاسد وقول باطل؛ ترده وتُبيِّن فساده وبطلانه نصوص الكتاب والسنة كما بيّنتُ ذلك قريبًا، وأما كلام أئمة العلم أعني السلف الصالح السابق واللاحق منهم فإنهم يقولون: إن القرآن الكريم من كلام اللَّه ﷻ تكلّم به قولًا وأنزله وحيًا وبلّغه جبريل محمدًا عليهما الصلاة والسلام كاملًا وبلّغه محمدٌ ﷺ أمته فأخذته الأجيال اللاحقون عن السابقين؛ فقد أخذه التابعون عن الصحابة ومن بعدهم أخذ عنهم وهكذا يأخذه الجيل اللاحق عن السابق، وذلك من أسباب حفظه الذي تكفّل اللَّه به وأخبرنا بذلك في

---

(١) والمعنى: أن الجهمية اختاروا سوء المعتقد وقبيح القول في القرآن الكريم، وللمفردة معاني كثيرة يراجع لها لسان العرب، الجزء السادس (ص١٧٣).

(٢) ورد في بعض النسخ بلفظ: «قراءة»، فيكون المقصود بذلك: بدعة «اللفظية»؛ الذين قالوا: «لفظي بالقرآن مخلوق»، وهو قول محدَث لاحتماله حقًّا وباطلًا؛ فإنهم إن أرادوا به القرآن فذاك قول الجهمية، وإن أرادوا به التلفظ الذي هو فعل العبد فهو قولٌ محدَث. انظر «الأجوبة المختصرة على الأسئلة العشرة» للشارح (ص٨٦).

محكم تنزيله إذ قال وقوله الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقوله: «فإنّ كلام اللّه باللفظ يوضح» أي: إنّ ألفاظ القرآن الكريم التي هي كلام اللّه تدلّ على المعاني وتبيّنها لتطابق ألفاظه ومعانيه؛ إذ الكلّ كلام اللّه الحروف والألفاظ والمعاني، وإذ كان الأمر كذلك فقد بطل معتقد الفرق الهالكة في كلام اللّه عز شأنه، واستقام معتقد أهل السنة والجماعة بأدلة الكتاب والسنة. والحمدلله الذي هدى من شاء من خلقه لمنهج الحق في العقيدة والعمل والأدب والسلوك، جعلنا اللّه منهم بمنّه وكرمه.

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وفي قول مؤلّف القصيدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وقل يتجلّى اللّه للخلق جهرة»**: بيانٌ لمذهب أهل السنة والجماعة في أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة في عرصات القيامة، وفي الجنة؛ والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة واضحة شهيرة ومحكمة، ومنها: قول اللّه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، الأولى: من النضارة وهي البهاء والحسن والثانية: من النظر إلى اللّه - تبارك وتعالى - حقيقة، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦] فقد فسّر النبيّ ﷺ الحسنى بالجنة وفسّر الزيادة بالنظر إلى الله[1] - تبارك وتعالى - وهو أعظم نعيم يتنعم

---

(١) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه أحمد: ٤/ ٣٣٢(١٩١٤٣) و٦/ ١٥(٢٤٤٢١) و٤/ ٣٣٢(١٩١٤٤) و٤/ ٣٣٣(١٩١٤٩)، ومسلم: الإيمان، بابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي=

به أهل الجنة، ومنها: قول الله تعالى عن الكفار ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] أي: فلما حجب الله أعداءه فإنه يتجلّى لأوليائه أهل الجنة، كما ورد في السنة ما يفيد ذلك، ومنه ما أشار إليه المؤلف بقوله «كما البدر لا يخفى» ذلك إشارة إلى الحديث الثابت الذي رواه جرير بن عبدالله البجليّ[1] ﷺ، قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»[2] فشبّه الرؤية بالرؤية لا المرئيَّ بالمرئيِّ، أي: لم يشبّه النبيّ ﷺ ربّه بالقمر، وإنما شبّه الرؤية بالرؤية، فإذا كان الناس يرون القمر ليلة البدر الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر رؤية واضحة جليّة، فإنهم سيرون ربهم كرؤيتهم القمر ليلة البدر وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وتلك

= الآخِرَةِ رَبَّهُمْ ﷻ؛ رقم (١٨١)، وأخرجه الترمذي: صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى؛ برقم (٢٥٥٢)، وابن ماجه: المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية؛ برقم (١٨٧)، عن صهيب ﷺ.

(١) وهو جرير بن عبدالله بن جابر، أبو عمرو، وقيل أبو عبدالله البجلي، أسلم جرير قبل وفاة النبيّ ﷺ بأربعين يومًا، قال عنه عمر ﷺ: «جرير يوسف هذه الأمة» توفي بالسراة سنة (٥١هـ) وقيل (٥٤هـ). [انظر: «أسد الغابة» (١/ ٣٣٣/ ٣٣٤)].

(٢) أخرجه أحمد: ٤/ ٣٦٠(١٩٤٠٤) و٤/ ٣٦٢(١٩٤١٩) و٤/ ٣٦٥(١٩٤٦٤)، والبخاري: مواقيت الصلاة، بَابٌ: فَضْلُ صَلاةِ الْعَصْرِ؛ برقم (٥٥٤)، ومسلم: كِتَاب المَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلاةِ، باب فَضْلِ صَلاتَيْ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا برقم (٦٣٣)، وأبو داود: السنة، باب في الرؤية؛ برقم (٤٧٢٩)، والترمذي: صفة الجنة، باب مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ برقم (٢٥٥١)، وابن ماجه: المقدمة، باب فِيمَا أَنْكَرَتْ الْجَهْمِيَّةُ؛ برقم (١٧٧)؛ من حديث جرير بن عبد الله البجلي ﷺ.

أدلتهم بخلاف من نفوا رؤية المؤمنين لربهم وأوّلوها تأويلًا باطلًا .

والناس في الرؤية ثلاثة أقسام : طرفان ووسط :

الطرف الأول: من غلوا في نفي الرؤية كالمعتزلة والجهمية الذين غلوا في النفي فاعتقدوا وأعلنوا أن اللّه لا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة لجهلهم بالنصوص ومعانيها الصحيحة ، ويستدلّون بعمومات من القرآن لا تصلح دليلًا لهم ؛ كقول اللّه ﷻ : ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ؛ إذ قالوا «تدرك» بمعنى : ترى ، فيكون معنى الآية عندهم : لا تراه الأبصار وهو تفسير باطل ، والتفسير الصحيح ما جاء عن ابن عباس وغيره : ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي : لا تحيط به[1] ، فاللّه ﷻ لا يحيط به شيء من خلقه ، بل هو المحيط بجميع مخلوقاته ؛ كما قال ﷻ : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ ، وقال في حقه : ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ ، وقال : ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ ، وقال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ أي : علمًا وقدرةً ، ولا يلزم من نفي الإحاطة في الرؤية نفي الرؤية بل الرؤية للمؤمنين ثابتة بنصوص القرآن والسنة .

والطرف الثاني: غلوا في إثبات الرؤية كغلاة الصوفية[2] ؛ الذين

---

(١) انظر تفسير «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي (٧/ ٣٧) عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(٢) الصوفية طائفة من الفرق الهالكة المبتدعة اختلف العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية، ولعل سبب تسميتهم بالصوفية نسبة إلى لبس الصوف، ومن أسماء الصوفية «الصوفية - أرباب الحقائق - الفقراء - الجوعية - الملامية أو الملامتية»، وقد اختلف في ظهور المذهب الصوفي فقيل: سنة (١٥٠هـ)، وقيل سنة (١٨٩هـ)، وقيل: ظهر بعد المائتين من الهجرة، وقيل بعد القرون الثلاثة الأولى أي في القرن الرابع الهجري، ومن عقائدهم الفاسدة وقولهم على اللّه بغير علم، قولهم بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ووحدة الشهود والكشف=

يعتقدون بأن زعماءهم يَرون اللَّه في الدنيا والآخرة، وكذبوا إذ لم يستندوا إلى برهان، بل إلى التخرص والهذيان.

وأهل السنة والجماعة: وسطٌ بين الغلاة في نفي الرؤية، والغلاة في إثباتها على الفهم الذي رأيت، فقد أثبتوا رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة في عرصات القيامة وفي الجنة، ونفوا رؤية المؤمنين وغيرهم عن اللَّه - تبارك وتعالى - في الدنيا؛ فإن اللَّه لا يراه أحد في الدنيا الفانية كما قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والخلاصة: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في دار النعيم على اختلاف منازلهم وذلك من أجلّ نعيمهم، ولم يره أحد في الدنيا لا من الرسل - عليهم السلام - ولا من هو دونهم، وأن جميع الكافرين لا يرون ربهم يوم القيامة، بل هم محجوبون عنه بأدلّة الكتاب والسنة عقوبةً لهم، وأما المنافقون نفاقًا اعتقاديًا؛ ففي الدرك الأسفل من النار تحت الكافرين[1] لقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ

= والقطب والغوث، ومن كبار دعاة هذه الطائفة الضالة: الحلاج وابن عربي وابن الفارض والبسطامي والجيلي وغيرهم كثير. [انظر «فرق معاصرة» (ص٥٧٥) وما بعدها بتصرف شديد واختصار].

(١) وأما المنافقون: فإنهم يرون اللَّه مع المؤمنين في عرصات القيامة فيتهيؤون للسجود كما سجد المؤمنون فتعود ظهورهم طبقًا واحدًا، أي: لا يقدرون على السجود كما قصّ اللَّه ﷻ ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]. انظر «شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني» للمؤلّف (ص ١٣٤).

ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وليس بمولود وليس بوالد**»: معنى ذلك: أن الله - تبارك وتعالى - ليس بمولود أي: ليس له والد، وليس بوالد: أي لا ولد له، والأدلة على ذلك من القرآن والسنة كثيرة محكمة؛ ومن ذلك قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وكقوله - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣] وكقوله - عزّ شأنه -: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] وغيرها كثير، وما ذلك إلا لكمال غناه جَلَّ جَلَالُهُ فلا يحتاج إلى صاحبةٍ، ولا يحتاج إلى ولد، ولا إلى مُعين، ولا ظهير؛ بل هو الإله الحق الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. هذه عقيدة المؤمنين في ربّهم عزّ في عُلاه قال - سبحانه -: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، وقال - تبارك وتعالى -: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى غير ذلك من النصوص التي تدلّ على أن الله تبارك وتعالى هو الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، له الأسماء الحسنى، وله صفات الكمال والجلال التي جاءت نصوصها في الكتاب والسنة.

* **وقوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وليس له شبه تعالى المسبَّح**» أي: ليس لله شبيه من مخلوقاته، وليس له مثيل، ولا كفو له، ولا ندّ له؛ كما قال عَزَّ وَجَلَّ:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فنفى الله - تبارك وتعالى - أن يكون له شبيه من خلقه، بل له الكمال المطلق ذاتًا وأسماءً وصفاتٍ؛ إذ هو الخالق وما سواه مخلوق، وهو الربّ وما سواه مربوب، وهو المعبود وما سواه عبد، وهو صاحب الكمال المطلق، وما سواه محلّ النقص، وهو الغنيّ وما سواه مفتقر إليه ومحتاج إليه؛ كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، يثبتون لربهم صفات الكمال وينفون عنه صفات النقص، ويردّون ما قاله أهل التشبيه وأهل التعطيل بنصوص الكتاب والسنة الواضحة البيِّنة، بل ويردّون على كل من خالفهم من أهل البدع والضلال.

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا ....

لذا قال مؤلف القصيدة: «وقد ينكر الجهمي هذا» أي: الجهمية المعطّلة والمشبِّهة كلّهم ينكرون ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة من إثبات الأسماء الحسنى وصفات الكمال للخلّاق العليم، فأما الجهمية فإنهم نفوا عن الله أسماءه الحسنى وصفاته العلى فشبّهوه بالعدم؛ لأن الذي لا يسمّى باسم ولا يوصف بصفة فهو عدم، فالعابد منهم يعبد عدمًا، والعابد من المشبّهة يعبد صنمًا؛ لأنه شبّه الله بخلقه، وأهل السنة والجماعة يعبدون إلهًا واحدًا هو الله الذي يجب أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، لا يستحقّ أن يعبد أحدٌ سواه.

.... وَعِنْدَنَا   بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرَّحُ

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ : « **. . . وعندنا ! بمصداق ما قلنا حديث مصرح** » أي : عند أهل السنة والجماعة الذين ينطق المؤلِّف بلسانهم ما يصدِّق قولهم في رؤية المؤمنين لربهم هو الحديث الصريح الذي رواه جرير بن عبد اللَّه البجلي رضي الله عنه ؛ وقد تقدّم قريبًا ، وفيه إثبات رؤية المؤمنين لربهم في عرصات القيامة ومعهم المنافقون ، وفي الجنة خالصة للمؤمنين ، كما أن نصوص الكتاب والسنة مصرِّحة بأن اللَّه - تبارك وتعالى - له الكمال المطلق ذاتًا وأسماءً وصفاتٍ ، وأنه لا شبيه له من مخلوقاته ؛ كما قال - تبارك وتعالى - : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهذه الجملة العظيمة فيها ردٌّ على طائفتين من طوائف البدع : هما المشبِّهة الذين شبّهوا اللَّه بخلقه فقالوا : إن صفات الخالق كصفات المخلوق ؛ إذ قالوا : إن لله يدًا كأيدينا وسمعًا كسمعنا وبصرًا كبصرنا ، وهلُمّ جرًّا ، وكذبوا في ذلك وما قدروا اللَّه حقّ قدره ، ولا نزّهوه عن صفات النقص والعيب ، تعالى اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا ، وفيها ردٌّ على المعطّلة مأخوذ من قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ؛ لأن أهل التعطيل نفوا عن اللَّه - تبارك وتعالى - أسماءه وصفاته ، واللَّه عز وجل أثبتها لنفسه ، فهم مكذِّبون للقرآن ؛ لذا كفّرهم جمهور السلف ولم يقبلوا لهم عذرًا ؛ لأن الحجة قد قامت عليهم بواسطة أئمة العلم الذين وفّقهم اللَّه للفقه في نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب العظيم وغيره من أبواب العلم الشرعي ، فتطابقت نصوص الكتاب والسنة على إثبات ما أثبته اللَّه لنفسه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الجليلة ، وتجلّيه لعباده المؤمنين في الجنة عِيانًا كما هو مقتضى نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وإثبات ما أثبته له نبيّه محمد ﷺ كذلك إثباتًا

بلا تشبيه ولا تمثيل وتنزيهًا بريئًا من التأويل والتعطيل بل كما قال الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ ... رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ
وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

وقوله: . «**فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح**»، أي: دم على ما دلّت عليه النصوص من المعاني الصحيحة؛ إذ إن من فعل ذلك فقد هدي للصواب في هذا الباب العظيم الذي يتعلق ببيان هذا النوع من أنواع التوحيد؛ أعني توحيد الأسماء والصفات الذي من أحسن فيه القول والعمل فقد نجح وظفر بالمطلوب ونجا من المرهوب.

* **وفي قول المؤلف**: «**وقد ينكر الجهمي أيضًا يمينه**» أي: إن اللَّه ﷻ أثبت لنفسه صفة اليدين، فأثبتها أهل السنة والجماعة حقًّا على مراد اللَّه ونهج رسوله ﷺ، وأما الجهمية والمعتزلة ومن دونهم في التعطيل من الأشاعرة والكُلّابية، فمنهم من عطّلها تعطيلًا كاملًا كالجهمية والمعتزلة، ومنهم من عطّل تعطيلًا جزئيًا بالتأويل الفاسد كالأشاعرة والكُلّابية والماتريدية ومن لفّ لفّهم، لذا قال المؤلف «وقد ينكر الجهمي أيضًا يمينه» أي: يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين.

* **قوله**: «**وكلتا يديه بالفواضل تنفح**» أي: أثبت اللَّه ﷻ لنفسه صفة اليدين صفة ذاتيةً تليق بعظمة اللَّه وجلاله، لا تنفكّ عنه - تبارك وتعالى - كغيرها من الصفات الذاتية كالسمع والبصر والقدرة ونحوها من صفات الكمال الذاتية التي لا تنفكّ عن للَّه، ولفظ اليدين جاء تارة بلفظ التثنية، وتارة بلفظ الإفراد، وتارة بلفظ الجمع، والمقصود إثبات

يدين اثنتين لله تبارك وتعالى؛ دلّ على ذلك قول اللّه ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، والآية دليل صريح في إثبات صفة اليدين صفة ذاتيةً تليق بعظمة اللّه وجلاله؛ لا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل، وجاءت اليد بلفظ الإفراد؛ كما في قوله ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] وقال ﷻ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ [الفتح: ١٠]، وجاءت بلفظ الجمع؛ كما في قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، وتوجيه الإفراد كي يتّفق مع آية المائدة: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ هو: أن كلمة: «يد» مفرد مضافٌ، والمفرد المضاف يعمّ فيتناول الواحد والاثنين والجمع، ف: «يد» مفرد مضافٌ، ولفظ الجلالة في قوله سبحانه: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ مضاف إليه، وفي قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ﴾ تقول: «يد»: مضافٌ والضمير: مضاف إليه، فلا يختلف مع قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ بل يتفق؛ لكونه يطلق على المفرد وعلى الاثنين وعلى الجمع، وأما مجيء لفظ اليد مجموعًا في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، فجاءت مجموعةً هنا للمشاكلة بين المضاف والمضاف إليه، «أيدي»: مضافٌ و«نا»: مضاف إليه، فلما كان الضمير «نا» الدال على التعظيم يفيد الجمع؛ جاء لفظ الأيدي مجموعًا من أجل المشاكلة، إذًا فلا تعارض بين النصوص التي رأيتَ، والتي تفيد أن لله -تبارك

وتعالى- يدين اثنتين تليق بعظمته وجلاله كغيرها من الصفات الذاتية صفات الكمال والجلال؛ التي لا يجوز فيها التشبيه ولا التعطيل ولا التأويل ولا التحريف ولا التمثيل، وقد جاء في الحديث أن أبا هريرة قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الملِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟**» متفق عليه[١]، فلا شيء من صفات الخالق تشبه صفات المخلوق، بل صفات الخالق تليق بجلاله وبكماله وصفات المخلوق تليق بحاله، وهي قاعدة مطّردة أن كلّ اسم لله وكلّ صفة له لا يشبه شيئًا من أسماء وصفات المخلوقين، ولا تشترك إلا في اللفظ فقط، فيقال للمخلوق يد مثلًا كما يقال للخالق يد، ويقال للخالق سمع وبصر وللمخلوق سمع وبصر، ولكن سمع الخالق وبصره - تبارك وتعالى - صفات كمال وجلال، وصفة المخلوق سمعه وبصره تليق بحاله؛ مسبوقة بالعدم ويأتي عليها الفناء، ويطرأ عليها العطب، بخلاف سمع الخالق وبصره؛ فإنهما صفات كمال وجلال كذاته - تبارك وتعالى - كما أسلفت قريبًا.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**بالفواضل تنفح**» أي: أن اللَّه ذو الفضل والإحسان يعطي عطاءً لا نظير له؛ إذ كل شيء من خيري الدنيا والآخرة فهو من عطائه، وفي الحديث ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ

---

(١) هذا لفظ البخاري: الرقاق، باب يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ برقم (٦٥١٩) ولمسلم: صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، باب؛ برقم (٢٧٨٧) نحوه، ولمسلم عن عبداللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يطوي اللَّه عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**» حديث رقم (٢٧٨٨).

قال: «يَمِينُ اللهِ مَلْأَى لَا يغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ ينقصْ مِمَّا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى القَبْض يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»[1].

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلَا كَيْفٍ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقل ينزل الجبار في كل ليلة» معنى ذلك: أن اللَّه -تبارك وتعالى- موصوف بالنزول وهي صفة فعلية، ومثلها صفة المجيء والإتيان والرضا والغضب والمقت والسخط: صفات فعلية، والصفات الفعلية -كما سبق بيانها- هي التي يتّصف اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بها بحسب مشيئته واختياره متى شاء أن يتّصف بها اتّصف، وهو الحكيم في أفعاله لا معقّب لحكمه، ولا اعتراض على أفعاله وأقداره، وقد روى الشيخان حديث نزوله إلى السماء الدنيا كلّ ليلة فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كلَّ ليلة إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيقول: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[2]، وله روايات أخرى في بعضها

(١) أخرجه أحمد: ٢/ ٣١٣(٨١٢٥) و٢/ ٣١٤(٨١٣٨)، والبخاري: التوحيد، باب: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» رقم (٧٤١٩)، ومسلم: الزكاة، باب الْحَثِّ عَلَى النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ، برقم (٩٩٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر «شرح السنة» للبغوي (٦/ ١٥٤. ١٥٥).

(٢) رواه مالك: النداء للصلاة، ما جاء في الدعاء؛ برقم (٥٧٠)، وأحمد: (٢/ ٢٦٤ و٢٦٧ و٤٨٧ و٥٠٤)، والبخاري: الجمعة، باب الدُّعَاءِ فِي الصَّلاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ؛ برقم (١٠٩٤)، ورواه برقم (٥٩٦٢، ٧٠٥٦)، ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالإِجَابَةِ فِيهِ؛ برقم (٧٥٨)، وأبو داود: السنة، في الرد على الجهمية؛ برقم (٤٧٣٣)، والترمذي: الدعوات، باب مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ؛ برقم (٣٤٩٨)، =

زيادة: «مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ»[(١)]، وهو دليل على أن اللَّه ينزل إلى السماء الدنيا، وهو سبحانه قد وصف نفسه بأنه على العرش استوى كما قال ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ولا يجوز أن يسأل كيف ينزل؟ وكيف يصعد؟ ولا كيف استوى؟ وإنما يفوّض أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر علم كيفية ذات اللَّه وأسمائه وصفاته إليه جلّ وعلا، وأما معاني الأسماء والصفات؛ فإنهم يعرفونها، ويتفقّهون فيها، ويعملون بها؛ لأن اللَّه ﷻ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] فهو ينزل إلى السماء الدنيا، ويجيء لفصل القضاء بين العباد...، وكلها صفات فعلية تليق بعظمة اللَّه وجلاله؛ لا يقال فيها: كيف ينزل أو يجيء؟ ولا يجوز لأحد أن يؤوِّلها بالتأويل المذموم الباطل كما فعل الأشاعرة ومن لفّ لفّهم، ممن أوَّلوا المجيء والإتيان والنزول بتأويلات باطلة؛ فقالوا: تنزل ملائكته أو ينزل أمره ويأتي ثوابه وتجيء ملائكته، كل هذه تأويلات فاسدة يردّها العقل والنقل، وأما أهل الحديث والأثر أتباع سيد البشر عليه الصلاة والسلام؛ فإنهم أثبتوا لله ﷻ صفاته الذاتية والفعلية، فصحّت عقيدتهم، وأراحوا أنفسهم من التكلّفات والتخبّط في الخطأ وفساد المعاني، فرضي اللَّه عنهم وأرضاهم، وغفر لنا ولهم ورحمنا وإياهم.

= وابن ماجه: إِقَامَةِ الصَّلاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا، باب مَا جَاءَ فِي أَيِّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ أَفْضَلُ؛ برقم (١٣٦٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) عند مسلم برقم (٧٥٨/ ١٧١) من طريق سعيد بن مرجانة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وغيرهم الذين أعرضوا عن النصوص الشرعية وحكّموا العقول القاصرة في هذا الباب العظيم ضلّوا وأضلّوا على اختلاف طبقاتهم؛ كالجهمية الهالكة والمعتزلة الضالة والأشاعرة والماتريدية والكُلّابية والواقفة والمفوِّضة، هؤلاء كلهم ضلّوا في هذا الباب على تفاوت بينهم، فأشقاهم الجهمية وأفراخهم المعتزلة، ولحق بهم وشاركهم في التعطيل الجزئي: الأشاعرة والماتريدية والكُلّابية، وضلّ في هذا الباب الواقفة الذين قالوا: لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، والمفوِّضة الذين قالوا: نثبت الأسماء والصفات ولكن لا ندري عن المعاني شيئًا، ولا نقول فيها شيئًا بل نفوض علمها إلى للّه، وكأن اللّه - تبارك وتعالى - خاطب الأمة بكلام لا يفهمونه، أو كأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يبيّن لهم معاني نصوص هذا الباب العظيم الذي هو نوع من أجلِّ أنواع التوحيد.

إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ ... أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «روى ذاك قوم» يريد بالمروي هنا حديث النزول الذي سبق تدوينه قريبًا، وأشار إليه المؤلف بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

والمراد بالقوم في قوله: «روى ذاك قوم لا يرد حديثهم»: هم العدول الثقات الذين رووا حديث النزول من الصحابة والأئمة من بعدهم.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ألا خاب قوم كذّبوهم وقبّحوا»: فيه دعاء على من كذّب من روى هذا الحديث - حديث النزول - الذي تلقّته أمة الإسلام بالتصديق والقبول، وتلقّاه أهل البدع والضلال بالتأويل الفاسد المرذول، ألا ذلّوا وخسروا بما أقدموا عليه من تكذيب أهل الصدق والوفاء ورثة الأنبياء وحملة الشريعة الحنفاء.

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قُدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الأَرْجَحُ

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

معنى ذلك: أن من معتقد أهل السنة والجماعة سابقهم ولاحقهم أن خير الناس بعد النبيّ محمد ﷺ هو أبوبكر الصديق[1]، ثم عمر الفاروق[2].

---

(١) هو الصحابي الجليل عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب ابن لؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر بمكة، كان من سادات قريش وغنيًّا من موسريهم، عالمًا بأنساب القبائل وأخبارها وكان يلقب بعالم قريش، هو أول من آمن بالنبي ﷺ من الرجال ورفيقه ومؤنسه في الهجرة، ثاني اثنين إذ هما في الغار، أفضل الأمة وخيرها بعد النبي ﷺ، شهد المشاهد كلها، بويع له بالخلافة بعد وفاة النبي ﷺ سنة (١١هـ) فحارب المرتدين ومانعي الزكاة وافتتحت في إمارته الشام وقسم كبير من العراق، كان أبيض نحيفًا خفيف العارضين معروق الوجه ناتئ الجبهة جعدًا مشرف الوركين خطيبًا لسنًا عارفًا بوجوه الكلام شجاعًا، توفي لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة (١٣هـ) وهو ابن ٦٣سنة، خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما. [انظر «فضائل الصحابة» (١/ ٧٦-٧٧) للإمام أحمد بتحقيق وصي الله عباس - الحاشية(١)- و«أسد الغابة» (٣/ ٢٠٥)].

(٢) هو الصحابي الجليل عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين الفاروق ثاني الخلفاء الراشدين، من أيّد الله به الإسلام وفتح به الأمصار وهو الصادق المحدث الملهم الذي قال فيه المصطفى ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر» أحد العشرة المبشرين=

ويليهما عثمان ذو النورين[1]، ويليهم علي بن أبي طالب ذو السبطين[2]. وهذا ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة أن الخلفاء الأربعة ترتيبهم في الخلافة كترتيبهم في الفضل، لذا عبر المؤلف بقوله: «وقل» أي: أيها المسلم «إن خير الناس بعد محمّد» أي: أفضل

= بالجنة، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، دخل في الإسلام قبل الهجرة بخمس سنين، فكان إسلامه عزًّا وقوة للمسلمين وفرجًا من الضيق، وهاجر وشهد المشاهد مع النبي ﷺ وبويع له بالخلافة يوم وفاة أبي بكر الصديق سنة (١٣هـ)، هو أول من أرخ بالتأريخ الهجري، وأول من دون الدواوين فتح الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر والجزيرة كان طويلًا يفرع الناس كأنه على دابة، جسيمًا أصلع أعسر شديد الحمرة كثير السبلة في أطرافها صهوبة وفي عارضيه خفة، استشهد رضي الله عنه بيد أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة غيلة وهو في الصلاة سنة (٢٣هـ) [انظر «فضائل الصحابة» (١/ ٢٩٩)- الحاشية(١)-].

(١) هو الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين ذو النورين صهر رسول اللّٰه ﷺ على ابنتيه ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل وكان غنيًّا شريفًا في الجاهلية، ومن أعظم أعماله تجهيز جيش العسرة بماله، وصارت إليه الخلافة بعد استشهاد عمر سنة (٢٣هـ) بمشورة من أصحاب رسول اللّٰه ﷺ فافتتحت في أيامه أرمينية وقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وقبرص وغيرها، وأتم جمع القرآن وجمع المسلمين على مصحف واحد، استشهد وهو يقرأ القرآن صبيحة عيد الأضحى سنة (٣٥هـ). [انظر: «فضائل الصحابة» (١/ ٥٤٧) -الحاشية رقم (١)- و«أسد الغابة» (٣/ ٣٧٦)].

(٢) هو الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن، أول الناس إسلامًا في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين على «الصحيح» فربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد المشاهد كلها إلا غزوة تبوك فقال له ﷺ بسبب تأخيره له بالمدينة **«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»** وزوّجه بنته فاطمة، اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام، كان أحد الشورى الستة الذين نص عليهم عمر وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة استشهد رضي الله عنه ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف الشهر. [انظر «الإصابة» (٤/ ٤٦٤) و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٢٣) بتصرف واختصار].

الناس وأقومهم بعد النبيّ المصطفى ﷺ «وزيراه» أبوبكر وعمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب ﷺ أجمعين، وعن سائر الصحابة الغُرّ الميامين؛ الأنصار منهم والمهاجرين رضي اللّه عنهم وأرضاهم أجمعين.

وَإِنَّهُمْ لَلرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **«وإنهم للرّهط لا ريب فيهم»**... إلخ البيتين، أي: العشرة الكرام المبشرين بالجنة وهم: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلي المرتضى ذو السبطين، وسعيد ابن زيد القرشي العدوي(١)، وسعد بن أبي وقاص القرشي(٢)، وعبد الرحمن بن عوف القرشي وأحد الشورى الستة(٣)، وأبو عبيدة

---

(١) هو الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي أبو الأعور من خيار الصحابة، هاجر إلى المدينة، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وشهد المشاهد كلها إلا بدرًا وكان غائبًا في مهمة أرسله بها النبيّ ﷺ، كان من ذوي الرأي والبسالة، شهد اليرموك وحصار دمشق، ولّاه أبو عبيدة دمشق، ولد بمكة سنة ٢٢ قبل الهجرة وتوفي بالمدينة سنة (٥١هـ) [انظر «الأعلام» للزركلي (٣/ ٩٤)].

(٢) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري أبو إسحاق الصحابي الجليل أسلم وعمره ١٧ سنة وشهد بدرًا، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وآخرهم موتًا، كان أحد الفرسان وأول من رمى بسهم في سبيل اللّه وأحد الستة أهل الشورى الذين سماهم عمر، وقال: إن أصابته الإمرة فذاك وإلا فليستعن به الوالي، وكان رأس من فتح العراق وولي الكوفة لعمر ووليها لعثمان، كان ﷺ مستجاب الدعوة بدعوة المصطفى ﷺ له: **«اللهم استجب لسعد إذا دعاك»** مات سنة (٥٥هـ) ﷺ وأرضاه [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٣٥) - الحاشية (٤)-، «أسد الغابة» (٢/ ٢٩٠)].

(٣) هو الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف بن عبدعوف بن عبدالحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو محمد من أكابر الصحابة وأحد المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم شهد مع النبي ﷺ بدرًا وسائر المشاهد ولد بعد عام=

عامر بن الجراح القرشي الفهري أمين هذه الأمة[1]، والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته وهو من أهل الشورى أيضًا[2]، وطلحة بن عبيد الله[3] رضي الله عنهم أجمعين.

وقوله: «على نُجُب الفردوس بالنور تسرح» ثناء عليهم، وبيان لذكر ثوابهم وتكريم الله لهم في الجنة، بأن تكون لهم مراكب يركبونها

= الفيل بعشر سنين وأسلم قديمًا وهاجر الهجرتين، كان اسمه في الجاهلية عبدالكعبة أو عبد عمرو فسماه الرسول ﷺ بعبد الرحمن توفي سنة (٣٢هـ) ﷺ وأرضاه. [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٠٨)- الحاشية (١)-].

(١) هو الصحابي الجليل عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب ويقال: وهيب بن ضبة بن الحارث ابن فهر القرشي الفهري المشهور بكنيته أبي عبيدة بن الجراح الصحابي السابق إلى الإسلام أحد العشرة المبشرين بالجنة شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها وولاه عمر قيادة الجيش الزاحف إلى الشام بعد خالد بن الوليد فتم له فتح الديار الشامية لقبه النبي ﷺ بأمين هذه الأمة توفي ﷺ بطاعون عمواس بالشام سنة (١٨هـ) ﷺ وأرضاه. [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٢٢)-الحاشية(١)-].

(٢) هو الصحابي الجليل الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبدالله حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطّلب الصحابي الشجاع المقدام أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى لانتخاب الخليفة بعد عمر، هو أول من سلّ سيفه في الإسلام شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ كان موسرًا وله ألف مملوك، قتله ابن جرموز غيلة بعد الجمل بوادي السباع في جمادى الأولى سنة (٣٦هـ). [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩١٤)- الحاشية (١)-].

(٣) الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني أبو محمد، شجاع من الأجواد وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين سماهم عمر، قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش وعلمائهم، أسلم قديمًا وكان يقال له طلحة الجود وطلحة الخير وطلحة الفياض، شهد أحدًا وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت وشهد الخندق وسائر المشاهد استشهد يوم الجمل سنة (٣٦هـ). [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٢٨ - ٩٢٩) - الحاشية (١)-و«تهذيب ابن عساكر» (٧/ ٧١)].

تطير بهم في الجنة حيث شاؤوا وأنّى أرادوا.

وقد جاء في «المسند» و«السنن» ذكر عدد العشرة المبشرين بالجنة فيما رواه سعيد بن زيد ﷺ قال: أشهد على رسول اللّه ﷺ أني سمعته يقول: «**عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: النَّبِيُّ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، والزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ العَاشِرَ**»، قال: فقالوا: من هو؟ فسكت، قال: فقالوا: من هو؟ فقال: «هو سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ»، وقال: «لَمَشْهَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يغبّر فيه وجهه خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَه وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ»[1]، وفي الترمذي من حديث عبدالرحمن بن عوف ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْد بن أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيد بْن زَيْدٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْن الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»[2] رضي اللّه عنهم أجمعين.

---

(١) أخرجه أحمد: ١/ ١٨٨(١٦٣١) و١/ ١٨٨ (١٦٣٧)، وأبو داود: السنة، في الخلفاء؛ برقم (٤٦٤٩) و(٤٦٥٠) واللفظ له، والترمذي: المناقب، باب مَنَاقِبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ ﷺ؛ برقم (٣٧٤٨)، وابن ماجه: المقدمة، باب فَضَائِلِ الْعَشَرَةِ ﷺ؛ برقم (١٣٤). وانظر صحيح الجامع [(٢/ ٧٧٢)(٤٠١٠)] للشيخ الألباني.

(٢) أحمد في «المسند» (١/ ١٩٣)، وأخرجه الترمذي في الباب السابق حديث رقم (٣٧٤٧). وانظر صحيح الجامع [(١/ ٧١) رقم(٥٠)] للشيخ الألباني.

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ   وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ   وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

في هذين البيتين وصيّة قيّمة تتعلّق بحق الصحابة الكرام الناصرين لدين الإسلام عليهم رضوان الملك العلّام، وحقًّا إن عقيدة أهل السنة والجماعة احترام أصحاب النبيّ ﷺ جميعًا المتقدّم والمتأخّر، ومحبّتهم واجبة بنصوص الكتاب والسنة، والترضي عنهم والاعتراف لهم بالفضل خلقٌ المتقين وسلوك الموحّدين وجماعة المسلمين، بخلاف أهل البدع كالخوارج الذين كفّروا عليًّا ومن معه، وكالرافضة[1] الذين غلوا فيه حتى رفعوه هو وأهل البيت فوق منزلتهم ظلمًا منهم وعدوانًا، وجفوا الصحابة الأفاضل؛ فصاروا بذلك من أهل الغلو ومن أهل الجفاء، وكلّ رزية تليق بجنابهم.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ولا تك طعّانًا تعيب وتجرح**» أي: احذر أن تعيبهم وتجرحهم كما فعلت الخوارج والروافض؛ إذ هم لا يستحقّون العيب ولا الجرح بل يجب احترامهم وذكر محاسنهم، والاعتراف بفضلهم الذي لا يخفى على ذوي العقول السليمة والعقيدة المستقيمة، فتبًّا ثمّ

(١) الرافضة هي طائفة من الطوائف الشيعية ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الفاسدة فهم الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في عليّ وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ وسمّوا بالرافضة؛ قيل لأنهم رفضوا إمامة زيد بن علي، وقيل لرفضهم إمامة أكثر الصحابة ومنهم الشيخين، وقيل لرفضهم الدين. من أشهر فرقهم «الشيعة الاثنا عشرية - المحمدية - الشيخية - الرشتية»، من معتقداتهم الفاسدة زعمهم أن اللّه تجلى في علي وفي أولاده الأحد عشر وأنهم مظاهر اللّه وأصحاب الصفات الإلهية، ودعواهم عصمة الأئمة والأوصياء، وموقفهم الباغض للصحابة، وقولهم بالبداء على اللّه تعالى، والظهور بعد الخفاء كما قالت اليهود. [بتصرف من «فرق معاصرة» (١/ ١٦٣) وما بعدها].

تبًّا للخوارج والروافض الذين سلكوا المسالك الوعرة في حقهم، وطوبى للصحابة الكرام وأتباعهم من الأنام؛ الذين اعتصموا بالدين القويم والمنهج المستقيم؛ فنالوا رضا الرحمن الرحيم.

فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

وقوله:

فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

يعني: أن اللَّه ﷻ أثنى عليهم في القرآن بقوله الحق: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] ومثل هذا الثناء عليهم ما جاء في آخر سورة الفتح فقد ضرب اللَّه لهم مثلين عجيبين إذ قال اللَّه تعالى: ﷻ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، إذ في هذه الجمل الكريمات التي ختمت بها السورة نعت لهم وبيان لفضلهم لذا قال المؤلف: «وفي الفتح آي للصحابة تمدح»، كما مدحهم اللَّه ورضي عنهم في آية قبل هذه وهي قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دَعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أَفْيَحُ

وبعد أن بيّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ فضل الخلفاء الراشدين وفضل الصحابة أجمعين، بيّن عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بالقدر فقال:

وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دَعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أَفْيَحُ

والمراد بالقدر هو: تقدير اللَّه - تبارك وتعالى - لجميع مخلوقاته؛ لذواتهم وأعمالهم وأحوالهم ومآلهم ومتقلّبهم ومثواهم، وأن ذلك كائن كما قدّر اللَّه - تبارك وتعالى - في الأزل يوم جرى القلم بما هو كائن إلى قيام الساعة، فوجب الإيمان به؛ لأنه أحد أركان الإيمان الستة، ولا يجوز أن يشكّ في القدر أحد، وما ذلك إلا لجلالة قدر هذا الركن وأن منزلته من الدين عظيمة، ولا يتم إيمان عبد إلا أن يؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومرّه، وفق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال النبيّ الكريم ﷺ في عدّ أركان الإيمان: «وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى[1]».

وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

وقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

فيه تحذير من إنكار ثلاثة أشياء: «منكر ونكير، والحوض،

---

(١) قطعة من حديث جبريل المشهور الذي سبق تخريجه ص (٢٨).

والميزان» وهذه الثلاثة الأشياء لا يجوز إنكارها لتصريح النصوص بثبوتها، بل يجب الإيمان بها جميعًا؛ قال ﷻ في شأن الميزان: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، والميزان: له كفّتان توزن فيهما الحسنات والسيئات، وصحائف الأعمال والعاملون، وأما منكر ونكير والحوض العظيم؛ فذلك ثابت بنصوص السنة الصحيحة الصريحة، ومنها ما جاء في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ - لمحمد ﷺ - ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ فِي النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ**»(١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: «**إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ أَوِ الإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ**

---

(١) البخاري: الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر؛ برقم (١٣٧٤)، ومسلم: الجنّة وصفة نعيمها وأهلها؛ باب عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنْ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ؛ برقم (٢٨٧٠).

وأخرجه أحمد: ٣/ ١٢٦(١٢٢٩٦) و٣/ ٢٣٣(١٣٤٨٠) وأبو داود: شرح السنة، في المسألة في القبر وعذاب القبر، برقم (٤٧٥١)، والنسائي: الجنائز، مسألة الكافر؛ برقم (٢٠٤٩ و٢٠٥٠ و٢٠٥١).

تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هذا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرَهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِن مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[١].

وجاء في الحوض ما ثبت عن عبداللّٰه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبيّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»[٢].

---

(١) رواه الترمذي: الجنائز، باب مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (١٠٧١)، والحارث في مسنده (٢٨٠- بغية الباحث)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤١٦ برقم ٨٦٤)، والبزار برقم (٨٤٦٢)، وابن حبان (٧٨٠- الموارد)، والآجري في الشريعة (ص٣٦٥)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص ٥٦)، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور كما في إتحاف السادة المتقين: (١٠/ ٤١٣).

قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال الألباني في الصحيحة (٣/ ٣٨٠): «إسناده جيد». وقال في صحيح الجامع (١/ ١٨٦/ رقم٧٢٤): حسن.

ونقل ابن القيم في «الروح» (ص ٧٣- ابن حزم) عن الإمام أحمد التصريح باسم الملكين منكر ونكير؛ قال أحمد بن القاسم: قلت: يقولون: ليس في حديث منكر ونكير، قال: هو هكذا؛ يعني أنهما منكر ونكير..

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول اللّٰه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، رقم (٦٥٧٩)، ومسلم في «صحيحه»: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته، رقم (٢٢٩٢).

وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

في هذين البيتين بيان لما يصنع اللَّه بعصاة الموحّدين الذين أكلت النار أجسادهم إلا مواضع السجود فإن اللَّه حرم على النار أن تأكل مواضع السجود فهو سبحانه يخرجهم بفضله ورحمته؛ فقد جاء في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيّ ﷺ: «أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: شَفَعَ المَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حِمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: (نَهْرُ الحَيَاةِ) فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»[1].

قوله: «على النهر في الفردوس» أي: يضعهم في نهر من أنهار الجنة يحيون بمائه بمعنى: ينبتون نباتًا.

وقوله - رحمه اللَّه تعالى -: «كحب حميل السيل إذ جاء يطفح»: أي ينبتون كالزرعة الصغيرة في جنب الوادي فإذا اكتملت أجسادهم أعاد اللَّه إليهم أرواحهم وأدخلهم ﷻ الجنة رحمةً منه وفضلًا، وهو أرحم الراحمين.

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْحَقِّ مُوَضَّحُ
وَلَا تُكْفِرَن أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٩٤(١١٩٢٠)، والبخاري: في كتاب التوحيد، باب قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، برقم (٧٤٣٩)، ومسلم: الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

وفي قوله: «**وإن رسول اللَّه للخلق شافع**» أي: إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - يشفع في عصاة الموحدين، ويشفع في رفع درجات المؤمنين، ويشفع في دخول الجنة لأهلها كما قال النبيّ ﷺ: «**جُعِلَتْ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[1].

وفي قوله: «**وإنَّ عذاب القبر بالحق**» أي أن نعيم القبر حق لأهل الإيمان والتقوى، وإن عذاب القبر حق لأهل الإجرام والفساد؛ كما قال اللَّه ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وهذه الآية قيل: إنها نزلت في نعيم القبر وعذابه، فالتثبيت من اللَّه لأهل الإيمان عند سؤال منكر ونكير كما مضى معنا عند قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

وقوله: «**ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا**» أي: لا يجوز لأحدٍ أن يكفّر بالمعاصي التي دون الشرك الأكبر وترك الصلاة جحدًا لوجوبها، وأما مرتكبو المعاصي التي دون الشرك ودون ترك الصلاة جحدًا لوجوبها، فهم عصاة ولكن لا يحكم عليهم بالكفر عند جمهور العلماء، وإذا دخلوا النار فإن اللَّه ﷻ يخرجهم بفضله ورحمته، ثم بشفاعة الشافعين من النار إلى الجنة فيكون مآلهم الجنة؛ كما دلّت عليه

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٣٠)، وأبو داود في السنة، باب في الشفاعة (ج٤ رقم ٤٧٣٩)، والترمذي في صفة يوم القيامة (ج٤ رقم ٢٤٣٧) وهو حديث صحيح بشواهده وطرقه، انظر «جامع الأصول» (رقم ٦٧٦٨و٨٠١٢ و٨٠١٣). وأورده الألباني في «صحيح موارد الظمآن. .»[(٢/ ٥١٧ - ٥١٨) برقم(٢١٩٧ / ٢٥٩٦)] من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: صحيح. وبرقم (٢١٩٨/ ٦٤٣٣) عن جابر، وقال: صحيح لغيره.

النصوص من الكتاب والسنة، وقد استند إليها صاحب القصيدة فقال:

وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ

عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

فأهل السنة والجماعة يثبتون الشفاعة في عصاة الموحدين، ولا يحكمون بالخلود في النار إلا على أهل الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الاعتقادي والإلحاد المخرج من ملّة الإسلام، وأما المعاصي ككبائر الذنوب كالزنا والسرقة وشرب الخمر ونحوها؛ فهي وإن كانت موبقات توبق أصحابها في النار إلا أنهم ليسوا من أهل الخلود في النار، بل يلبثون فيها بقدر معاصيهم، ويصفح اللّه ﷻ عنهم، ويخرجهم من النار إلى الجنة رحمة منه وفضلًا، لذا قال المؤلف: «فكلهم يعصي» أي: كل الناس تقع منهم المعاصي وهم بين مستقل منها ومستكثر ومنهم التائب ومنهم المصرّ.

قوله: «وذو العرش يصفح» أي: صاحب العرش وهو اللّه جل في علاه، يتجاوز عن أهل التوحيد فقد لا يعذّبهم مطلقًا، وقد يعذّبهم بقدر ما جنوا، ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة كما أسلفت قريبًا وله الفضل والمنة. واللّه أعلم.

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

موضوع هذه العقيدة الذي تضمنته القصيدة من بدايتها إلى نهايتها هو: بيان منهج أهل السنة والجماعة في صحة الاعتقاد، وصواب المنهج والسلوك، مع بيان معتقد ومنهج من يخالفهم في معتقدهم ومنهجهم، وكم لهم من فرق هالكة مخالفة كما في حديث

الافتراق[١]. ومن جملة الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في العقيدة والمنهج: الخوارج، ومذهبهم رديء مذموم لما يترتب عليه من الأضرار الدينية والدنيوية والفساد في الأرض - قاتلهم الله أنّى يؤفكون -، لذا حذر منه علماء السنة والمؤلفون في كتب العقائد، ومن جهابذة المؤلفين في الإشادة بمذهب السلف وإيضاحه والرد على مخالفيهم: صاحب هذه التحفة في بيان مذهب أهل السنة والجماعة وبيان مذهب من يضادّهم ويخالفهم، ومنهم الخوارج الذين خالفوا أهل السنة في أمور كثيرة وخطيرة منها:

أ - أنهم يكفّرون بالمعاصي التي دون الشرك الأكبر: وذلك أن من مات على كبيرة من كبائر الذنوب دون الشرك الأكبر ودون كل عمل مخرج من الملّة ولم يتب؛ فهو عندهم في النار خالد مخلّد؛ بناءً على إنكارهم الشفاعة في عصاة الموحّدين، وهم بهذا المعتقد الفاسد ينكرون أدلّةً معلومةً من الدين بالضرورة، فكم من نصوص وردت في إثبات الشفاعة من القرآن والسنة في عصاة الموحّدين، قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الزمر:

---

(١) وهو حديث الافتراق الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**تفرّقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**» أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٢)، وأبو داود: السنة، شرح السنة، رقم (٤٥٩٦)، والترمذي: الإيمان، باب في افتراق الأمة، رقم (٢٦٤٠) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه: الفتن، باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩١)، وصححه ابن حبان (١٤/ ١٤٠، رقم ٦٢٤٧)، والحاكم (١/ ٤٧، رقم ١٠) و(١/ ٢١٧، رقم ٤٤١) وقال: «على شرط مسلم». ووافقه الذهبي. وأورده الألباني في الصحيحة (٢٠٣). ولهذا الحديث عدة طرق وعدة ألفاظ.

٤٤] وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فعلم من هذه الآيات المحكمات بأن اللَّه يأذن للمؤمنين في الشفاعة ليشفعوا في عصاة الموحدين، أما الخوارج فإنهم حكموا على مرتكبي الكبائر بالكفر في الدنيا والآخرة، ومن ثمّ الخلود في النار في الدار الآخرة.

ب - ومن أشهر مناهجهم: الخروج على أئمة المسلمين إذا وقعوا في معصية ما؛ فإنهم يخرجون عليهم ولو قُطعت رقابهم تنفيذًا للأصل الذي هم عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويرون أن الخروج على الحاكم المسلم إذا عصى واجب وركن من أركان الإيمان عندهم، وقد خرجوا في أوقات متعدّدة: في عهد أصحاب النبيّ ﷺ جرى منهم ما جرى مما حفظته وثائق التاريخ، وانتقم اللَّه منهم بسيوف أوليائه وخرجوا بعد ذلك مرات ومرات، وكلما طلع قرن قطعه للَّه، وفي هذا الزمن، وفي هذه البلاد المملكة العربية السعودية بالذات قد ظهر الخوارج الجدد وأعني بهم: الفئة الضالة التي كفّرت المسلمين من حكّام ومحكومين وعلماء ومتعلّمين؛ فاستباحوا الدماء، وأهدروا الأموال كأسلافهم الأوائل، بل زادوا عليهم في الفساد والإجرام فلم يسلم منهم أحد، بل ألحقوا بضررهم كل مسلم ومسلمة حتى أنفسهم بادروا بها إلى النار فما بالك بغيرهم، غير أن النصوص تبشّر بأن نهايتهم إلى الخيبة والفشل والدمار، وأنه لا يمكن أن تقوم على أيديهم دولة ولا صلاح ولا إصلاح، ورحم اللَّه ابن حزم حيث قال في أهل البدع: «واعلموا رحمكم اللَّه أن جميع فرق الضلالة لم يجر

الله على أيديهم خيرًا، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفع للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين»[١]، قلت: ولا يستغرب ذلك منهم فقد وصفهم النبيّ ﷺ بأنهم «**كِلَابُ النَّارِ**»[٢]، نعم لا يستغرب منهم ذلك وأخزى منه، فهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون قد استحلّوا القتل في المسلمين في هذه البلاد والمستأمنين والمعاهدين، واستحلّوا قتل الجنود حماة الوطن وحرّاس العقيدة، بدون خوف من الله ولامبالاة بعقوبة الله ﷻ، وقد جاء في الآثار الصحيحة أن الخوارج كلما طلع منهم قرن قطعه الله[٣]، وهذا القرن بحول الله وقوّته ستكون نهايتهم قريبة على أيدي الصالحين أو غيرهم من أهل الأرض، ومن مات من الجنود أو غيرهم من المواطنين المسلمين فحظّه طيب قد بشّره النبيّ ﷺ بقوله: «**طُوبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ أَوْ قَتَلَهُمْ**»[٤]، فمن كان من أهل التوحيد والصلاة فقتله هؤلاء السفهاء الخوارج فهو إلى خير ومات بأجله ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

لذا حذّر العلماء من معتقد الخوارج الفاسد، ومنهجهم العملي الخطير، وسلوكهم المنحرف، وأفكارهم الخائبة، ومن جملة من حذّر

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٧١- الخانجي).

(٢) كما في الحديث الثابت عن النبي ﷺ الذي سبق تخريجه ص(٢٠)، وانظر أوضح المعاني ص (ص٢٩٦ و٢٩٨).

(٣) سبق تخريجه ص(٢٧) وانظر أوضح المعاني (ص١٤٤ و٢٩٧).

(٤) سبق تخريجه ص(٢١).

منهم صاحب هذه التحفة «القصيدة الحائية» إذ قال:

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

وما ذلك إلا لأنه معتقد فاسد ومنهج سقيم، الباعث عليه الهوى الذي من اتبعه فقد وقع في طرق الردى، وافتضح أمره في الحال والمآل، وكما حذّر صاحب القصيدة من الخوارج فقد حذر من فرقة أخرى هي المرجئة.

فقال:

وَلَا تَكُ مُرْجِيًا لَعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْزَحُ

والمرجئة التي حذّر منها صاحب القصيدة: طائفة من طوائف الضلال؛ وهم أنواع بعضهم أشدّ إثمًا من بعض، فالجهمية مرجئة؛ حيث فسّروا الإيمان بأنه مجرّد الاعتقاد بالقلب أي: من اعتقد بقلبه ولو لم يعمل شيئًا من الفرائض والواجبات ولو لم يجتنب شيئًا من المحرمات فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان، ويلزم على قولهم هذا أن إبليس مؤمن كامل الإيمان؛ لأنه مقرّ بربه كما قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، وهذا معتقد فاسد كما ترى، لأن اللَّه - تبارك وتعالى - رتب الجزاء الحسن على فعل الطاعات وترك المنكرات، وتوعّد بالنار أهل المعاصي والغفلات، وإن أقرّوا بربوبية ربّ الأرض والسموات.

وفرقة أخرى من أهل الإرجاء: عرّفوا الإيمان بأنه النطق باللسان فقط، وهم «الكرّامية» حيث قالوا: من نطق بلسانه ولو لم يعمل شيئًا ولو لم يعتقد بقلبه أحقيّة ما نطق به، فهو - أي عندهم - مؤمن كامل

الإيمان، لكن إذا كان مقرًّا بقلبه فهو من أهل الجنة، وإن كان مكذِّبًا بقلبه كان منافقًا مؤمنًا من أهل النار، فيلزم على قولهم هذا: أن المنافقين الذين توعّدهم اللَّه ﷻ بالدرك الأسفل من النار أنهم مؤمنون.

ومنهم مرجئة: عرّفوا الإيمان بأنه قول واعتقاد، واختزلوا منه العمل فقالوا: إن العمل لا يدخل في مسمّى الإيمان، وهؤلاء - وإن كانوا أخفّ من مرجئة الجهمية ومرجئة الكرّامية - إلا أنهم خالفوا أهل السنة والجماعة باختزالهم العمل من مسمّى الإيمان بدون برهان من عقل أو نقل، ومن ذلك مرجئة الفقهاء.

وأما أهل السنة والجماعة فهم الذين وفِّقوا للقول الصائب الذي تؤيّده نصوص الكتاب والسنة في تعريف الإيمان فبرِئوا من مذهب الخوارج والمرجئة والأشاعرة ومرجئة الفقهاء ومن لفّ لفّهم حيث قالوا: «الإيمان قول باللسان» كالنطق بالشهادتين وغيرهما «واعتقاد بالقلب» أي: يعتقد بقلبه ما نطق به لسانه مما يجب اعتقاده مما وردت به النصوص، «وعمل بالجوارح» كالصلاة والصوم والجهاد وغير ذلك من أعمال البرّ، «يزيد بالطاعة» كما قال اللَّه ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]، «وينقص بالمعصية» كما قال ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[1] أي: كامل الإيمان بل معه إيمان ولكنه ليس كاملًا، فمن

(١) سيأتي تخريجه إن شاء اللَّه قريبًا.

خالف أهل السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم فهو من الأصناف المنحرفة في هذا الباب، وأمره إلى اللَّه يحكم فيه بحكمه العدل ولا يظلم ربك أحدًا .

لذا قال صاحب القصيدة رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَقُلْ إِنَّمَا الإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرّحُ

فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ : «**وقل إنما الإيمان قول ونية**» أي قول باللسان ونية بالقلب؛ فهو قول اللسان وعمل القلب والجوارح «**وفعل**» أي : فعل الجوارح ، فيزيد بالطاعات منها وينقص بالمعاصي كما مرّ بك قريبًا ، وكما سيأتي زيادة بيانه إن شاء اللَّه تعالى .

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمُو وَفِي الْوَزْنِ يَرْجِحُ

أشار المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا البيت إلى معتقد أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان بالطاعات ونقصانه بالمعاصي ، فكلّما أكثر المؤمن من الطاعات ازداد إيمانه، وكلّما وقع في المعاصي نقص إيمانه؛ قال ﷻ : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] وقال سبحانه : ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ وقال تعالى : ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ ، وقال النبيّ ﷺ : «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَةَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ**»(١) .

---

(١) أحمد: (٢/ ٢٤٣ و٣١٧ و٣٧٦ و٤٧٩)، والبخاري: في الأشربة، باب: وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، رقم (٥٥٧٨)=

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ   فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَوْلَى وَأَشْرَحُ

معناه: أنه لا يجوز لأحد أن يعارض بأقوال الرجال النصوص من الكتاب والسنة، بل إذا جاء النص يجب العمل به، فإذا جاء ما يخالفه من أقوال الرجال فلا يجوز الالتفات إليه، مع الاعتذار لأئمة العلم من الفقهاء والمحدِّثين إذا خالفوا النصوص؛ لأن خلافهم للنصوص غير مقصود لهم، وإنما سبيله الاجتهاد عند غياب النص عنهم أو غير ذلك، وقد ألّف ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا سماه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»؛ يعني الذين خالفوا النصوص بآرائهم فإن هؤلاء يجب الاعتذار لهم، ولا يدخل في ذلك أهل البدع؛ فإنه لا يعتذر لهم، وأعني بهم الذين قعّدوا قواعد البدع ودعوا الناس إليها؛ إما بمؤلفاتهم، وإما بأي طريق من الطرق التي فيها دعوة الناس إلى الضلال والعمل بالمحدثات.

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ   فَتَطْعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ   فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

* وفي قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

= و في الحدود، باب لا شرب الخمر، رقم (٦٨١٠)، ومسلم: الإيمان، باب بَيَانِ نُقْصَانِ الإِيمَانِ بِالْمَعَاصِي وَنَفْيِهِ عَنِ الْمُتَلَبِّسِ بِالْمَعْصِيَةِ عَلَى إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ، رقم (٥٧)، وأبو داود: السنة، باب الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، رقم (٤٦٨٩)، والنسائي: كتاب قطع السارق، باب تعظيم السرقة، رقم (٤٨٧٠-٤٨٧٢) وفي كتاب الأشربة، ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر، رقم (٥٦٥٩و٥٦٦٠)، والترمذي: رقم (٢٦٢٥) وابن ماجه: الفتن، باب النهي عن النهبة، رقم (٣٩٦٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

تحذير من الوقيعة في أهل الحديث وأهل الفقه في الدين، وقد ذكر السلف - رحمهم اللَّه - أن الوقيعة في أهل العلم من علامات أهل البدع، فلا تجد من يطعن في أهل الفقه في الدين وأهل حديث رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - إلا مبتدع قد مُلئ قلبه بالحسد والحقد فباء بالخسران المبين.

* وختم ابن أبي داود هذه القصيدة بقوله:

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

والمعنى: أنك أيها القارئ والسامع إذا اعتقدت ما جاء في القصيدة من أوّلها إلى آخرها فأنت على خير في ليلك ونهارك؛ لأنها تضمنت معتقد أهل السنة والجماعة كما تضمنت منهجهم العملي، ومما هو معلوم بدون شكّ أن أهل السنة والجماعة عقيدةً وعملًا يستندون إلى نصوص الكتاب والسنة بالفهم الصحيح في كل ما يأتون ويذرون، فوعد المؤلّف من اعتقد ما أملاه في هذه القصيدة من معتقد أهل السنة والجماعة ومنهجهم أنه يكون على خير في حاله ومآله وفي كل وقت وحين، وهو في وعده هذا قد استند إلى نصوص الكتاب والسنة بالفهم السليم، واللَّه أعلم، وفي كل شيء هو أحكم وبعباده أرحم.

وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

ملحق

ويشتمل على:

أ - خطبة جمعة: «منهج الدعوة الحكيم والتنديد بحادث التفجير اللئيم»

ب - كلمة.

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نص الخطبة التي ألقيت في جامع «المكتبة السلفية الخيرية» في محافظة صامطة يوم الجمعة الموافق ١٤٢٥/٣/٤هـ والتي بعنوان: «منهج الدعوة الحكيم والتنديد بحادث التفجير اللئيم»

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ اللهِ! أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ ﷻ، فَقَدْ فَازَ وَسَعِدَ الْمُتَّقُونَ وَخَابَ وَخَسِرَ الْمُبْطِلُونَ، ثُمَّ اعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ الْخَلِيقَةَ كَلَّفَ الْمُكَلَّفِينَ بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَلَمْ يَكِلْهُمْ إِلَى عُقُولِهِمْ لِيَعْرِفُوهُ وَيُوَحِّدُوهُ وَيُقَدِّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كِرَامًا وَبَعَثَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءَ عِظَامًا، جَعَلَهُمْ أُمَنَاءَ عَلَى وَحْيِهِ وَوُسَطَاءَ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَى أُمَمِ الْأَرْضِ كُتُبًا فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ، أَلَا وَإِنَّ خَيْرَ كِتَابٍ أُنْزِلَ عَلَى أَعْظَمِ نَبِيٍّ بُعِثَ وَأُرْسِلَ هُوَ كِتَابُ اللهِ الْفُرْقَانُ؛ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وَجَعَلَهُ شَرَفًا لَنَا وَفَخْرًا

مِنْ مَفَاخِرِنَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وَتَعَبَّدَنَا بِتِلَاوَتِهِ وَفَهْمِ مَعَانِيهِ وَالْعَمَلِ بِمَا دَعَا إِلَيْهِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، فَهُوَ وَالسُّنَّةُ الْكَرِيمَةُ مَصْدَرُ حَيَاةِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، لَا حَيَاةَ لِلْبَشَرِيَةِ إِلَّا فِي ظِلِّهِمَا الظَّلِيلِ، وَلَا سَعَادَةَ لَهُمْ إِلَّا بِالسَّيْرِ فِي خَطِّهِمَا الْمُسْتَقِيمِ؛ الَّذِي مَنْ سَلَكَهُ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَا جَاءَ بِهِ هَذَا الْكِتَابُ وَفَصَّلَهُ لَنَا رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ - تَفْصِيلًا جَلِيًّا هُوَ كَيْفِيَّةُ دَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى رِحَابِ الْحَقِّ، تِلْكُمُ الدَّعْوَةُ الَّتِي هِيَ وَظِيفَةُ رُسُلِ اللهِ الْكِرَامِ وَأَنْبِيَائِهِ الْعِظَامِ وَصَفْوَةِ الْخَلْقِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ؛ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ رَبُّهُمْ وَاجْتَبَاهُمْ وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةً لِتَبْلِيغِ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ مُقْتَدِينَ فِي دَعْوَتِهِمْ وَخُلُقِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ بِالْكِتَابِ الْعَظِيمِ وَخُلُقِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، سُبْحَانَ اللهِ مَا أَجَلَّهَا مِنْ وَصِيَّةٍ وَمَا أَزْكَاهُ مِنْ تَوْجِيهٍ تَلَقَّاهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ عَلَيْهِ أَكْمَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ مِنْ رَبِّهِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ وَأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ مَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ حَقًّا وَصِدْقًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا وَإِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وَحَقًّا أَقُولُ - وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنَ اللَّغْوِ فِي الْقَوْلِ -: إِنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لَبَيَانًا وَاضِحًا وَإِعْلَانًا صَارِخًا مَفَادُهُمَا: أَنَّ صَاحِبَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ شَرْعِيٍّ وَبَيِّنَةٍ وَاضِحَةٍ نَيِّرَةٍ؛ قُدْوَتُهُ نَبِيُّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ الْمُخَاطَبُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْفَذَّةِ وَأَمْثَالِهَا وَغَيْرِهَا، وَأُمَّتُهُ تَبَعٌ لَهُ فِي ذَلِكَ

حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، وَبِالدَّرَجَةِ الْأُولَى صَفْوَةُ الْأُمَّةِ وَهُمْ أُولُو الْعِلْمِ وَالْبَصَائِرِ الَّذِينَ هُمْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي الدِّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَالْخَيْرِ الْوَفِيرِ الْمَنْشُودِ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فِي هِدَايَةِ الْمُسَافِرِينَ مِنْهُمْ وَالْمُقِيمِينَ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي إِيضَاحِ شَأْنِ الدَّعْوَةِ وَالدَّاعِيَةِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، فَيَا للهِ كَمْ فِيهَا مِنْ ثَنَاءٍ وَإِشَادَةٍ بِكُلِّ مَنْ دَعَا إِلَى اللهِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ يَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ وَيَخْشَى عُقُوبَتَهُ وَلَمْ يُخَالِفْ قَوْلُهُ عَمَلَهُ وَلَا سَرِيرَتُهُ عَلَانِيَتَهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! هَذَا هُوَ مَنْهَجُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي دَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى رِحَابِ الْحَقِّ وَتَبْلِيغِ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى كَافَّةِ الْأَنَامِ، يَحْمِلُ هَذَا الْمَنْهَجُ فِي مَنْطُوقِهِ وَمَفَاهِيمِهِ وَمَضَامِينِهِ الرِّفْقَ وَاللِّينَ وَالْعَطْفَ وَالرَّحْمَةَ بِالْمَدْعُوِّينَ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ، وَمِنْ مُوجِبَاتِ الْعَذَابِ إِلَى مُوجِبَاتِ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ مِنَ اللهِ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، خِلَافًا لِمَنْ سَلَكُوا مَسَالِكَ الْمُشَوِّهِينَ لِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ قَتْلٍ لِلْأَبْرِيَاءِ وَتَفْجِيرٍ لِلْمُنْشَآتِ وَاعْتِدَاءٍ عَلَى الْحُرُمَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ الَّتِي لَا تُقِرُّهَا الشَّرَائِعُ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكُمَّلُ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ؛ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ بِالْأُسْلُوبِ الرَّحِيمِ وَالْعَرْضِ الطَّيِّبِ الْفَهِيمِ، يَدْعُونَ أُنَاسًا مِنَ الْبَشَرِ قَدْ أَوْغَلُوا فِي الشُّرُورِ وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا فِي الْبَرَارِي وَالْبُحُورِ، فَصَبَرُوا عَلَيْهِمْ وَاسْتَمَرُّوا فِي دَعْوَتِهِمْ كَمَا هُوَ مُوَضَّحٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَسْطُورٌ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! لَقَدْ سَمِعْنَا وَسَمِعَ الْعَالَمُ كُلُّهُ مَا حَصَلَ فِي يَوْمِ

الْأَرْبِعَاءِ الْمَاضِي الْقَرِيبِ فِي مَدِينَةِ الرِّيَاضِ عَاصِمَةِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ - حَرَسَهَا اللهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَكْرُوهٍ - مِنْ عَمَلٍ إِجْرَامِيٍّ أَلَا وَهُوَ التَّفْجِيرُ وَالتَّقْتِيلُ وَالتَّدْمِيرُ لِمَبْنَى الْإِدَارَةِ الْعَامَّةِ لِلْمُرُورِ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْمُسْلِمِينَ الْآمِنِينَ وَالْمَارِّينَ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِمْ، وَقَدْ ذَهَبَ ضَحِيَّتَهُ عَدَدٌ مِنَ الْقَتْلَى الْمَظْلُومِينَ مِنْ رِجَالِ الْأَمْنِ الْأَوْفِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَبْرِيَاءِ وَعَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْجَرْحَى السُّعُودِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُقِيمِينَ فِي هَذَا الْبَلَدِ الْمُسْلِمِ الْآمِنِ بِحِفْظِ اللهِ لَهُ ثُمَّ بِجُهُودِ وُلَاةِ الْأَمْرِ فِيهِ، قَامَتْ بِهَذَا الْعَمَلِ الْإِجْرَامِيِّ الْمَقِيتِ فِئَةٌ مُجْرِمَةٌ وَضَالَّةٌ عَنْ سَنَنِ الْحَقِّ وَخَارِجَةٌ عَنْ هَدْيِ الْمُرْسَلِينَ وَنَهْجِ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، هَذِهِ الْفِئَةُ الشَّاذَّةُ الضَّالَّةُ تَهْوَى الشَّرَّ وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ بَلْ فِي خَيْرِ الْأَرْضِ: بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ أَرْضِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِقَامَةِ حُدُودِ اللهِ وَرِعَايَةِ شَعَائِرِ اللهِ، كَمَا تَهْوَى هَذِهِ الْفِئَةُ الضَّالَّةُ فَتْحَ أَبْوَابِ الْفِتَنِ وَالشِّقَاقِ وَالْعِنَادِ، فَهُمْ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً، وَلَا يَمْلِكُونَ رَحْمَةً لَا لِصَغِيرٍ وَلَا لِكَبِيرٍ وَلَا لِذَكَرٍ وَلَا لِأُنْثَى، وَلَا يَعْرِفُونَ حَقًّا لِعَالِمٍ كَمَا لَا يَعْرِفُونَ حَقًّا لِسُلْطَانِ اللهِ فِي الْأَرْضِ، بَلْ هُمْ سَابِحُونَ فِي طَاعَةِ الْهَوَى وَالشَّيْطَانِ وَفِي غَيِّهِمْ يَعْمَهُونَ، قَدْ تَوَاصَوْا بِالشَّرِّ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ؛ فَهُمْ لِخُطَطِهِ يُنَفِّذُونَ فَنَسْأَلُ اللهَ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ: أَنْ يَهْزِمَهُمْ وَيَرُدَّ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَ تَدْبِيرَهُمْ تَدْمِيرًا لَهُمْ، وَأَنْ يُحِيطَ بِمَنْ يُوقِدُونَ نَارَ الْفِتَنِ وَيُؤَجِّجُونَهَا مِنْ وَرَاءِ الْجُدُرِ وَالْحُجُبِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ وَهُمُ الْخَاسِرُونَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ بِلَادَنَا الْحَبِيبَةَ هِيَ الْفَرِيدَةُ فِي احْتِضَانِ شَرْعِ اللهِ الْمُطَهَّرِ عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَمُعَامَلَةً وَدَعْوَةً وَجِهَادًا وَخُلُقًا وَسُلُوكًا، وَمَعَ

ذَلِكَ فَقَدِ اعْتَدَى عَلَيْهَا هَؤُلَاءِ الْمُعْتَدُونَ بِتَنْفِيذِ الْأَعْمَالِ الْإِجْرَامِيَّةِ الَّتِي سَبَقَ التَّنْوِيهُ عَنْهَا وَالنَّاسُ آمِنُونَ، وَتِلْكَ الْفِئَةُ الضَّالَّةُ تُخَطِّطُ التَّخْطِيطُ الرَّهِيبُ لِيُفْسِدُوا عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْبِلَادِ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ وَشَبَابَهُمْ؛ تَنْفِيذًا لِتَوْجِيهَاتِ قَادَتِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَاسْتِجَابَةً لِهَوَى النُّفُوسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَإِصْغَاءً لِصَرْخَةِ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ. حَقًّا إِنَّ هَذَا الصَّنِيعَ الْفَوْضَوِيَّ الصَّادِرَ مِنَ الْفِئَةِ الضَّالَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِمَّنْ قَلَّ دِينُهُمْ وَمُسِخَتْ فِطَرُهُمْ وَتَقَلَّصَ حَيَاؤُهُمْ وَرَكِبُوا مَتْنَ عَمْيَاءَ وَخَبَطُوا خَبْطَ عَشْوَاءَ فِي تَصَرُّفِهِمِ الْآثِمِ اللَّئِيمِ وَعَمَلِهِمِ الْإِجْرَامِيِّ الْمَشِينِ.

وَإِنَّنَا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ! - مِنْ هَذَا الْمَكَانِ وَمِنْ مَنْطِقَةِ الْجَنُوبِ وَمِنْ مَدِينَةٍ صَامِطَةَ بِالذَّاتِ - بَلَدِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَالدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ السَّلِيمَةِ - لَنَسْتَنْكِرُ أَشَدَّ الِاسْتِنْكَارِ وَنَرْفُضُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ أُولَئِكَ الْمُفْسِدُونَ الَّذِينَ أَحْيَوْا بِدْعَةَ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَخْطَرِ الْأَوْصَافِ حَيْثُ قَالَ فِيهِمْ: «**إِنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ**»[1] وَقَالَ فِيهِمْ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ [ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ]**»[2] وَقَالَ فِيهِمْ: «**كُلَّمَا طَلَعَ قَرْنٌ قَطَعَهُ**

---

(١) سبق تخريجه ص(٢٠).

(٢) أخرجه بلفظه البخاري في [«صحيحه» كتاب التوحيد باب قراءةِ الفاجر والمنافق، وأصواتُهم وتلاوتُهم لا تجاوز حناجرهم برقم (٧٥٦٢)] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، لكنه قال: «. . . **ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فيه حتى يرجع السهم إلى فُوقِه**».

وورد بلفظه من حديث أبي ذر ورافع بن عمرو الغفاريين ﷺ مرفوعًا قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**». رواه أحمد: ٥/ ٣١ (٢٠٦٠٧ و٢٠٦٠٨) و(٢٠٦١٢ و٢٠٦١٣) ومسلم: كتاب الزكاة، باب: الْخَوَارِجُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، رقم=

الله»[١] وَبَشَّرَ ﷺ مَنْ قَتَلُوهُ أَوْ قَتَلَهُمْ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ فَقَالَ ﷺ: «**طُوبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ وَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ**»[٢].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! وَلِمُدَّةِ عَامٍ تَقْرِيبًا تَوَاصَلَتْ هَجَمَاتُهُمْ وَتَنَوَّعَ فَسَادُهُمْ وَتَعَدَّدَتْ الْمَوَاقِعُ الَّتِي نَفَّذُوا فِيهَا عَمَلِيَّاتِ التَّقْتِيلِ وَالتَّدْمِيرِ وَالْإِجْرَامِ، إِذْ مَا تَرَكُوا مَنْطِقَةً مِنْ مَنَاطِقِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ إِلَّا قَامُوا فِيهَا بِالْفَسَادِ مِنْ قَتْلٍ لِلْأَبْرِيَاءِ وَتَرْوِيعٍ لِلْآمِنِينَ بِدُونِ مُسَوِّغٍ مِنْ عَقْلٍ أَوْ دَلِيلٍ مِنْ نَقْلٍ، لِهَذَا فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَعْتَذِرَ لِهَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ الَّذِينَ قَدْ جَرَى عَلَيْهِمْ قَلَمُ التَّكْلِيفِ، كَمَا لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُحَسِّنَ بِهِمُ الظَّنَّ أَوْ يَتَسَتَّرَ عَلَى جَرَائِمِهِمْ لِيُظْهِرُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ بِدُونِ خَوْفٍ مِنَ اللهِ وَلَا رَحْمَةٍ بِعِبَادِ اللهِ، وَإِنَّ اللهَ لَهُمْ وَلِقَادَتِهِمْ وَمُنَظِّرِيهِمْ لَبِالْمِرْصَادِ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْعُقَلَاءُ الْأَوْفِيَاءُ! إِنَّ هَذِهِ الْفِئَةَ الضَّالَّةَ قَدْ سَبَقَ مِنْهَا مِنْ عَمَلِ الْفَسَادِ تَفْجِيرٌ فِي حَرَمِ اللهِ الْآمِنِ وَفِي مَوَاطِنَ مُتَعَدِّدَةٍ فِي الرِّيَاضِ عَاصِمَةِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ وَفِي الْمَنْطِقَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَنَاطِقِ وَكَانَ الْفَشَلُ حَلِيفَهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَكَمْ مِنْ مَوْعِظَةٍ قَدْ وُجِّهَتْ لَهُمْ فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ الْمَوَاعِظُ وَكَمْ مِنْ نِدَاءَاتٍ عَبْرَ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ وَغَيْرِهَا أُرْسِلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ تُجْدِ فِيهِمْ، وَصَدَقَ اللهُ عَزَّ شَأْنُهُ إِذْ قَالَ:

= (١٠٦٧) وغيرهما، واللفظ لأحمد في الرواية الثانية.

(١) سبق تخريجه ص(٢٧).

(٢) سبق تخريجه ص(٢١).

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ هَذِهِ الْفِئَةَ الَّتِي اسْتَهْدَفَتِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ وَالْمُسْتَأْمنِينَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ عُمُومًا وَرِجَالِ الْأَمْنِ الْبَوَاسِلِ خُصُوصًا مَا أَقْدَمُوا عَلَى التَّقْتِيلِ وَالتَّدْمِيرِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ حَكَمُوا بِالْكُفْرِ عَلَى الْحُكَّامِ وَالْمَحْكُومِينَ وَالْعُلَمَاءِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ، وَكُلُّهُمْ مِنْ فَصِيلَةٍ وَاحِدَةٍ انْطَلِقُوا وَيَنْطَلِقُونَ لِتَحْقِيقِ غَايَةٍ وَاحِدَةٍ أَلَا وَهِيَ تَغْيِيرُ نِعْمَةِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا الَّتِي يَنْعَمُ بِهَا أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ: أَرْضِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَبِلَادِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْحُكَّامِ الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ الَّذِينَ نَذَرُوا نُفُوسَهُمْ لِخِدْمَةِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَرَفْعِ شَأْنِهَا وَاحْتِرَامِ أَحْكَامِهَا مَعَ رَحْمَةِ كُلِّ مُوَاطِنٍ عَلَى أَرْضِ هَذَا الْوَطَنِ، وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ بَلْ وَلَهُمْ جُهُودٌ جَلِيلَةٌ فِي شَتَّى بِقَاعِ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ بِكُلِّ طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْجِهَادِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَكِيمِ.

حَقًّا وَيَقِينًا - وَمَعَاذَ اللهِ مِنَ التَّخَرُّصِ!: إِنَّهُ يَنْطَبِقُ عَلَى أُولَئِكَ الْجُنَاةِ «النَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ»، لَقَدِ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ فَسَادًا وَحَسَدًا وَحِقْدًا؛ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ، وَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ، وَسَاءَتْ نِيَّاتُهُمْ، وَقَبُحَتْ أَعْمَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ، فَاعْتَبَرُوا مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ جِهَادًا وَتَضْحِيَةً وَرُجُولَةً وَمَا هُوَ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ إِلَّا غَدْرٌ وَنَكْثٌ وَخِيَانَةٌ، بَلْ وَمُشَاقَّةٌ للهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَافْتِيَاتٌ عَلَى مَنْ جَعَلَ اللهُ طَاعَتَهُمْ عَلَيْنَا وَاجِبَةً، وَوَلَايَتَهُمْ عَلَيْنَا رَحْمَةً، وَالتَّعَاوُنَ مَعَهُمْ فِي كُلِّ بِرٍّ وَصَلَاحٍ فَرْضًا مُحَتَّمًا، وَالدُّعَاءَ لَهُمْ بِمَا يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ حَقًّا وَاجِبًا، وَلَكِنَّ هُوَاةَ

الْإِجْرَامِ لَا يَعْلَمُونَ وَطَرِيقَ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَ:

خَفَافِيشُ أَعْمَاهَا النَّهَارُ بِضَوْئِهِ   وَأَبْصَرَهَا قِطَعٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمُ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا - وَبِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ - أَنْ نَعْتَبِرَ أَنْفُسَنَا رِجَالَ أَمْنٍ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الَّتِي عَلَمُهَا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، وَالَّتِي تُحَكِّمُ شَرِيعَةَ اللهِ فِي أَرْضِ اللهِ.

نَعَمْ.. إِنَّنِي أُنَادِي وَأُكَرِّرُ النِّدَاءَ لِكُلِّ مُوَاطِنٍ عَاقِلٍ أَنْ يَكُونَ رَجُلَ أَمْنٍ، وَعَيْنًا سَاهِرَةً تَتَصَيَّدُ أَهْلَ الشَّرِّ وَالْعَبَثِ وَالْفَسَادِ، وَمِنْ ثَمَّ تَسْلِيمُهُمْ إِلَى أَقْرَبِ مَرْفَقٍ مِنْ مَرَافِقِ السُّلْطَةِ وَالْعَدْلِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الْعَزِيزَةِ ذَاتِ الْأَطْرَافِ الْمُتَبَاعِدَةِ؛ لِيُحَكَّمَ فِيهِمْ شَرْعُ اللهِ وَيُنَفَّذَ فِيهِمُ الْحَقُّ الَّذِي عَرَفَتْهُ هَذِهِ الْبِلَادُ مِنْ قُرُونٍ مَدِيدَةٍ وَأَحَبَّتْهُ وَعَاشَتْ فِي ظِلِّهِ وَلَمْ تَرْضَ بِهِ بَدِيلًا، بَلْ بَذَلَتْ فِي سَبِيلِهِ النَّفْسَ وَالنَّفِيسَ وَالْغَالِيَ وَالرَّخِيصَ مُنْذُ أَنْ تَوَحَّدَتْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى يَدِ الْإِمَامِ الْمُوَحِّدِ الْمُجَدِّدِ الْعَادِلِ عَبْدِالْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْفَيْصَلِ آلِ سُعُودٍ - رَحِمَهُ اللهُ وَطَيَّبَ ثَرَاهُ - وَمَشَى عَلَى أَثَرِهِ أَبْنَاؤُهُ الْكِرَامُ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللهُ رَحْمَةً وَأَئِمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ جَمِيعَ الْأَنَامِ لَا يَطْلُبُونَ الْأَجْرَ وَالْجَزَاءَ إِلَّا مِنَ اللهِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ.

حَقًّا إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيَعْجَبُ مِنَ الْمَصَائِبِ ذَاتِ الْعَجَبِ وَالَّتِي مِنْهَا قَضِيَّةُ التَّفْجِيرِ الَّتِي تَمَّتْ فِي مَدِينَةِ الرِّيَاضِ مُؤَخَّرًا؛ حَيْثُ سُفِكَتْ دِمَاءُ الْأَبْرِيَاءِ مِنْ مُسْلِمِينَ وَمُسْتَأْمَنِينَ، وَرُوِّعَ الْآمِنُونَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا، وَاسْتَنْكَرَ الْحَدَثَ الْمَشْئُومَ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالذَّكَرُ وَالْأُنْثَى فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَأَخِيرًا: فَإِنَّنِي لَأَتَسَاءَلُ مَاذَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ وَقَادَتُهُمْ وَمُنَظِّرُوهُمْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْفَسَادِ وَالْعَبَثِ، أَيُرِيدُونَ أَنْ تَسُودَ الْفَوْضَى مَحَلَّ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ؟ أَيُرِيدُونَ أَنْ تَعُودَ الْجَاهِلِيَّةُ الَّتِي طَهَّرَ اللهُ مِنْهَا هَذِهِ الْبِلَادَ بِفَضْلِهِ ثُمَّ بِجُهُودِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْحُكَّامِ الْمُخْلِصِينَ؟

أَمْ يُرِيدُونَ تَحْطِيمَ الْقُوَّةِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَةِ مَعًا حَتَّى تُصْبِحَ بِلَادُنَا لُقْمَةً سَائِغَةً لِأَعْدَاءِ اللهِ الَّذِينَ يُشْعِلُونَ نَارَ الْفِتْنَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ؟

أَمْ يُرِيدُونَ أَنْ تُقْفَلَ دُورُ الْعِلْمِ وَجَامِعَاتُهُ الَّتِي لَمْ يَعْرِفْهَا آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ حَتَّى وَضَعَ بَذَرَاتِهَا وَحِجَارَ أَسَاسِهَا الْإِمَامُ الْمُبَجَّلُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْفَيْصَل آل سُعُودٍ وَأَكْمَلَ الْبِنَاءَ شَيْئًا فَشَيْئًا أَبْنَاؤُهُ الْكِرَام احْتِسَابًا لِوَجْهِ اللهِ وَحُسْنَ رَعَايَةٍ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ بَلْ وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ عِبَادِ اللهِ؟

نَعَمْ يُرِيدُونَ كُلَّ ذَلِكَ، وَيُرِيدُونَ مِنَ الشَّرِّ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْجُبَنَاءُ الْحَاقِدُونَ الْحَاسِدُونَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْعُقَلَاءُ الْأَوْفِيَاءُ! إِنَّ نِيرَانَ الْفِتْنَةِ إِذَا شَبَّتْ عَمَّ بَلَاؤُهَا، وَعِنْدَئِذٍ يَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ الْمُبْتَلَاةِ أَنْ تَلْجَأَ إِلَى اللهِ بِصِدْقٍ فِي التَّوْبَةِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَصَرِيحِ الْإِنَابَةِ بِكُلِّ عَزْمٍ، وَأَنْ تُجَدِّدَ الْاسْتِقَامَةَ عَلَى الْحَقِّ؛ الَّتِي بِهَا يَتَحَقَّقُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَسَعَادَةُ الْآخِرَةِ وَبِتَحْقِيقِهَا تَنْدَفِعُ الشُّرُورُ الَّتِي مَنْ أَحَاطَتْ بِهِ أَوْرَدَتْهُ مَوَارِدَ الْهَلَاكِ وَسَلَكَتْ بِهِ مَسَالِكَ الْهُونِ وَالْعَطَبِ، كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً وَقَلْبًا وَاحِدًا فِي الْقِيَامِ بِالْأَسْبَابِ فِي إِطْفَائِهَا وَذَلِكَ بِمُلَاحَقَةِ أَهْلِ الْفَسَادِ حَتَّى يُؤْخَذَ عَلَى

أَيْدِيهِمْ بِالْحَقِّ وَيَذُوقُوا مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى مَا يُحَطِّمُ أَفْكَارَهُمْ وَيُدْحِضُ نَوَايَاهُمْ وَيُشَتِّتُ شَمْلَهُمْ وَيُبْطِلَ كَيْدَهُمْ، وَثِقُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! أَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَلَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، وَبِشَرْعِكَ عَامِلِينَ، وَلِنَبِيِّكَ مُتَّبِعِينَ، وَلِوُلَاةِ أُمُورِنَا نَاصِحِينَ، وَلِأَوَامِرِهِمْ فِي الْمَعْرُوفِ مُنَفِّذِينَ، وَلَهُمْ مُحِبِّينَ، وَفِي الْوَلَاءِ لَهُمْ فِي الْحَقِّ وَالْبِرِّ صَادِقِينَ، وَانْصُرْنَا جَمِيعًا عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ وَإِنْ تَسَمَّوْا بِاسْمِ الدَّعْوَةِ وَالدِّينِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

زيد بن محمد بن هادي المدخلي
إمام وخطيب جامع المكتبة السلفية الخيرية
في محافظة صامطة

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة فضيلة الشيخ/زيد بن محمد بن هادي المدخلي
درس يوم الخميس بعد الظهر الموافق: ١٤٢٥/٣/٣هـ
في جامع المكتبة السلفية الخيرية في صامطة، حيث قال:

الحمد لله رب العالمين وصلى اللّه وسلم على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فأولًا قبل الدخول في الدرس أعزّي كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة فيمن قتلوا ظلمًا من قبل طائفة الإجرام الطائفة الضالة التي كفّرت المسلمين حكّامًا ومحكومين وعلماء ومتعلّمين؛ فاستحلّوا الدماء، وخرّبوا الديار، وهتكوا الستر، ودمّروا الأموال بدون مسوِّغ من عقل أو شرع، نعم.. هذا هو الواقع، قتلوا وسفكوا الدماء: دماء من يؤمنون باللّه ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا.

ونعزِّي - على سبيل الخصوص - وُلَاة الأمور جميعًا، وعلى رأسهم: خادمُ الحرمين الشريفين ووليُّ عهده الأمين والنائبُ الثاني ووزيرُ الداخلية، وطلّابَ العلم القائمين على الإسلام والسنة، السالكين نهج السلف الصالح؛ لأنهم هم الذين يتألّمون كثيرًا ويؤمنون بقول النبيّ ﷺ: **«لَزَوَالُ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»**[1].

---

(١) رواه الترمذي: الديات، باب مَا جَاءَ فِي تَشْدِيدِ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ؛ برقم (١٣٩٥) والنسائي: =

فكم من المسلمين قتل هؤلاء المفسدون الأشرار في خلال أعوام كثيرة متوالية لا تقلّ عن ثمانية أعوام في الرياض وفي الشرقية وفي الحرم المكي بجوار الكعبة وفي كلّ منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية، لهم الأثر السيّئ من سفك الدم وتدمير الأموال وترويع الآمنين، حتى أصبح وأمسى الناس يخافون من سطوة هؤلاء الظالمين. والحقيقة أن العبد المؤمن الذي حقّق إيمانه متوكّل على للّه، ويؤمن أنّ لكل أجل كتابًا، وأنّ من مات مات بأجله؛ فإنّ الأجل لا يتقدّم ولا يتأخّر: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

لكن هؤلاء الضلال سلكوا سبيل الظالمين المفسدين؛ فلم يرقبوا في مؤمن إلًّا ولا ذمة، ولذلك فقد فعلوا من الإجرام ما فعلوا، وخرجوا على دولة الإسلام بالكلمة السيّئة والسلاح الفتّاك، وشوّهوا سمعة الإسلام عند أعدائه، قاتلهم اللّه أنّى يؤفكون.

حقًّا لقد اقترفوا جرائم متعدّدة ومتنوّعة ظلمات بعضها فوق بعض، لذا ينبغي أن يحدِّد المؤمن موقفه منهم، فلا يجوز لأحد أن يلتمسَ لهم الأعذار، ولا يسوِّغَ ما فعلوا، ولا يحسِّنَ بهم الظن، بل هم قتلة سفّاكون للدماء، وقد زادوا أيضًا على الخوارج الأوائل بكونهم يقتلون

= تحريم الدم، تعظيم الدم؛ برقم (٣٩٨٧)، من حديث عبد اللّه بن عمرو ﷺ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٢/ ٩٠٥) رقم (٥٠٧٧)]. وابن ماجه: الديات، باب التَّغْلِيظِ فِي قَتْلِ مُسْلِمٍ ظُلْمًا؛ برقم (٢٦١٩)، من حديث البراء بن عازب ﷺ. وهو في «صحيح الجامع» [(٢/ ٩٠٥) رقم(٥٠٧٨)].

أنفسهم، يبدؤون بقتل أنفسهم ثم يتعدّى فعلهم هذا إلى الآخرين ظلمًا وعدوانًا، وهو خيرٌ للآخرين الذين يُقتلَون ظلمًا وعدوانًا، وهم مقيمون على طاعة اللّه وطاعة رسوله وطاعة وليّ الأمر المسلم في المعروف؛ لهم الأجر ولهم الخير الكثير، وينبغي أن ندعو لهم دائمًا وأبدًا بالمغفرة والرحمة، وكذلك يدعى لكلّ حارس لعقيدته وللمسلمين وللوطن المسلم الآمن بفضل اللّه ثم بجهود قيادتنا الرشيدة أعزّها بالإسلام وأعزّ الإسلام بها، ثم بجهود رجال الأمن الأوفياء وغيرهم ممن يهمّه شأن الإسلام والمسلمين، يدعى للجميع دائمًا وأبدًا بالثبات والتوفيق والسداد على القيام بواجبهم حتى يأتيهم من ربهم اليقين.

وأما - هؤلاء الخوارج - فقد ثبت أن النبيّ ﷺ قال عنهم: «**كُلَّمَا طَلَعَ قَرْنٌ قَطَعَهُ اللهُ**»[1]، فهذا قرن كبير واسع الأطراف ملك الأسلحة الفتّاكة التي لم يسبق لأحد من شكلهم أن ملكها، والنهاية بحول اللّه هي النصر عليهم، والعاقبة للتقوى ﴿وما النصر إلا من عند اللّه العزيز الحكيم﴾.

* * *

(١) سبق تخريجه (ص٢٧)

الفهرس

* * *

التحفة السنية

شرح

منظومة ابن أبي داود الحائية

التحفة السنية

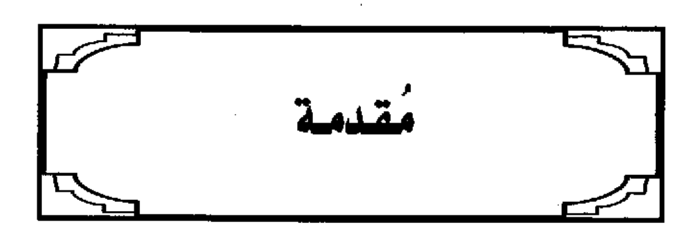


منظومة ابن أبي داود الحائية

الشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الميراث النبوي
للنشر والتوزيع





مُقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذا شرح مختصر للقصيدة السَّنية والمنظومة البهية المشهورة بـ: «**الحائية**» لناظمها الإمام المحقق، والحافظ المتقن، شيخ بغداد أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ابن صاحب السنن الإمام المعروف -رحمهما الله-.

وهي منظومة شائعة الذكر، رفيعة الشأن، عذبة الألفاظ، سهلة الحفظ، لها مكانة عالية ومنزلة رفيعة عند أهل العلم في قديم الزمان وحديثه، وقد تواتر نقلها عن ابن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ؛ فقد رواها عنه غير واحد من أهل العلم: كالآجري، وابن بطة، وابن شاهين، وغيرهم، وثلاثتهم من تلاميذ الناظم، وتناولها غير واحد من أهل العلم بالشرح.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ مُنوِّهًا بهذه المنظومة، مُبيِّنًا لأهميتها: «هذه القصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الآجري وصنَّف لها شرحًا، وأبو عبد الله بن بطة في

الإبانة ﷺ»[1].

ومِمَّن شرحها ابن البناء[2]، وشروحاتهم لا أعلم لها وجودًا[3].

ومِمَّن شرحها أيضا الإمام السَّفَّاريني، وشرحه لها مطبوع في مجلدين بعنوان: **«لوائح الأنوار السَّنية ولواقح الأفكار السُّنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية»** بتحقيق الأخ الفاضل الشيخ عبد الله البصيري -حفظه الله-.

وقد سمَّيت هذا الشرح:

« التحفة السَّنية
شرح منظومة ابن أبي داود الحائية »

وأصله دروس ألقيتها في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٤١٧هـ) كتبه عني أحد طلاب العلم فيها، وهو الأخ الفاضل يحيىٰ بن علي بن يحيىٰ، ثمَّ قمت بمراجعته والإضافة عليه وتنقيحه حسب الاستطاعة، وهو جهد المُقل، وبضاعة الضعيف المقصر، فما كان فيه من حق وصواب فهو من الله وحده، وما كان فيه من خطأ ونقص فهو بسبب ضعفي وقصوري وقلة علمي.

ولا يفوتني هنا أن أشكر كلَّ مَن قدَّم أيَّ نوع من أنواع المساعدة والتعاون في سبيل إخراج هذا الكتاب سواء في صفِّه وتنضيده، أو مراجعته وتصحيحه، أو طباعته

---

(١) «العلو» (٢/ ١٢٢٣).

(٢) ذكر ذلك ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٥).

(٣) ثم وقفت قريبًا علىٰ شرح ابن البنا للحائية مخطوطًا في المكتبة الظاهرية بدمشق.

ونشره، وأسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء.

كما أسأله أن ينفع به ويتقبله بقبولٍ حسنٍ، ويجعله لوجهه خالصًا، ولعباده نافعًا؛ إنه سميع مجيب.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.





ترجمة موجزة للناظم ابن أبي داود[1]

اسمه ونسبه وكنيته :

هو الإمام العلَّامة الحافظ شيخ بغداد، عبد الله ابن الإمام أبي داود سليمان ابن الأشعث، أبو بكرٍ السِّجستَانيُّ.

ولادته :

ولد الإمام أبو بكر بن أبي داود بسجستان في سنة ثلاثين ومائتين (٢٣٠هـ).

نشأته وطلبه للعلم :

سافر به أبوه وهو صغيرٌ من سجستان يطوف به شرقًا وغربًا بخراسان وأصبهان وبغداد والكوفة ومكة والمدينة والشام ومصر وغيرها يسمع ويكتب، واستوطن بغداد، وكان أوَّلَ شيخٍ سمع منه محمَّد بن أسلم الطُّوسيُّ، وسُرَّ أبوه بذلك؛ لجلالة محمَّد بن أسلم.

وكان ذا همة عالية منذ صغره في التحصيل والطلب، ومن دلائل هذه الهمة قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «دخلت الكوفة ومعي درهم واحد، فأخذت به ثلاثين مُدًّا باقلًا، فكنت

(١) يراجع في ترجمته: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٢١ وما بعدها).

آكل منه، وأكتب عن أبي سعيد الأشج، فما فرغ الباقلّا حتىٰ كتبت عنه ثلاثين ألف حديث ما بين مقطوع ومرسل»[1].

وكان حافظًا متقنًا، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «حدثت من حفظي بأصبهان بستة وثلاثين ألف حديث، ألزموني الوهم فيها في سبعة أحاديث، فلمَّا انصرفت وجدت في كتابي خمسة منها علىٰ ما كنت حدثتهم به»[2].

ويقول تلميذه أبو حفص بن شاهين مبينًا قوة حفظه: «أملىٰ علينا ابن أبي داود سنين، وما رأيت بيده كتابًا، إنما كان يملي حفظًا، فكان يقعد علىٰ المنبر بعدما كَبِرَ ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو معمر بيده كتاب، فيقول: حديث كذا؛ فيسرده من حفظه حتىٰ يأتي علىٰ المجلس».

بعض شيوخه:

روىٰ عن أبيه، وأحمد بن صالح، ومحمَّد بن بشَّار، وعمرو بن عثمان الحمصيِّ، وإسحاق الكوسج، وعمرو بن عليٍّ الفلَّاس، ومحمَّد بن يحيىٰ الذُّهليِّ.

بعض تلاميذه:

حدَّث عنه خلق كثيرون: منهم ابن حبَّان صاحب الصَّحيح، وأبو الحسن الدَّارقطنيُّ، وأبو حفص بن شاهين، وأبو أحمد الحاكم، وابن بطة، ومحمَّد بن عمر زنبور الورَّاق، وأبو مسلم محمَّد بن أحمد الكاتب، وعيسىٰ بن عليٍّ الوزير، وأبو القاسم بن حبابة.

---

(١) «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٦٦-٤٦٧).

(٢) «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٦٦).

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

قال الحافظ أبو محمَّد الخلَّال: «كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، ومن نصب له السُّلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو».

وقال الخطيب البغدادي: «كان فقيهًا عالمًا حافظًا»[1].

وقال ابن خَلِّكَان: «كان أبو بكر بن أبي داود من أكابر الحفاظ ببغداد، عالمًا، متفَقِّهًا عليه، إمامًا».

وقال الذهبي: «وكان من بحور العلم؛ بحيث إنَّ بعضهم فضَّله علىٰ أبيه».

وقال أيضًا: «كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين ما هو بدون أبيه، صنَّف التصانيف، وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد».

وقال أيضًا: «والرجل من كبار علماء المسلمين، ومن أوثق الحفاظ».

عقيدته:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ عقيدة السَّلف أصحاب الحديث، وليس أدلَّ علىٰ ذلك من منظومته الحائيَّة هذه، فإنَّه قرَّر فيها -علىٰ وجازتها- مجمل الاعتقاد علىٰ طريقة أهل السُّنَّة والجماعة.

وقد ثبت عنه أنَّه قال عقب هذه المنظومة: «هذا قولي، وقول أبي، وقول شيوخنا، وقول العلماء مِمَّن لم نرهم كما بلغنا عنهم، فمن قال عليَّ غير ذلك فقد كذب».

---

(١) «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٦٤).

وهي منظومة عظيمة فِي تقرير المعتقد الحق الذي كان عليه أهل السنة والجماعة، تدل علىٰ مكانة ناظمها وسعة باعه، وحسن معتقده، وطيب نصحه.

وعلىٰ كلٍّ؛ فإمامة ناظمها ومكانتُهُ معروفةٌ لدىٰ أهل العلم، فهو من أئمة السلف، وأوعية السنة، وحفاظ الحديث، ودعاة الحق والهدىٰ، متَّفَقٌ علىٰ إمامته وفضله.

مؤلفاته:

وصفه الذَّهبيُّ بأنَّه صاحب التصانيف، فمن جملة تلك التصانيف: السنن، والبعث، والمصاحف، وشريعة المقارئ، والناسخ والمنسوخ.

وفاته:

توفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببغداد في شهر ذي الحجَّة سنة ستَّ عشرةَ وثلاثمائة (٣١٦هـ)، عن سبعة وثمانين عامًا، وقيل: صلىٰ عليه زُهَاءُ ثلاثمائة ألف إنسان وأكثر، وخلَّف ثلاثة بنين: عبد الأعلىٰ، ومحمَّدًا، وأبا معمرٍ عبيد الله، وخمس بناتٍ، رحمه الله وغفر له ولجميع أئمة المسلمين.

* * *

نص المنظومة

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَىٰ	وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
٢- وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي	أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ
٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا	بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
٤- وَلَا تَكُ فِي القُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا	كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا
٥- وَلَا تَقُلِ القُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ	فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ
٦- وَقُلْ يَتَجَلَّىٰ اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً	كَمَا البَدْرُ لَا يَخْفَىٰ وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
٧- وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ	وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَىٰ المُسَبَّحُ
٨- وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا	بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ
٩- رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ	فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ
١٠- وَقَد يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ	وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالفَوَاضِلِ تَنْفَحُ
١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ	بِلَا كَيْفَ جَلَّ الوَاحِدُ المُتَمَدِّحُ
١٢- إِلَىٰ طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ	فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

١٣- يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

١٤- رَوَىٰ ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ ... أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُم وَقُبِّحُوا

١٥- وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ

١٦- وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ ... عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ بِالخَيْرِ مُنْجِحُ

١٧- وَإِنَّهُم لَلرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ ... عَلَىٰ نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ

١٨- سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ ... وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

١٩- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ ... وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ... وَفِي الفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

٢١- وَبِالْقَدَرِ المَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ ... دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ، وَالدِّينُ أَفْيَحُ

٢٢- وَلَا تُنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا ... وَلَا الحَوْضَ وَالمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

٢٣- وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

٢٤- عَلَىٰ النَّهْرِ فِي الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

٢٥- وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ ... وَقُلْ فِي عَذَابِ القَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ

٢٦- وَلَا تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا ... فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو العَرْشِ يَصْفَحُ

٢٧- وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

٢٨- وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ ... أَلَا إِنَّمَا المُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْزَحُ

٢٩- وَقُلْ: إِنَّمَا الإِيمَانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ ... وَفِعْلٌ عَلَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

٣٠- وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الوَزْنِ يَرْجَحُ

٣١- وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَىٰ وَأَشْرَحُ

٣٢- وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

٣٣- إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَىٰ خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ



الاعتصام بالكتاب والسنة ومجانبة البدع

١- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَىٰ   وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

٢- وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي   أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

بدأ النَّاظمُ منظومتَه في الاعتقاد بهذين البيتين العظيمين، وهذان البيتان فيهما الدَّعوة إلىٰ الاعتصام بالكتاب والسُّنة والتَّحذير من البدع، وقد بدأ بهما قبل بيان الاعتقاد ومسائله علىٰ طريقة أهل السُّنَّة في كتب الاعتقاد؛ حيث جرت عادتهم في الغالب علىٰ البدء بهذا الأمر، وهذا منهم تحديدٌ لمصدر التَّلقِّي في أصول الدين وفروعه؛ ليكون بناء المعتقد وقيامه علىٰ أسس سليمة وأصول صحيحة قويمة، وعندما يُحَدِّدُ العبد مصدره في التلقي، ويكون مصدره من المنبع الأساس وهو الكتاب والسنة، فإنه يرىٰ ما سواه من المنابع كدرًا، فلا يأخذ منها شيئًا، ولا يجعلها مصدرًا له في دينه وعقيدته، وإنما يتلقَّىٰ من المنبع الصافي والمَعين النقي الذي لا شائبة فيه ولا كدر، فيسلم له بذلك معتقدُهُ ويصح إيمانُهُ.

وأهل السنة مصدرهم في التلقي هو: الكتاب والسنة، بهما يأخذون، وعنهما يتلقَّون، وعليهما يُعوِّلون، لا يحيدون عنهما قِيدَ أُنْمُلةٍ؛ بل هم كما قال الأوزاعي: «ندور مع الكتاب والسنة حيث دارا» لا يُحْدِثون شيئًا من قِبَلِ أنفسهم.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «ليس الاعتقاد لي ولا لمن هو أكبر مني، الاعتقاد لله ولرسوله ﷺ».

فَمِنَ الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ، وعلينا التصديق والتسليم.

ولذا؛ نجد كتب أهل السنة تبدأ بتحديد المصدر قبل بسط الاعتقاد، وهذا نستفيده مما كان يداوم عليه رسول الله ﷺ في خطبة الجمعة، فكان دائمًا يقول في مقدِّمتها: «**أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ...**»[(١)] الحديث .

وتكراره ﷺ لذلك كلَّ جُمُعة فيه تأكيد علىٰ أهميَّة العناية بهذا المصدر وضرورة رعايته والمحافظة عليه.

قوله: (**تَمَسَّك**): التمسك في اللغة: **الأخذ** بالشيء والاعتصام به، وهذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

(**حَبْلِ اللهِ**): للعلماء فيه أقوال، وأكثرها عند المفسرين: القرآن؛ كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، وهو مراد الناظم هنا؛ لأنه ذكر السُّنة بعده، والناظم رَحِمَهُ اللهُ بقوله: (**تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ**) يخاطب السُّنِّيَّ ويقول له: ليكن مرجعك دائمًا وأبدًا كتابَ الله، ومع تَمَسُّكك به: (**اتَّبِعِ الهُدَىٰ**)؛ أي: السنة.

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

و(الهُدَىٰ) فِي الكتاب والسنة يُطلق علىٰ أمرين:

١- التوفيق والإلهام.

٢- الدلالة والبيان والإرشاد.

ومن خلال السياق يمكن معرفة المراد، فقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٧٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦].

كل هذه الآيات في هداية التوفيق، وليست لأحد غير الله تعالىٰ.

وكان النبي ﷺ يستهدي ربه فيقول في دعائه: «**اللهم إنِّي أسألك الهدىٰ والسدادَ**»[1].

فالذي يشرح الصدر ويوفق ويهدي هو الله؛ ولذلك قال سبحانه مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

والأخرىٰ: هداية الدلالة والبيان.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت:١٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولو كان من باب هداية التوفيق لَمَا استحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠].

وهذه الهداية تكون كذلك للأنبياء والصالحين والعلماء.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ في حق رسولهﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

(اتَّبِعِ الهُدَىٰ) أي: الزم طريق الهدىٰ والرشاد الذي بيَّنه ودلَّ عليه رسول الله ﷺ، فهو خيرُ هديٍ وأكملُهُ.

وفي الحديث يقول ﷺ: **«وخير الهُدَىٰ هُدَىٰ محمد»**[1]، وفي رواية: **«وخَير الهَدْي»**.

الهُدَىٰ: الدلالة والإرشاد.

والهَدْي: الطريق.

وهديهﷺ: ما بيَّنه للناس ودلَّهم عليه مما أوحىٰ إليه ربه، فهو لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ، وهديهﷺ هو خير زاد ليوم المعاد، والوقوف بين يدي رب العباد.

وفي حثِّه رَحِمَهُ اللهُ علىٰ التمسك بالسنة إبطالٌ لقول الطائفة الضالة الذين يتسمون بـ: (القرآنيين) الذين يقولون: نحن لا نأخذ إلا بالقرآن، ومن كان كذلك فهو ليس بآخذٍ حتىٰ بالقرآن؛ لأن الله قد أمر في كتابه في آيات عديدة بالأخذ بالسنة

(١) تقدم (ص١٦).

والتمسك بها؛ ولذا لا يكون العبد متمسكًا بالقرآن إلا إذا أخذ بالسنة، فلابد من الأخذ بالأمرين معًا.

قال الله تعالىٰ آمرًا أمهات المؤمنين: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

الشطر الأول من البيت وهو قوله: (**تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَىٰ**) فيه تحديدٌ لمصدر التلقي، ولمَّا حدده حذر من مخالفته فقال: (**وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا**).

وهو بهذا السياق يشير إلىٰ أصل مهم وهو: أن من تخلىٰ عن حبل الله وتخلىٰ عن السنة فهو آخذ بسبيل بدعة وضلالة؛ ولذا عرَّف بعض أهل العلم البدعة: بما ليس بسُنة.

فالناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول**: ولا تَكُ بدعيًّا بترك الكتاب والسنة، وهو بهذا يشير إلىٰ الهُوَّة العميقة التي سقط فيها المبتدعة جميعًا، وهي تركهم للكتاب والسنة، وإلا كانوا أهل سنة وجماعة، وَلَمَا كانوا أهل أهواء وبدع.

فالبدعي هو: مَن تَرك الكتاب والسنة ولم يتلقَّ عنهما، ولم يأخذ دينه منهما.

ومَنْ نَظَر إلىٰ عامة أهل البدع وجد أن منشأ ضلالهم هو عدم التمسك بالكتاب والسنة، إمَّا بالاعتماد علىٰ العقول والآراء، أو المنامات، أو الحكايات، أو غير ذلك مما جعله أهل الأهواء مصدرًا لهم في الاستدلال.

وقوله: (**لَعَلَّكَ تُفْلِحُ**) هذه نتيجة التمسك بالكتاب والسنة، واجتناب البدع.

و(**الفَلَاح**) كلمة جامعة لخيري الدنيا والآخرة، وقد قيل: لا كلمة في اللغة أجمع للخيرات من كلمة الفلاح، والفلاح لا يكون إلا بالتمسك بالكتاب والسنة

والابتعاد عن البدع، ومن لم يتمسك بالكتاب والسنة، وذهب إلىٰ شيء من تلك المصادر؛ لم يفلح.

ولهذا جاء عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال: «ما ارتدىٰ أحدٌ بالكلام فأفلح».

وعندما ناظر الشافعيُّ بِشرًا فتغلَّب عليه، وخرج بِشرٌ قال الشَّافعي: «لا يفلح».

وهذا المعنىٰ دلَّ عليه القرآن الكريم كما في أول سورة البقرة في قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:١-٥].

و(لعلَّ) عند الناظم هنا ليست للتَّرجِّي؛ لأن من اعتصم بالكتاب والسنة ففلاحه متحقِّق، إلا إن قُصِد فعلُ العبد بتحقيقه لهذا المقام وتتميمه لهذا الاعتصام.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤكدًا علىٰ لزوم التمسك بالكتاب والسنة:

٢- وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

(دِنْ) فعل أمر من الفعل: دان يدين دِينًا.

والمعنىٰ: أقم دينك علىٰ الكتاب والسنة، وآمن وأطع وامتثل ما جاء فيهما؛ بتصديق الأخبار وفعل الأوامر وترك النواهي.

وقوله: (**وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ**):

السُّنن: جمع سُنَّة، والمراد: الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ الثابتة عنه؛ فقوله: (**أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ**) هذا تقييد وإرشاد إلىٰ أن السنن لابد أن تصح حتىٰ يؤخذ بها وتكون مقبولة، فإن صحَّت سواء بطريق التواتر أو الآحاد فهي حُجَّة وعمدة في أمور الدين كلِّها؛ العقيدةِ وغيرها.

قوله: (تَنْجُو) لم يذكر من أي شيء؛ ليعم النجاة من كل شر وبلاء في الدنيا والآخرة.

وقوله: (تَرْبَح) هذا زيادة علىٰ النجاة، فالنجاة رأس المال وفوقه أرباح متعدِّدة بحسب قوَّة اعتصام المرء بالكتاب والسنة؛ أرباح دنيويَّة وأرباح أخرويَّة.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال في معنىٰ هذه الآية: «تكفَّل الله لِمَن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألَّا يضلَّ في الدنيا ولا يشقىٰ في الآخرة».



صفة الكلام

٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

٤- وَلَا تَكُ فِي القُرآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

٥- وَلَا تَقُلِ القُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ ... فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

لعلَّ الناظم بدأ بهذه الصِّفة قبل غيرها من الصفات لمناسبة السياق؛ وذلك أنه بدأ في البيتين الأولين بذكر التمسك بالكتاب والسنة، فلما ذكر وجوب التمسك بالقرآن، بدأ بذكر أبيات فيها ذكر عقيدة أهل السنة في القرآن، والرد علىٰ الذين خالفوا الحق وباينوه وجانبوا معتقد أهل السنة فيه.

فهذه الأبيات فيها بيانٌ موجز لمعتقد أهل السنة في هذه المسألة، وردٌّ علىٰ أصناف من أهل البدع، وهم طوائف عديدة، أشار الناظم إلىٰ بعضهم، فبدأ رَحِمَهُ اللَّهُ بالكلام في هذه المسألة بقوله: (**وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا**).

(**قُلْ**) الخطاب لصاحب السنة المتمسك بالكتاب والسنة؛ أي: قل مُعتَقِدًا مؤمنًا بهذا الأمر غير شاكٍّ فيه ولا متردِّدٍ؛ لأن القول إذا أُطْلِقَ فإنَّه يشمل قول القلب واللِّسان، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٣٦]؛ أي: قولوا ذلك بقلوبكم إيمانًا واعتقادًا وبألسنتكم نطقًا وتلفُّظًا.

(**غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا**) وهذا فيه إثبات أمرين يتعلقان بصفة الكلام:

الأمر الأول: أن الكلام صفة لله، فالقرآن كلام الله وليس كلام أحد من المخلوقين، وإضافته إلىٰ الله من باب إضافة الصفة إلىٰ الموصوف، بخلاف المعتزلة الذين قالوا هو من باب إضافة المخلوق إلىٰ الخالق.

والمضافات إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ نوعين: مضاف إلىٰ الله من باب إضافة الصفة إلىٰ الموصوف، مثل: سمع الله، وبصر الله، وقدرة الله، وكلام الله، وعلم الله.

وضابطه: ما إذا كان المضاف وصفًا لا يقوم إلَّا بموصوف.

ومضاف إلىٰ الله من باب إضافة المخلوق إلىٰ الخالق مثل: عبد الله، وأمة الله، وناقة الله، وبيت الله.

وضابطه: ما إذا كان المضاف عينًا قائمًا بنفسه.

وهكذا الشأن فيما يقال فيه: (من الله) فقد يكون منه وصفًا، وقد يكون منه خلقًا.

فقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣]. القول وصف للربِّ سبحانه ونعت من نعوته.

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] ما في السموات وما في الأرض جميعًا هو من الله خلقًا وإيجادًا.

وفي هذا الباب ضل طائفتان:

* **المعتزلة**: حيث جعلوا الجميع إضافته إلىٰ الله إضافة خلق وإيجاد؛ ليصلوا إلىٰ مبتغاهم وهو القول بأن كلام الله مخلوق.

* **وغلاة الصوفية**: حيث جعلوا الجميع إضافته إلىٰ الله إضافة وصف؛ ليصلوا إلىٰ مبتغاهم وهو القول بالحلول ووحدة الوجود، تعالىٰ الله عما يصفون!

والحق وسط بين ذلك.

والحاصل: أنَّ إضافة الكلام إلىٰ الله ﷻ من باب إضافة الصفة إلىٰ الموصوف.

وعندما يقال (كلام مليكنا) هذا يتضمن الأصل في الصفات، وهو أن ما يضاف إلىٰ الله من الصفات يثبت له علىٰ وجه يليق به، وهذا تضمنه قوله (كَلَامُ مَلِيكِنَا)؛ أي: هي صفة لله تليق به ولا تشبه صفات المخلوقين، فهو سبحانه له الكمال في ذاته وصفاته.

ولذا قال بعض السلف: «إذا أردت أن تعرف الفرق بين كلام الله وكلام المخلوقين فهو كالفرق بين الخالق والمخلوق».

والقاعدة عند أهل العلم: أنَّ الإضافة تقتضي التخصيص، فعندما يضاف الكلام إلىٰ الله فإنه يخصه ويليق بجلاله وكماله، وعندما يضاف الكلام إلىٰ المخلوق فيخصه ويليق بعجزه ونقصه، ولا يلزم من اتفاق الشيئين في الاسم أن يتفقا في الحقيقة والمسمىٰ؛ هذا بين المخلوق والمخلوق، فكيف بين المخلوق والخالق؟!

الأمر الثاني: قوله: (غَيْر مَخْلُوقِ)، وهذا فيه ردٌّ وإبطال لقول من قال: إن كلام الله مخلوق من المخلوقات التي أوجدها الله بقدرته، فالناظم بيَّن بُطلان هذا المعتقد بقوله: (غَيْر مَخْلُوقِ)، والقول بخلق القرآن هو معتقد الجهمية والمعتزلة وغيرهم.

والجهمية يُصرِّحون بهذا ويقولون: القرآن مخلوق، والكلام مخلوق، ولا يقولون هو كلام الله، ولهذا حاول شيخهم تحريف قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]. إلىٰ نصب لفظ الجلالة؛ فرارًا من إضافة الكلام إلىٰ الله.

وأما المعتزلة؛ فيضيفون الكلام إلىٰ الله، ولكنهم يجعلونه من باب إضافة المخلوق إلىٰ الخالق.

والأشاعرة والكُلَّابية أيضًا يقولون بخلق القرآن، ولكن لا يُصرِّحون بذلك، ويقولون: الكلام نوعان: كلام نفسي ليس بحرف ولا صوت، وهذا يضيفونه إلىٰ الله، أما الكلام اللفظي الذي يشتمل علىٰ الحرف والصوت والذي هو القرآن فهو مخلوق، وهو عبارة أو حكاية عن كلام الله، وليس كلام الله، بل هو مخلوقٌ من جملة سائر المخلوقات، وبذلك يلتقون مع الجهمية.

فالناظم بقوله: (غَيْرِ مَخْلُوقِ) أبطل جميع هذه المقالات.

فالقرآن كلام الله حقيقة، وهو بحرف وصوت سمعه جبريل من الله ﷻ، وألفاظه ومعانيه كلام الله، ليس كلام الله ألفاظه دون معانيه، ولا معانيه دون ألفاظه.

وقوله: (مَلِيكِنَا) فيه إثبات صفة الملك لله، فالله مالك الملك، والملك كله لله.

قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦].

والمخلوق إذا ملك شيئًا فإنما هو بتمليك الله له، فالله مالك الدنيا والآخرة، والملك من معاني الربوبية؛ لأنَّ الربوبية لها معانٍ منها: السيد، والمطاع، والملك.

قولُهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (بِذَلِك): الإشارة هنا إلىٰ ما تقدم في الشطر الأول من بيان المعتقد الحقِّ في كلام الله.

(دَانَ الأَتقِيَاء): أي: آمنوا واعتقدوا ذلك، و(الأَتقِيَاء): دانوا بأن القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق، فهذا معتقدهم الذي لا يحيدون عنه، والنقول عنهم في ذلك كثيرة.

فاللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَقَدَ فصلًا فِي (شرح الاعتقاد) في بيان أن كلام الله غير مخلوق، وسمَّىٰ أكثر من خمسمائة نفس من هؤلاء، وبعضهم يروي عنهم ذلك بالإسناد، كلهم يُقرِّر أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: إنه مخلوق؛ فهو

كافرٌ، والنقول عنهم في هذا المعني كثيرة جدًّا.

وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَقَـد تَقَلَّـد كُفْـرَهُم خَمْـسُونَ فِـي ... عَـشْرٍ مِـن العُلَمَـاءِ فِـي الـبُلْدَانِ

واللالكائـيُّ الإمَـامُ حَكَـاهُ عَـنْـ ... ـهُم بَـل قَـدْ حَكَـاهُ قَـبْلَهُ الطَّبَرَانِـي

قوله: (الأَتقِيَاء): اختيار هذه الصفة لأهل السنة في غاية الجودة والدقة، فالتقوىٰ: هي من الوقاية بأن يجعل بينه وبين ما يخشاه وقاية تقيه، فتقوىٰ الله: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضب الله وسخطه وقاية تقيه بفعل الأوامر وترك النواهي.

ولهذا أفضل ما فُسِّرت به التقوىٰ قول طلق بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «التقوىٰ: أن تعمل بطاعة الله علىٰ نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله علىٰ نور من الله تخاف عقاب الله».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا من أحسن ما عُرِّفَت به التقوىٰ».

وقال الذهبي في ترجمته: «وقد أحسن وأجاد».

وكذلك شيخ الإسلام أشاد بهذا التعريف، وكذا ابن رجب.

فهؤلاء الأعلام -أعني أئمة أهل السنة- اتقوا الله بلزوم السنن والطاعات وبترك النواهي والمحدثات، وأعظم ما تركوه وابتعدوا عنه الكفر والبدع والمحدثات والتي منها القول بخلق القرآن، وإضافةً إلىٰ ما فيه من كفر وضلال فقد ترتب عليه من المفاسد والأخطار عند من قال به شيء كثير؛ ولذلك ترتَّب علىٰ قول الجهمية به امتهانٌ لكلام الله، وعدم مبالاة به؛ لأنه بزعمهم مخلوق من المخلوقات.

(وَأَفْصَحُوا)؛ أي: إضافة إلىٰ أنهم دانوا بذلك واعتقدوه بقلوبهم فقد أفصحوا به وصرحوا به وأبانوه وقرَّرُوه في المجالس ووضَّحُوه، وانتصروا له،

ولاسيما عندما يعلن أهل الباطل باطلهم ويصرحون بضلالهم.

ولهذا يُنقل عن أبي حامد الإسفراييني أنه كان كلَّ جمعة يقف ويقول: «القرآن كلام الله غير مخلوق خلافًا لقول الباقلاني، وذلك حتىٰ لا يظن من يأتي بعدنا أننا علىٰ معتقده»؛ وذلك لأنه كان في عصره، نقل ذلك عنه شيخ الإسلام في «شرح العقيدة الأصفهانية»[1].

وهذا -أي: الإفصاح- قد مضىٰ عليه أهل السنة في تآليفهم، فما تجد كتابًا مؤلفًا في الاعتقاد إلا وفيه التصريح بذلك والإفصاح به، بل أفردوا في ذلك كُتبًا ومصنَّفاتٍ.

قال:

٤ - وَلَا تَكُ فِي القُرآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

بعد أن أنهىٰ الناظم الكلام علىٰ المسألة الأولىٰ بدأ يرد علىٰ طائفة من طوائف الجهمية، وهم الواقفة.

معلوم أنَّ مذهب أهل السنة هو أنَّهم يفصحون ويصرحون بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومذهب الجهمية يصرحون فيه بضد ذلك، وهو أن القرآن مخلوق، ونشأ علىٰ إثر عقيدة الجهمية هذه بدعة الواقفة، فنشئوا متأثرين ببدعة الجهمية الذين قالوا القرآن مخلوق، وبدءوا ينشرون ذلك بين الناس، وأخذوا يُثيرون الشُّبه، وأهل السنة يردُّون عليهم.

ففي هذه الأجواء نشأ الواقفة الذين تأثروا بالجهمية -وهم قوم شُكَّاك- فقالوا: القرآن كلام الله ولا يقال مخلوق ولا غير مخلوق، وإنما قالوا ذلك لتأثرهم

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص٣٦).

ببدعة الجهمية ودخولها في نفوسهم، ولذلك لم يستطيعوا الإفصاح بالمعتقد الحق وهو أن القرآن غير مخلوق.

ولذا قال الإمام أحمد: «الواقفة جهمية».

والناظم أيضًا يقول ذلك، فقد وصفهم بأنهم (**أَتْبَاعٌ لِجَهْم**).

وبعض أهل العلم قال: «هم شر من الجهمية».

ووجهه: أن معتقد الجهمية مصرح فيه بالباطل، وهو أن القرآن مخلوق، فنقده وبيان فساده للناس بالحجج والبراهين سهل، ولكن لَمَّا يأتِ الواقفة ويُقَرِّرُون مذهبهم علىٰ أنَّه من باب الورع ويقفون في هذه الصفة، فهذا أخطر ما يكون علىٰ العوام، فيظنُّون أنَّ فِي قولهم شيئًا من الوسطية والاعتدال، والواجب الإفصاح بالمعتقد الحقِّ الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة.

وعدمُ الإيمان به أو التوقُّف والتردُّد كُلُّه زيغٌ وَضَلَالٌ، والله يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات:١٥]. والتوقف عن الإيمان بالحقِّ نوعٌ من الشكِّ والرَّيْبِ.

(**جَهْم**): هو ابن صفوان، رأس من رءوس الجهمية، وقد ذكر أهل العلم أن منشأ هذا التعطيل: أن الجهم أخذه عن الجعد بن درهم، عن أبان بن سمعان، عن طالوت ابن أخت لبيد، عن لبيد بن الأعصم اليهودي، وهو أخذ ذلك عن يهود اليمن، هذه هي سلسلة هذا الضلال متَّصلةٌ باليهود، ومن هنا يُعْلَم أن أساس التعطيل هم اليهود، كما أنَّهم هم أساس الرافضة.

(**أَسْجَحُوا**): أَسْجَح بالشيء؛ أي: لانت به نفسه، فأتباع جهم لانت نفوسهم ومالت قلوبهم إلىٰ هذا المعتقد، وفي نسخة (**أَسْمَحُوا**) وهو بمعناه؛ أي: سمحت نفوسهم باعتقاد هذا القول وتقريره رغم فساده وبطلانه.

ثم قال: (وَلَا تَقُلِ القُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ) أي: لا تقل: قراءتي بالقرآن مخلوقة، وهذا فيه الردُّ علىٰ بدعة أخرىٰ غير بدعة الواقفة، أَلَا وهي بدعة اللفظية الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، أو تلاوتي بالقرآن مخلوقة، أو قراءتي بالقرآن مخلوقة.

ومنشأ هذه البدعة هي بدعة الجهمية نفسها، وشبهتهم هي شبهة الجهمية؛ لأن اللفظ والتلاوة والقراءة كلها مصادر تحتمل أحد أمرين:

* تحتمل الملفوظ والمتلو والمقروء، وهو كلام الله، وهذا غير مخلوق.

* وتحتمل حركة اللسان والشفاه والحنجرة وصوت الإنسان؛ وهي مخلوقة.

فعندما يقال: «لفظي بالقرآن مخلوق» يحتمل أحد هذين.

فاللفظية هم -كما قرر أهل العلم- جهمية، وإنشاؤهم لهذه البدعة إنما كان لتقرير مذهب الجهم من طريق آخر ومسلك آخر؛ للتلبيس علىٰ الناس، فهو عندما يقول: «لفظي بالقرآن مخلوق» يرجع إلىٰ قول الجهمية القائلين بخلق القرآن.

ولذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره: «اللفظية جهمية»؛ أي: مَن قال: اللفظ بالقرآن مخلوق؛ فهو قائل بقول الجهم.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومَن قال غير مخلوق؛ فهو مبتدع»؛ لأنَّ قوله: «لفظي بالقرآن مخلوق» يحتمل أمرين:

أحدهما: مخلوق، وهو حركة اللسان.

والآخر: غير مخلوق، وهو كلام الله، وباطل أَنْ يُقال إنَّ كلامه سبحانه مخلوقٌ.

وعندما يقول: «لفظي بالقرآن غير مخلوق» يحتمل أيضًا أمرين:

أحدهما: حركة اللسان، وباطل أَنْ يُقال هذا غير مخلوق.

والآخر: المتلو المقروء، وهذا غير مخلوق.

ولذا؛ كان الصواب التفصيل، فإن قصد به الملفوظ فهو كلام الله غير مخلوق، وإن أراد حركة اللسان والحنجرة وصوت العبد فهو مخلوق، فالصوت صوت القاري والكلام كلام الباري، والكلام إنما يُضاف إلىٰ مَن قاله ابتداءً لا إلىٰ مَن قاله إبلاغًا وأداءً.

ولذا قال الإمام أحمد: «القرآن كلام الله حيثما توجه»؛ أي: سواءً حُفظ في الصدور، أو كُتب في السطور، أو تُلي بالألسن، أو سُمع بالآذان.

والعلة في نهي الناظم عن قول اللَّفظية هي المُبيَّنَة في قوله:

(**فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ**)، وهذا معنىٰ قول أهل السنة: القرآن كلام الله ألفاظه ومعانيه ليس كلام الله اللفظ دون المعنىٰ ولا المعنىٰ دون اللفظ، واللفظ به يُوَضِّح المعنىٰ، ويُبيِّن المراد، ويُجَلِّيْ المقصود.



إثبات رؤية الله تعالى

٦- وَقُـلْ يَتَجَلَّـىٰ اللهُ لِلخَلْـقِ جَهْـرَةً ... كَمَا البَدْرُ لَا يَخْفَىٰ وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

٧- وَلَـيْسَ بِمَوْلُـودٍ وَلَـيْسَ بِـوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَـهُ شِـبْهٌ تَعَالَـىٰ المُـسَبَّحُ

٨- وَقَـدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ هَـذَا وَعِـنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

٩- رَوَاهُ جَرِيـرٌ عَـنْ مَقَـالِ مُحَمَّـدٍ ... فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

الرؤية حقٌّ دلَّ عليها الكتاب والسُّنة المتواترة، وأجمع عليها المسلمون، ولا ينكر الرؤية إلا الجهمية الضُّلَّال ومَنْ تأثر بهم.

وقد قال بعض السلف: «مَن أنكر رؤية الله حريٌّ أن يُحرَم منها»[(١)].

(**وَقُلْ**) الخطاب مُوجَّه لصاحب السُّنَّة ومن يريد اتباع سُنة النبي ﷺ ولزوم أمره واقتفاء أثره، وأما صاحب الهوىٰ والآراء والمنطق وغير ذلك فإنه لا يقيم للسنة وزنًا، ولا يرفع بها رأسًا، ولا يعبأ بها.

قل يا صاحب السنة غير متردد ولا شاك: (**يَتَجَلَّىٰ**) التجلِّي هو الظهور والبيان؛ أي: يظهر (**اللهُ لِلخَلْقِ**) والمراد بالخلق: المؤمنون، فهم الَّذين يُنْعِمُ عليهم سبحانه يوم القيامة برؤيته، ويكرمهم بالنظر إليه، بل إنَّ رؤيتهم له سبحانه هي أجلُّ مقاصدهم،

---

(١) انظر: «رد الدارمي علىٰ بشر المريسي» (ص١٩).

وأعظم غاياتهم وأهدافهم، ومن دعائهم:

«اللهم إنَّا نسألك لذة النظر إلىٰ وجهك، والشوق إلىٰ لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة». وهو دعاء ثابت عن النبي ﷺ[1] من حديث عمار بن ياسر -رضي الله تعالىٰ عنه-.

أمَّا الكفار فلا يرونه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]. ولئن كان حجبُ الكفار عن رؤية الرب العظيم نوعًا من العقوبة، فإنَّ تمكين المؤمنين منها أجلُّ هبة وأعظم عطيَّة.

(جَهْرَة) أي: عيانًا جهارًا ليس بينهم وبين الله ما يحجبهم عنه.

(كَمَا البَدْرُ لَا يَخْفَىٰ) البدر: هو القمر ليلة الرابع عشر عندما يمتلئ نورًا، وعندما لا يكون بيننا وبينه سحاب، فإن المؤمنين يرونه جميعًا ولا يحتاجون إلىٰ تضامٍّ وتزاحمٍ لرؤيته شأن الأشياء الدقيقة، وكذلك لا يتضارُّون في رؤيته؛ فلا يحصل لأحد ضرر في رؤيته، وكل ذلك يؤكد أن الرؤية تكون حقيقية وبيسر وسهولة، فإن الشمس والقمر يراهما الناس بأبصارهم رؤيةً حقيقيةً دون عنت أو مشقة.

والنبي ﷺ قال: **«إنكم سترون ربكم كما ترون القمر...»**[2].

والكاف للتشبيه، ولكن ليس التشبيه هنا للرب بالقمر أو الشمس -تعالىٰ الله عن ذلك- وإنما التشبيه هنا للرؤية بالرؤية؛ لأنَّ الكاف دخلت علىٰ الرؤية وهي فعل العبد، فالتشبيه للرؤية بالرؤية، وليس للمرئي بالمرئي؛ أي: كما أن رؤية القمر تكون للناس حقيقيةً عيانًا بأبصارهم، فكذلك رؤية الله تكون حقيقيةً عيانًا بأبصارهم.

---

(١) أخرجه النسائي في سننه برقم (١٣٠٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» برقم (١٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٥٤)، ومسلم برقم (٦٣٣).

(كَمَا) الكاف للتشبيه، و(مَا) زائدة؛ أي: كالبدر.

(وَرَبُّكَ أَوْضَحُ) القمر مخلوق من مخلوقات الله، ومع ذلك يراه الناس ليلة البدر عيانًا بيانًا بدون ضيم وضرر ونحو ذلك، فكيف بالرب الخالق تعالىٰ؟! فإنَّه أوضح من كل شيء، سيراه المؤمنون بأبصارهم عيانًا علىٰ الحقيقة.

قوله: (وَرَبُّكَ) أي: أيها المخاطَب بهذا النظم، وهو رب الخلائق أجمعين، ربَّاهم بنعمه لا ربَّ لهم سواه ولا خالق لهم غيره.

وربوبيته لخلقه نوعان: عامَّة وخاصَّة.

فأمَّا العامَّة: بالخلق والرِّزْقِ والإنعام والصِّحة، ونحو ذلك من الأمور التي هي عامَّة في المؤمنِ والكافرِ والبَرِّ والفاجرِ.

وأمَّا الخاصَّة: فهي التربية علىٰ الإيمان والهداية للطاعة والتوفيق للعبادة، وهذه مختصة بالمؤمنين.

قال:

٧- وَلَـيْسَ بِمَوْلُـودٍ وَلَـيْسَ بِـوَالِدٍ ... وَلَـيْسَ لَـهُ شِـبْهٌ تَعَالَـىٰ المُـسَبَّحُ

هذا البيت ذكره الناظم بعد إثبات الرؤية لله؛ ليبين به أنَّ إثباتها حقيقةً لا يستلزم تشبيه الله بالمولود أو بالوالد، ولا يستلزم التَّشبيه؛ لأنَّ أهل السنة يُثبتون الصِّفات علىٰ وجه يليق بالله تعالىٰ، والإضافة تقتضي التخصيص، فالصفة التي تضاف إلىٰ الله ليست كالصفة التي تضاف إلىٰ المخلوق، فعندما تضاف الصفة إلىٰ الله فإنها تليق بكمال الله، وإذا أضيفت إلىٰ المخلوق فإنها تليق بضعفه ونقصه.

ومن هنا يُعْلَمُ أن مقالةَ التعطيل أساسها التمثيل، فالمعطل بلغ درجة التعطيل لَمَّا مَثَّلَ، فلم يفهم من الصفة التي أضيفت إلىٰ الله إلا عين الصفة التي يعلمها من

المخلوق، فكل معطل سائر تحت هذا الوهم الفاسد.

كما قال أحد هؤلاء يصف المتكلمين: «أناس مضوا تحت التوهم يظنون أن الحق معهم ولكن الحق وراءهم»، هذا ذكره الذهبي عن أبي حيان التوحيدي، ثم قال: «وأنت حامل لوائهم».

يقولون: لو أثبتنا الرؤية لله حقيقةً، لأثبتنا له الجسمية ولشبهناه بالمخلوق الحادث؛ لأن الرؤية لا تقع إلا علىٰ ذي جسم، وهذا قياس فاسد، حيث قاسوا الله بالمخلوق، ولهذا قال السلف: «ولا يقاس بخلقه».

فالناظم جاء بهذا البيت ليُزِيلَ التوهم الذي قد يأتي، وهذا التوهم جاء به الجهمية، وأما قبلهم فلا وهم، فإن الصحابة لم يخطر ببالهم شيء من ذلك.

أي: مع أنه يُرىٰ يوم القيامة حقيقةً بالأبصار (**لَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدِ**) أي: لم يتفرع عن غيره ولم يتفرع عنه غيره، وهذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٣-٤].

(**وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ**) أي: الله ﷻ، والشبه هو: المثيل والنظير، والله لا شبيه له ولا مثيل ولا نظير لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤].

وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

ويؤخذ من هذا: أن إثبات الصفات لا يقتضي التمثيل، فإنَّ التمثيل أمر آخر غير إثبات الصفات.

يقول **الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ: «المشبه: الذي يقول يد كيدي وسمع كسمعي ... والله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾».

فالذي يُثبت الصفات لله على الوجه الذي يليق به ليس بمشبه، وإنما المشبه الذي يشبه صفات الله بصفات خلقه، وأهل السنة مطبقون على ذم هؤلاء المشبهة، وأنَّ مقالتهم مقالة كفر وضلال.

والمعطلة يرمون أهل السنة بالتشبيه، إما لأنهم لم يفهموا مقالتهم، أو أنهم أصحاب أغراض سيئة وقصد فاسد.

(**تَعَالَىٰ**) أي: عن الشبيه والنظير؛ أي: ارتفع قدره وجل شأنه وتعاظم أن يكون له شبيه أو نظير، فهو ينزه الله عن ذلك.

والتعالي من العلو وهو الرفعة، وهو ثابت لله ذاتًا وقَدْرًا وقهرًا.

(**المُسَبَّحُ**): أي: المنزَّه؛ لأن التسبيح في اللغة: التنزيه، وهذا التسبيح عبادة مقرِّبة لله، ورد الأمر بها في مواطن كثيرة، بل جاء الترغيب والحث على الإكثار من التسبيح في الأوقات المختلفة، ورُتِّب على القيام به الأجور العظيمة والثواب الجزيل.

وفي الحديث: «**من قال حين يصبح: سبحان الله وبحمده مائة مرة؛ غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر**»(١).

وهو كلام حبيبٌ إلى الرحمن كما في الحديث: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٦)، ومسلم برقم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الحديث: «**أحب الكلام إلىٰ الله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»(١).

وتسبيح الله يكون عمَّا لا يليق به.

وأما المعطلة فيفهمون من التسبيح تنزيه الله عن الصفات، ولذا يقولون: سبحان الله المنزَّه عن الصفات.

قال أحد أهل العلم: «فانظروا إلىٰ تسبيح الجهمية كيف أدَّىٰ بهم إلىٰ التعطيل»، فهذا التسبيح أدىٰ بهم إلىٰ هذا الزَّيغ والضَّلال.

ولا يجوز لمسلم أن يسبح الله عما جاءت به المرسلون، وإنما يجب تسبيح الله عما جاء به أعداء الرسل المخالفون لهم.

ولذا قال تعالىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي: أعداء الرسل ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات:١٨٠-١٨١].

نزَّه نفسه عما يصفه به أعداء الرسل؛ لأنه يتضمن التشبيه والتعطيل، وسلم علىٰ المرسلين؛ لسلامة ما قالوه في حق الله من النقص والعيب.

ومن أسماء الله (القدوس والسلام) وهما من أسماء التنزيه، فيُنَزَّه الله عن أن يوصف بصفات نقص أو أن يوصف بالنقص، ويُنزَّه سبحانه عن أن يُشبه أحدًا من خلقه أو يُشبهه أحدٌ من خلقه، ويُنزَّه سبحانه عن أن يوصف بما لا يليق به، أمَّا أوصافه سبحانه اللائقة بجلاله وكماله فليس من التسبيح في شيء نفيها وتعطيلها.

وقال: (**وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ...**).

(**قَدْ**) عندما تدخل علىٰ المضارع فإن لها أحوالًا بحسب السياق، أحيانًا تكون

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧) من حديث سمرة بن جندب ﷺ.

للتقليل، وأحيانًا للتكثير، وأحيانًا للتحقيق والتأكيد، وهنا المراد التحقيق والتأكيد، فيقول: حقيقة مقالة الجهمية إنكار رؤية الله.

ولذا يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من ينكر الرؤية فهو جهمي».

(**وَالجَهْمِيُّ**) أي: المتأثر بالجهم بن صفوان شيخ الطريقة وأستاذ القوم.

(**هَذَا**) أي: رؤية الله، ولما ذَكَرَ مقالة الجهمي بدأ بالرد عليهم فقال: (**وَعِنْدَنَا**) أي: نحن معاشر أهل السنة والجماعة (**بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا**) أي: بتصديق الذي قلناه وهو إثباتنا للرؤية (**حَدِيثٌ مُصَرِّحُ**) ليس بالتخرصات والآراء، بل بالنصوص من الكتاب أو السنة.

(**مُصَرِّحُ**) أي: صريح الدلالة علىٰ إثبات الرؤية، وفي نسخة أخرىٰ: (**حَدِيثٌ مُصَحَّحُ**) أي: صحيح ثابت عن رسول الله ﷺ، والمعنيان يكمل أحدهما الآخر، فالحديث في الرؤية مُصَحَّح مِن قِبَلِ الأئمة، بل هو متواتر، نصَّ علىٰ ذلك غير واحد من أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الحديث من أصح الأحاديث علىٰ وجه الأرض المتلقاة بالقبول، المُجْمَع عليها عند العلماء بالحديث وسائر أهل السنة»[1].

ومُصَرِّح بإثبات الرؤية لله سبحانه، فلم يَبْقَ لمبطلٍ متعلَّقٌ.

(**رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ**) أي: رواه الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عن قول النبي محمد ﷺ، وهو في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة.

روىٰ البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «كنا جلوسًا

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٤٢١).

عند النبيﷺ إذ نظر إلىٰ القمر ليلة البدر، فقال: **أما إنَّكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألَّا تُغلَبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا»**(1). يعني: الفجر والعصر.

هذا ما أشار إليه الناظم هنا، وحديث الرؤية حديث متواتر، رواه عن النبي ﷺ غير واحد من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وأبو موسىٰ الأشعري، وجابر بن عبد الله وغيرهم رضي الله عنهم.

والواجب الوقوف عند الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ سواء منها المتواتر أو الآحاد، لكنَّ أهل التعطيل لا يقيمون لها وزنًا ولا يرفعون لها رأسًا، بل يشمئزون من ذكرها ويتكلَّفُون في دفعها وردها.

وبعد أن ردَّ الناظم علىٰ الجهمية قال:

(فَقُلْ) أي: يا صاحب السنة.

(مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ) أي: رسول اللهﷺ، لا مثل ما يقوله الجهمية المعطلة النفاة.

(فِي ذَاكَ) أي: في الرؤية، أو في صفات الله عمومًا، فكأن الناظم هنا يعطي منهجًا دقيقًا هو سبيل النجاة؛ أن يقول السني في صفات الله كما قال النبيﷺ.

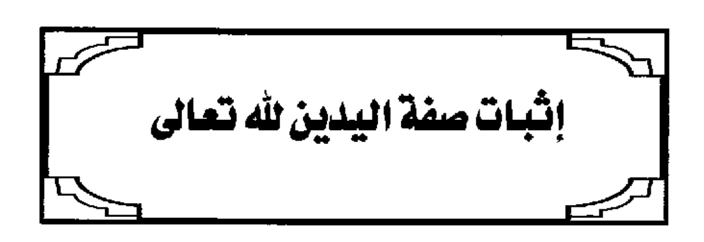
وهذا معنىٰ ما قاله الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نَصِفُ الله بما وَصَفَ به نفسه، وبما وَصَفَهُ به نبيهﷺ، لا نتجاوز القرآن والحديث».

(تَنْجَحُ) أي: بذلك يكون نجاحك، والنجاح هو: الظفر ونيل المقصود، وهو هنا: الظفر بفضل الله، وتحقيق المعتقد الحق، والفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

* * *

---

(1) تقدم (ص٣٢).



إثبات صفة اليدين لله تعالى

١٠- وَقَد يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

هذا البيت عُقِدَ لإثبات هذه الصفة العظيمة -صفة اليدين لله- علىٰ وجهٍ يليق بجلاله، وأهل السنة يثبتون اليدين لله حقيقة علىٰ الوجه اللائق بكمال الله وجلاله، دون تشبيهٍ بيدي المخلوق، بل يقولون: لله يدان حقيقيتان لا تشبهان يدي المخلوق.

وهذا شأنهم في إثبات جميع الصفات، فهم عند الإثبات يَحْذَرُونَ من مُنْزَلَقَين خطيرين، هما: التعطيل والتمثيل، فمنهجهم في الصفات يقوم علىٰ أصلين هما: الإثبات بلا تمثيل، والتنزيه بلا تعطيل.

فأهل السنة يثبتون اليد لله بلا تمثيل لها بصفة المخلوق، وينزهون الله عن النقص، ولكن دون تعطيل له عن إثبات اليد الحقيقية اللائقة بجلاله وكماله.

ويضاد هذا المنهج الذي يقوم عليه مسلك أهل السنة في إثبات الصفات منهجان منحرفان:

الأول: إثباتٌ بتمثيلٍ، وهم المشبهة الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه، وأهل السنة ليسوا مشبهةً؛ إذ التشبيه منهج ضلال وكفر؛ لأنَّ مَن يقول عن ربه: إن يده كَيَدِهِ، وسمعه كسمعه، وبصره كبصره؛ فهو إنما يَعْبُدُ صَنمًا من الأصنام ووثنًا من الأوثان.

الثاني: تنزيهٌ بتعطيلٍ، وهم المعطلة الذين يجحدون صفات الله وينفونها

بحجة تنزيه الله عن مماثلة خلقه، وهم أقسام كثيرة:

منهم: مَن يُعَطِّلُ الأسماء والصفات.

ومنهم: مَن يُعَطِّلُ الصفات دون الأسماء.

ومنهم: مَن يُعَطِّلُ بعض الصفات دون بعض.

ومعطِّل الصفات عابد للعدم.

ولذا قيل: «المُشبِّه يعبدُ صنمًا، والمعطِّل يعبد عدمًا».

وهذان المنهجان وما تفرع عنهما يجمعهما وصف جامع وهو الإلحاد في أسماء الله وصفاته، وقد أمَرَنا الله تعالىٰ أن نَذَرَ هذا المنهج وتوعد أهله بأشد الوعيد في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

الممثلة يقولون في اليد: يد كأيدينا، فلم يثبتوا لله يده التي تليق به.

والمعطلة يقولون: يلزم من إثباتها التمثيل فلا نثبت لله يدًا حقيقةً.

ولهذا؛ فكُلُّ معطل ممثل، وكُلُّ ممثل معطل.

«**كلُّ معطل ممثل**»؛ لأن تعطيله للصفات إنما قام علىٰ ساق التمثيل، فما جحد اليد إلا لأنَّه توهَّم أول الأمر أن إثباتها لله حقيقةً يلزم منه التشبيه، فنفىٰ عن الله اليد، فهو عندما يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥]. لا يفهم منه إلا يد المخلوق، وهذا يدفعه إلىٰ تنزيه الله، ولا سبيل عنده إلىٰ تنزيه الله إلا بنفي اليد عن الله، وعلىٰ هذا مضىٰ عامة معطلة الصفات، يعطلونها؛ لأنهم لا يفهمون من المضاف إلىٰ الله إلا عين ما يرونه ويشاهدونه في المخلوق.

ولهذا يصرح بعضهم بهذا فيقولون: «لا نعقل يدًا إلا عين ما نراه في الشاهد».

فهم فرُّوا من شرٍّ ووقعوا في شرٍّ أخبث منه، ثُمَّ إنَّهم لَمَّا عطَّلُوا صفة الله نتيجة للتمثيل الذي هم مرضىٰ به انتقلوا منه إلىٰ تمثيل آخر، فمثَّلُوا الله إما بالمعدومات أو الجمادات أو الممتنعات بحسب نوع تعطيلهم، ويظهر من هذا أنَّ كلَّ معطل ممثل مرتين: مرة قبل التعطيل، ومرة بعده، فكل تعطيل محفوف بتمثيلين.

«**وكُلُّ ممثل معطل**»: من يمثل صفة الله بصفة خلقه فهو معطل، وليس معطلًا مرة واحدة، بل مُعطلًا ثلاث مرات، فالذي يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، ثم يفهم منها أنها يد كأيدينا؛ وقع في التعطيل ثلاث مرات:

١- كونه عطَّل الله عن صفة اليد الحقيقية اللائقة به التي لا تُشبه يد المخلوقين.

٢- كونه عطَّل هذا النص وهو قوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ عن مدلوله، ومدلوله: إثبات يد حقيقيةٍ تليق بالله، وصَرَفَه إلىٰ إثبات يد تُشبه يد المخلوقين.

٣- كونه عطَّل النُّصوص الكثيرة في القرآن النافية للتشبيه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

ولم يسلم من التعطيل والتمثيل أحد من الطوائف برمتها غير أهل السنة والجماعة، ومن سواهم معطلة ممثلة في الوقت نفسه، وإن كان يزعم كلُّ واحدٍ منهم في ظاهر قوله أنه غير معطل أو غير ممثل.

والناظم بدأ إثبات صفة اليد بالرد علىٰ الجهمية، والجهمية هم أساس الشر ورأس البلاء في تعطيل الصفات؛ ولذا فكل معطل جهمي، وكل معطل شيخه الأول الجهم بن صفوان؛ لأنهم ورثوا منه تَرِكَةَ التعطيل، ولكنهم في أخذهم عنه يتفاوتون، فبعضهم أخذ منه بحظٍّ وافرٍ، وبعضهم أخذ منه دون ذلك.

(**وَقَد يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ**) أي: يجحد السائرُ علىٰ منهج الجهم والمتأثرُ بشُبَهِه،

و(قَد) هنا: للتأكيد والتحقيق.

(أَيْضًا) أي: مع إنكاره للصفات الأخرىٰ.

(يَمِينَهُ) أي: ثبوت اليمين واليد لله تعالىٰ.

وهنا سؤال: كيف أنكر الجهمية اليمين واليد لله مع أن اليد ثابتة في القرآن والسنة بمئات النصوص، ووُصِفَت بصفاتٍ كثيرة لا تجعل مَن يقرأ تلك الأدلة يتردد في إثباتها لله، بل قد وُصِفَت اليد بصفات تصل إلىٰ مائة صفة، مثل: الطي، والقبض، والبسط، والأخذ، والإعطاء، وغير ذلك من الصفات، كلها تؤكد إثبات هذه الصفة لله حقيقةً علىٰ الوجه اللائق به.

وإذا كان الأمر كذلك، فكيف غرس الجهم في نفوس من تأثر به عدم إثبات اليد لله؟

وقبل مقالة الجهم كان كل من يقرأ آيات الصفات في القرآن لا يفهم منها إلَّا الصفات الحقيقية اللائقة بالله، ويُعلم ذلك بالنظر إلىٰ العوام الذين لم يلتقوا بجهمي أو أيِّ متكلم، فإذا تليت عليهم آية في الصفات لا يفهمون منها إلا الصفة الحقيقية.

فدبَّر الجهم خطة وبدأ بتقعيد القواعد الكليات لجحد الصفات، فهو لا يستطيع أن يأتي إلىٰ الناس رأسًا ويقول لهم: ليس لله يد، فجاء بألفاظ مجملة ونزَّه الله عنها، وجعل تنزيه الله عنها أصولًا كليةً عند هؤلاء.

ثُمَّ توصل إلىٰ إنكار الصفات من خلال ذلك؛ حيث جاء بلفظ الجسم والحيز والجهة.

فقال مثلًا: هل الله جسم؟ فأخذ يُقرِّرُ أن الله ليس بجسم ولا يوصف بالجسمية، فلمَّا قرَّر ذلك ومكَّنه من نفوسهم أخذ يُقرِّر فيهم ما يريد، فقال: لو أثبتنا لله اليد

أثبتنا له الجسمية، ولو أثبتنا له الجسمية؛ شبهناه بخلقه؛ وَمِن ثَمَّ غرس فيهم تعطيل الصفات.

ولكن وَاجَهَتْهُ مشكلة؛ وهي النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة التي تصادم تقريره، فدلَّهُم على التحريف، وبهذا توصَّل الجهم إلى تقرير إنكار صفات الله لدى من استهوتهم شبهته واستفزهم ضلاله وباطله من ذوي الجهل وقلة البصيرة بالدين.

(اليمين) صفة ثابتة لله، فالله له يدان حقيقيتان، وفي رواية لمسلم إثبات يدين لله: يمين وشمال، ومن أهل العلم من صوَّب أنَّ لفظ الشمال لم يثبت، وإنما الثابت (الأخرى) بدل الشمال، وعلى كلٍّ فهذه الرواية ليست معارضة لقوله ﷺ: «**وكلتا يدي ربي يمين**»[1]؛ لأن أهل العلم وضَّحوا أن المراد بقوله ﷺ: «**وكلتا يدي ربي يمين**» نفي توهم النقص؛ لأنه قد يتبادر إلى بعض الأذهان أن الشمال أو الأخرى أنقص من اليمين.

واليمين ثابتة لله في القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، وفي هذه الآية ردٌّ بيِّن على المعطلة الذين قالوا إنَّ إثبات اليد لله يلزم منه تشبيه الله بالخلق.

فيقال لهم: كيف يفهم عاقل تأمَّل هذه الآية أنه يلزم من إثبات اليد لله حقيقة تشبيه الله بالمخلوق، وقد وُصفت يده سبحانه بهذه العظمة والكمال.

ويرد عليهم بأنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في الاسم أن يتفقا في الحقيقة والمسمى، هذا بين المخلوق والمخلوق، فكيف بين الخالق والمخلوق؟

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(وَكِلْتَا يَدَيْهِ) وفيه إثبات اليدين لله حقيقة على الوجه اللائق به.

وهذا التنصيص بأن له يدين جاء في القرآن والسنة.

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

وفي الحديث: «**يمين الله ملأىٰ، لا يغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنَّه لم يغض ما في يمينه، وعرشه علىٰ الماء، وبيده الأخرىٰ القسط يرفع ويخفض**». رواه البخاري ومسلم(١).

وهذه الآية والحديث من أقوىٰ الأدلة في الرد علىٰ من قال: يده قدرته.

فيقال لهم: هل لله قدرتان؟ وبإجماع أهل الإسلام أنه ليس لله قدرتان، وتفسيرها بالنعمة أيضًا مردود؛ لأنَّه لا يقول أحد إنَّ لله نعمتين، بل نعمه كثيرة.

وماذا يقول هؤلاء في الحديث؟

هل يقولون وبقدرته الأخرىٰ أو بنعمته الأخرىٰ أو ماذا يقولون؟

ولا يعارض ثبوت اليدين لله أن اليد قد جاءت في بعض النصوص بصيغة الجمع كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس:٧١].

وكذلك جاءت مفردةً، كما في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١].

لأنَّ لغة العرب تتَّسع للإخبار عن المثنىٰ بالجمع أو المفرد، وقد ورد ذلك في القرآن كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤].

وما زال العرب يقولون: رأيتك بعيني، وسمعتك بأذني؛ والمراد عينيَّ وأذنيَّ، فلا تعارض إذن بين الألفاظ الواردة، ومثله تمامًا القول في العين .

---

(١) البخاري برقم (٧٤١١)، ومسلم برقم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالفَوَاضِلِ) الفواضل: جمع فاضلة، وهو الخير والجود والكرم والعطاء، قال الله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

روىٰ مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**إن المُقسطين عند الله يوم القيامة علىٰ منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»(١).

(تَنْفَحُ) والنفح: العطاء، وفِي بعض النسخ (تَنْضَحُ)، والنضح هو: الرش والسَّقْي، والمقصود أنه يعطي الجزيل ويكرم عباده ويعطيهم العطاء الواسع.

كما في الحديث: «**يمين الله ملأىٰ، لا يغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار..**»(٢).

واليد من صفات الله الذاتية، والناظم عندما يذكر إنكار الجهمية لليد يشير بذلك إلىٰ إنكارهم للصفات الذاتية الأخرىٰ؛ كالوجه، والقدم، والعين، والساق ونحوها، فمضمون كلامه الرد عليهم في إنكارهم بقية الصفات الذاتية؛ لأنَّ القول في الصفات واحد.

وصفات الله نوعان:

ذاتية؛ وضابطها: هي التي لا تنفك عن الذات، ولا تعلُّق لها بالمشيئة.

وفعلية: وهي التي تتعلق بالمشيئة.

ولا فرق عند أهل السنة والجماعة بين الصفات من حيث الإثبات، فكُلُّهَا حَقٌّ تُثبت لله كما وردت، ويُؤمن بها كما جاءت بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

---

(١) تقدم (ص٤٣).

(٢) تقدم (ص٤٤).

إثبات صفة النزول لله تعالى

١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ	بِلَا كَيْفَ جَلَّ الوَاحِدُ المُتَمَدِّحُ
١٢- إِلَىٰ طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ	فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
١٣- يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا	وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ
١٤- رَوَىٰ ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ	أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُم وَقُبِّحُوا

هذه الأبيات في إثبات نزول الله في كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا، وأهل السنة مذهبهم في النزول هو مذهبهم في بقية الصفات، فكل صفة لله ثبتت في الكتاب والسنة يُمِرُّهَا أهل السنة كما جاءت، ويثبتونها لله كما أثبتها لنفسه، وكما أثبتها له رسوله ﷺ.

وليس أحد من أهل السنة يتقدم بين يدي الله ورسوله معترضًا علىٰ قوله، بأن يقول بعد إثبات الله الصفة: هذا لا يليق بك يا ألله، أو بعد إثبات الرسول ﷺ لها: هذا لا يليق بالله، فينفي عن الله الصفات تنزيهًا لله عما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، وكأنه أعلم بالله من نفسه، وأعلم بالله من رسوله ﷺ، تعالىٰ الله عمَّا يقولون، وسبحان الله عمَّا يصفون!

ولذا؛ أهل السنة يقولون: لابد من أصول ثلاثة لمن أراد الاشتغال بالأسماء والصفات:

الأول: أن يُقِرَّ في نفسه أنَّه لا أحد أعلم بالله من الله، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠].

الثاني: أنَّه لا أحد أعلم بالله من خلق الله من رسول الله ﷺ، فهو أعلم الخلق بالله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤].

الثالث: أن الله بالنسبة لنا غيب لم نره، فلا مجال للإنسان أن يخوض فيما هو غائب عنه من وصف إلا بوحي.

وعليه؛ فالطريقة الحقة في باب الصفات: أن نَصِفَ الله بما وَصَفَ به نفسه، وبما وَصَفَهُ به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث.

كما قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ندور مع السنة حيث دارت»؛ أي: نفيًا وإثباتًا.

فمن تقررت في قلبه تلك الأصول؛ امتنع أن يخوض في الصفات بما لا يعلم، وعلم فساد مذهب أهل الكلام الباطل الذين يتقدمون بآرائهم وعقولهم الفاسدة بين يدي الله ورسوله ﷺ.

(النزول) قد وردت به السنة، وحديثه متواتر رواه عن النبي ﷺ ثمانية وعشرون صحابيًّا، وهذا يعني أن النبي ﷺ قال هذا القول: «**ينزل ربنا إلىٰ السماء الدنيا**»(١) غير مرة، وهو -عليه الصلاة والسلام- أفصح الناس، وأبلغهم، وأنصحهم، وقد بلَّغ ما أُنزل إليه أتم البلاغ، وبينه أحسنَ البيان وأوضحَهُ، وهو أحسن خلق الله تنزيهًا لله وتعظيمًا له، فقال في أكثر من مرة: «**ينزل ربنا**».

و إثباته ﷺ لربه هذه الصفة لا يتنافىٰ مع تنزيهه له سبحانه.

فماذا يقول المعطلون المعترضون علىٰ قول الله ورسوله ﷺ، والمتقدمون

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٩٤)، ومسلم برقم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بين يدي الله ورسولهﷺ؟!

أما الصحابة والتابعون وأئمة السلف فلم يُنقل عن أحد منهم أنه قال: هذا لا يليق بالله، وأنه ليس علىٰ ظاهره.

وأمَّا الذين أوَّلُوا هذه الصفة وقالوا: لا تليق بالله وأنها ليست علىٰ ظاهرها؛ وهم المعطلة الجهمية، ومن لَفَّ لَفَّهُم فيقولون: الله لا ينزل؛ لأنَّا لو أثبتنا لله النزول لأثبتنا له الحركة والمكان، وهكذا ينفون عن الله صفة النزول.

وهذه التعليلات العقلية لها منشأ فاسد في قلوب هؤلاء انبثق منه إنكارهم للصفات، وهو قياس الخالق بالمخلوق، أو فهم الصفة التي تضاف إلىٰ الخالق كما يفهمون من الصفة التي تضاف إلىٰ المخلوق، فقالوا: لو أثبتنا لله النزول لأثبتنا له الحركة والانتقال والمكان، وهذه الأمور من صفات الحوادث، والله منزه عن الحوادث، والنتيجة إذن نفي هذه الصفة.

يُقال لهم: إذا كانت تعليلاتكم هذه صحيحةً، فلماذا يقول النبيﷺ في غير ما مجلس: «**ينزل ربنا**»؟ يجيب هؤلاء المتكلمون: النبيﷺ لم يقصد بقوله هذا نزول الله، وإنما أراد نزول الملك.

يُقال لهم: إذا كان ذلك كذلك فإن هذا الكلام من النبيﷺ أقرب ما يكون إلىٰ الألغاز والتعمية منه إلىٰ الفصاحة والبيان.

وإذا كان كلام هؤلاء حقًّا لكان اللازم علىٰ النبيﷺ أن يقول: ينزل ملك ربنا صراحةً، ولكنه لم يفعل ولو مرةً، فهو في كل مرة يقول: «**ينزل ربنا**» ولو كان كلامهم حقًّا لقال ولو في مجلس واحد: ينزل ملك ربنا؛ حتىٰ يحمل المطلق علىٰ المقيد، ولكنه لم يفعل.

وقولهم هذا بلا شك فيه طعن في علم النبيﷺ وفصاحته، وطعن في نصحهﷺ؛

لأنه يقال لهؤلاء: هذا الذي تقولونه هل علمه النبيﷺ أم لم يعلمه؟ فإن قالوا: لم يعلمه وعلمناه دونه؛ فهو تجهيل للرسولﷺ، وإن قالوا: هذا أمر علمه النبيﷺ؛ يقال لهم: هل هو قادر علىٰ الإفصاح عنه وبيانه للأمة بوضوح أم ليس بقادر؟ فإن قالوا: ليس بقادر علىٰ الإفصاح عنه، وأفصح عنه الجهمية؛ فهذا طعن في فصاحته وبيانه، وإن قالوا: قادر علىٰ الإفصاح عنه، يقال لهم: هذا فيه طعن في نصحه؛ لأنه عالم قادر ومع ذلك لم يفصح لأنه لم يقل ولا مرة واحدة: ينزل ملك ربنا، وإن قالوا: هو نَصَحَ الأمة وبيَّن، قيل لهم: أعطونا ولو حديثًا واحدًا قال فيه النبيﷺ: ينزل ملك ربنا.

وهذه الأمور الثلاثة يمكن أن تقال في شأن من ينفي أي صفة من الصفات، ثمَّ الحديث نفسه يردُّ علىٰ هذا التأويل كما سيأتي.

والناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يثبت نزول الله علىٰ وجه يليق به -جل وعلا-.

وأهل السنة في النزول يحترزون من أمرين:

١- تعطيل النزول ونفيه.

٢- تكييف النزول.

علىٰ القاعدة: «**إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل**».

(قل) الخطاب لصاحب السنة والعقيدة السلفية؛ أي: قل ذلك غير متردد ولا مرتاب، بل قُلْهُ مؤمنًا موقنًا؛ لأن هذه الكلمة قالها النبيﷺ في غير مجلس، فإذا قلت ذلك لم تزد علىٰ أن قلت مثل ما قال النبيﷺ، ولم تزد علىٰ أن آمنت بما آمن به النبيﷺ.

وهذا البيت اشتمل علىٰ الأصلَيْنِ، ففي قوله: (**ينزل الجبار في كل ليلة**) احتراز من التعطيل.

وفي قوله: (**بلا كيف جل الواحد** ...) احتراز من التكييف، وفي نفيه للتكييف نفي للتمثيل؛ لأن الممثل مكيِّف، ولذا (كل ممثل مكيف وليس كل مكيف ممثلًا)؛ لأن الممثل يقول: ينزل الله كنزول المخلوق، وهو في الوقت نفسه كيَّف صفات الله بكيفية صفات المخلوق، وليس كل مكيف ممثلًا؛ لأن التكييف يكون بتمثيل، وقد يكون بلا تمثيل وإنما بتخيُّل في الذهن.

(**بلا كيف**) مراد الناظم بهذا القول: أي: بلا كيف معلوم لنا، فهو نفيٌ لعلمنا بالكيفية وليس نفيًا للكيفية؛ لأن ما لا كيفية له لا وجود له، فإن صفات الله لها كيفيةٌ اللهُ أعلم بها.

ولذا قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والكيف مجهول**» ولم يقل: الكيف معدوم.

والعلم بكيفية الصفات فرع عن العلم بكيفية الذات، فإذا قال الجهمي: كيف ينزل ربنا إلىٰ سماء الدنيا؟ قل: كيف هو في ذاته؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفيته؛ قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له.

فأهل السنة يقولون ينزل الله إلىٰ السماء الدنيا كما أخبر رسول الله ﷺ ولا يكيفون، فلا يجعلون لصفة الله كيفيةً ككيفية صفة المخلوق، ولا كيفية يتخيلونها في الذهن، والمعطلة الذين نفوا النزول إنما نفوه بعد تكييفٍ؛ لأنه قد استقر في أذهانهم النزول الذي في المخلوق، وهذا الذي فهموه في عقولهم ظنوا أن أهل السنة يثبتونه فرموهم بالتشبيه.

وبعضهم افترىٰ علىٰ شيخ الإسلام أنه نزل عن المنبر وقال: (ينزل الله كنزولي هذا) ذكر ذلك ابن بطوطة في رحلته، وهذا كذب وافتراء عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه كان في السجن في الوقت الذي مر فيه ابن بطوطة بدمشق.

والذي يريد أن يعرف عقيدة الشيخ يقرأ كتابه: «شرح حديث النزول» وقد قرَّر فيه إبطال تشبيه نزول الله بنزول المخلوقين في مواضع.

والذي دفع هؤلاء إلىٰ هذا الافتراء علىٰ شيخ الإسلام وغيره هو أنهم لم يفهموا من النزول إلا نزول المخلوق، ولما رأوا أهل السنة يثبتون هذا النزول وصفوهم بالتشبيه، وحاشاهم من التشبيه.

(**الجبار**) هو الله، وهو اسم من أسمائه كما في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣].

والجبر الذي في اسمه الجبار من دلالاته: الإصلاح، يقال: جبر كسره؛ أي: أصلحه، وجبر حال الفقير؛ أي: أصلحه.

ومن مدلولاته: العلو والقهر؛ أي: العلي علىٰ خلقه والقاهر فوق عباده.

(**جل**) أي: عظم قدره عن التكييف سواء كان مبناه الأوهام، أو القياس بصفات المخلوق، قال الله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

(**الوَاحِدُ**) المتفرد بصفات كماله ونعوت جلاله.

(**المُتَمَدَّحُ**) المتمدح صفة للواحد؛ أي: الذي يمدحه المؤمنون ويثنون عليه؛ فهو الذي أسبغ علىٰ العباد من النعم وأولاهم من العطاء ما يوجب مدحهم له، وحسن الثناء عليه وحمده، وهو -جل وعلا- لا يحصي أحدٌ الثناء عليه، وهو سبحانه يُثنىٰ عليه ويُمدَح علىٰ أسمائه الحسنىٰ وصفاته العُلا، وعلىٰ نعمه وعطاياه التي لا تُعدُّ ولا تُحصىٰ.

إِلَىٰ طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

هذه الجملة في هذا البيت مكملة للبيت السابق، فهذا كقولهﷺ: «**ينزل ربنا إلىٰ السماء الدنيا**»، فالجار والمجرور في قوله: (**إلىٰ طبق الدنيا**) متعلِّق بقوله: (**ينزل الجبَّار**).

(طَبَق) هو الغطاء، والسماء غطاءٌ للأرض، وكل سماء غطاء للسماء التي دونها، وسماء الدنيا سميت بذلك؛ لقربها من الأرض.

(**يَمُنُّ بِفَضلِهِ**) المن هو البذل والعطاء، فينزل سبحانه ليعطي ويتفضل علىٰ العباد بالخيرات وأنواع الهبات.

(**فَتُفرَجُ أَبَوابُ السَّمَاءِ وتُفتَحُ**): قوله (**تُفرَجُ**) أي: تنشق وتنفتح، والسماء لها أبواب دل علىٰ ذلك نصوص كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف:٤٠].

وقد جاء في بعض روايات حديث النزول: أن أبواب السماء تفتح وقت النزول الإلهي.

ففي المسند للإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله ﷻ إلىٰ السماء الدنيا، ثم تفتح أبواب السماء، ثم يبسط يده فيقول: هل من سائل يعطىٰ سؤله؟! فلا يزال كذلك حتىٰ يطلع الفجر**»[1].

يَقُـولُ أَلَا مُـسْتَغْفِرٌ يَلـقَ غَافِـرًا ... وَمُـسْتَمْنِحٌ خَيْـرًا وَرِزْقًـا فَيُمْـنَحُ

(**يقول**) أي: الله سبحانه عندما ينزل، فالقائل هو الله؛ لأنه لا يصح أن يقول المَلَك: «مَن يستغفرني، مَن يسألني، مَن يدعوني» وهذا يبين بطلان قول الجهمية: إن

(١) «المسند» رقم (٣٦٧٢).

الذي ينزل هو المَلَك؛ لأنه لو كان الذي ينزل هو المَلَك لقال: إن الله يغفر الذنوب فمن يستغفره.

كما في الحديث الآخر: «**إذا أحب الله عبدًا نادىٰ جبريلَ: إنِّي أُحبُّ فلانًا فأحبَّه فيحبُّه جبريل، وينادي أهلَ السماء: إنَّ الله يحب فلانًا فأحبُّوه...**»[1] الحديث.

وجاء في بعض روايات حديث النزول أن الله يقول: «**لا أسألُ عن عبادي أحدًا غيري**»[2] وهي مبطلة لمقالة هؤلاء؛ لأن هذا لا يمكن أن يقوله إلَّا الله.

(**ألا مستغفرٌ**) (ألا) أداة تحضيض، فهو يحض علىٰ الاستغفار والاستمناح، والمستغفر: طالب الغفران.

(**يَلقَ غَافرًا**) هو الله الغفور ذو الرحمة ﷻ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

(**مُستَمنِحٌ**): من يطلب المنح وهو العطاء؛ أي: يسأل الله الخيرَ والرزقَ، والخيرُ شاملٌ لأمور كثيرة.

(**فَيُمنَحُ**) أي: فيمنحه الله حاجته ويعطيه سؤله، فإنَّ خزائنه ملأىٰ لا يغيضها نفقة.

يقول تعالىٰ في الحديث القدسي: «**يا عبادي، لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، وأعطيت كلَّ واحد منهم مسألته؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، إلَّا كما يُنقص المخيط إذا غُمس في البحر**»[3].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٠)، ومسلم برقم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٦٣١٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ﷺ.

ثم ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ دليل النزول فقال:

(رَوَىٰ ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ) الإشارة بقوله: (ذَاكَ) إلىٰ النزول الإلهي الثابت؛ أي: الذين رووا حديث النزول ثقات أثبات لا يرد حديثهم بل يتلقىٰ بالقبول، والحديثُ متواترٌ، نص علىٰ ذلك غير واحد من الأئمة منهم: شيخ الإسلام في «شرح حديث النزول»، وابن القيم في «الصواعق المرسلة»، والذهبي في «العلو»، والسيوطي في «الأزهار المتناثرة»، والكتاني، وقد ذكر ابن القيم في «الصواعق» أن ثمانية وعشرين صحابيًّا رووه، وذكرهم.

(أَلَا خَابَ): (أَلَا) أداة استفتاح وتنبيه؛ أي: خسر الذين كذَّبوا هؤلاء الرواة الأثبات الذين نقلوا النزول عن النبيﷺ.

وهؤلاء الذين كذَّبوا الصحابة في هذه الأمور قبلوا عنهم أحاديث الأحكام، فَلِمَ هذا التفريق؟!

قال عباد بن العوام: «قدم علينا شريك فسألته عن الحديث: «**إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان**»[1]. قلنا: إنَّ قومًا ينكرون هذه الأحاديث!! قال: فما يقولون؟ قلنا: يطعنون فيها، فقال: إنَّ الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بالقرآن وبالصلاة وبالحج وبالصوم، فما يُعرَف الله إلَّا بهذه الأحاديث».

وهذا الضلال مبنيٌّ علىٰ القاعدة التي قعدها المعتزلة: أن خبر الآحاد لا يقبل في العقيدة، مع أن حديث النزول متواتر، فما الضابط عندهم؟ ومن يتأمل يجد أنَّ الضابط عند هؤلاء هو: أنَّ كلَّ حديث خالف مذهبهم ردوه بحجة أنَّه خبر آحاد وإن كان متواترًا، وكل حديث وافق هواهم قبلوه ولو كان مكذوبًا؛ ولذا اعتمدوا

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٧٣٩)، وإسناده ضعيف.

علىٰ الحديث المكذوب: «**أول ما خلق الله العقل**»، فالقوم أصحاب أهواء.

الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يذكر العلو والاستواء، لكن في ضمن الأبيات التي ذكرها إشارة إلىٰ ذلك فاكتفىٰ به؛ لأن في إثبات النزول إثباتًا للعلو؛ ولهذا أورد الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المنظومة بكاملها في كتابه «العلو» في سياق ما نقله عن الأئمة من نقول في تقرير علو الله علىٰ خلقه، وسبق أن مرَّ قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**تَعَالَىٰ الْمُسَبَّحُ**) وأنَّ فيه إثباتَ العلو لله تعالىٰ ذاتًا وقدرًا وقهرًا، وسيأتي أيضًا قوله: (**وذو العرش يصفح**) وفيه إثبات العرش العظيم الذي استوىٰ عليه الربُّ عَزَّ وَجَلَّ.

❋ ❋ ❋

عقيدة أهل السنة في الصحابة

١٥- وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ
١٦- وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ بِالخَيْرِ مُنْجِحُ
١٧- وَإِنَّهُم للرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ عَلَىٰ نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ
١٨- سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ
١٩- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

هذا مختصرٌ لمعتقد أهل السنة في الصحابة، ومع اقتضاء المنظومة الاختصار إلا أنَّ الناظم قد أتىٰ منه بالشيء الكثير، وبدأه بذكر التفاضل بينهم -رضي الله عنهم أجمعين-.

(قل) أي: يا صاحب السنة ويا من يريد لنفسه المعتقدَ الصحيحَ، معتقدَ أهل السنة والطائفة المنصورة والفرقة الناجية، قل وأنت منشرحُ الصدر غيرُ شاكٍّ ولا مرتاب:

(إِنَّ خَيرَ النَّاسِ بَعدَ مُحَمَّدٍ) أي: أفضل الناس وأزكاهم بعد محمد ﷺ، والناظم هنا يقرر مَن هم أفضل أمة محمد ﷺ، فيقول: إن خير الناس بعد محمد ﷺ:

(وَزِيَراهُ قِدْمًا) وهما: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

و(الوزير) في اللغة هو العوين للملك، والذي يحمل عنه أثقاله ويشير عليه ويعينه، ولذا وصف الناظم أبا بكر وعمر بأنهما وزيران له ﷺ.

(قِدْمًا) اسم زمان من القِدَم؛ أي: هما وزيران له منذ بداية الدعوة؛ لأن نصرتهما للنبي ﷺ كانت قديمةً، وقد جاء في حديث يُرفع إلىٰ النبي ﷺ عند الترمذي والحاكم أن النبي ﷺ قال: «**ما من نبي إلا كان له وزيران من أهل الأرض، ووزيران من أهل السماء؛ فوزيرا السماء هما: جبريل، وميكال، ووزيرا الأرض: أبو بكر وعمر**»[1] ولكن الحديث ضعيف، وله طريقان آخران ضعيفان، لكن ثبت في فضلهما وخيريتهما أحاديث.

روىٰ البخاري ومسلم من حديث عمرو بن العاص -رضي الله تعالىٰ عنه-: «أنه سأل النبي ﷺ فقال: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: **عائشة**. فقلت: من الرجال؟ قال: **أبوها**، فقلت: ثُمَّ مَن؟ فقال: **عمر بن الخطاب**»[2].

وليسا أفضل هذه الأمة فحسب، بل هما أفضل الناس بعد النبيين والمرسلين كما في الحديث: «**أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين؛ إلَّا النبيين والمرسلين**».

وهو مروي عن غير واحد من الصحابة، منهم: علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وجابر، وأبو سعيد، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه[3].

---

(١) الترمذي برقم (٣٦٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٩٠) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» برقم (٣٦٨٠).

(٢) البخاري برقم (٣٦٦٢)، ومسلم برقم (٢٣٨٤).

(٣) انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (٨٢٤).

وثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «كنا زمن النبي لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ثُمَّ نترك أصحاب رسول الله ﷺ لا نفاضل بينهم»(١).

وروىٰ البخاري عن محمد بن الحنفية قال: «قلت لأبي -يعني: علي بن أبي طالب -رضي الله تعالىٰ عنه-: أيُّ الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: أبو بكر، قلت: ثُمَّ من؟ قال: عمر، قال: وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثُمَّ أنت؟ قال: ما أنا إلَّا واحد من المسلمين»(٢).

وقد تواتر هذا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله تعالىٰ عنه- بل جاء عنه أنه قال: «لا يُفَضِّلنِي أحدٌ علىٰ أبي بكر وعمر إلَّا جلدته حد المفتري»(٣)، وذلك لأنه افترىٰ الكذب عندما قدَّم عليًّا علىٰ الوزيرين.

والنصوص الواردة في تفضيل أبي بكر وعمر كثيرة جدًّا، أوردها أهل العلم في الكتب التي تعتني بمناقب الصحابة، وتفضيلُ أبي بكر وعمر علىٰ الصحابة كلِّهم محَل اتفاق بين أهل العلم.

وقد ذكر القاضي أبو يعلىٰ عن الإمام أحمد أنَّه قال: «مَن فضَّل عليًّا علىٰ أبي بكر وعمر، أو قدَّمه عليهما في الفضيلة والإمامة دون النسب؛ فهو رافضي مبتدع فاسق».

(ثُمَّ عثمان): أي: ثُمَّ بعد هذين الوزيرين عثمان بن عفان -رضي الله تعالىٰ

---

(١) البخاري برقم (٣٦٥٥).

(٢) البخاري برقم (٣٦٧١).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٢١٩).

عنه- ذو النورين، وثالث الخلفاء الراشدين صاحب المناقب الكثيرة والفضائل العديدة.

(**الأرجح**) أفعل تفضيل؛ أي: الأرجح في الميزان، فعثمان ﷺ هو ثالثهم في الفضل علىٰ الأرجح، وكأنَّ الناظم يشير إلىٰ خلاف وقع بين السلف، وأقوالهم في ذلك ثلاثة ذكرها شيخ الإسلام: منهم من قدَّم عثمان وهو قول الأكثرين من أئمة السلف، ومنهم من قدَّم عليًّا، ومنهم من توقَّف، والذي استقر عليه أمر أهل السنة: أن ترتيبهم في الفضل هو كترتيبهم في الخلافة.

قال:

وَرَابِعُهُـــمْ خَيْـــرُ البَـــرِيَّةِ بَعْـــدَهُمْ ... عَلِـيٌّ حَلِـيفُ الخَيْـرِ بِالخَيْـرِ مُـنْجِحُ

أي: رابع الصحابة في الفضل هو علي بن أبي طالب ﷺ.

(**خير البريَّة**) أي: خير الناس بعد أبي بكر وعمر وعثمان. (**البريَّة**) من: برأ الله الخلق يبرؤهم؛ أي: خلقهم.

وعليٌّ هو ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته، وأبو السِّبطَين، صاحب المناقب الكثيرة، وقد أشار الناظم إلىٰ بعض فضائله.

(**حليف الخير**) أي: المحالف للخير؛ الذي حليفه الخير دائمًا، يحظىٰ بالخير وينال الخير ويُحصِّله؛ أي: أنَّه دائمًا ملازم للخير.

(**بالخير مُنْجِح**) من النجاح، وهو تحصيل المقصود والظفر به.

وفي بعض النسخ (**بالخير يمنح**)، وفي نسخة (**بالخير ممنح**) أي: أنه يعطي الناس ويمنحهم، ففيه وصفه بالسخاء والجود والكرم.

وَإِنَّهُـــم لَلـــرَّهْطُ لَا رَيْـــبَ فِـــيهِمُ ... عَلَىٰ نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ

أي: هؤلاء المذكورون من الصحابة الخلفاء الأربعة، وكذلك الذين سرد أسماءهم في البيت الآتي.

(لَلرهط): وهم عشيرة الرجل، ويطلق علىٰ ما دون العشرة، وقيل ما بين الثلاثة إلىٰ العشرة.

وفي بعض النسخ **(والرهط)** ولعله الأقرب، ويكون الضمير في قوله **(وإنَّهم)** عائدًا علىٰ الأربعة والرهط معطوف عليه، والمقصود بهم الستة المذكورون في البيت الذي بعده.

(لا ريب فيهم): لا تهمة ولا شك فيهم وفيما سينالونه من الله من الفضل، ولا شك في منزلتهم عند أهل السنة، ولا ريب في أنَّهم من أهل الجنة.

(علىٰ نُجُب): جمع نجيب وهو أكرمُ المالِ وأنفسُهُ، والمراد: أنهم يسرحون في الجنة علىٰ نجب الفردوس: وهي النوق الكريمة والخيل الكريمة، يروحون عليها ويغدون في الجنة.

روىٰ مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: «جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: **لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**»[1].

وروىٰ الترمذي عن سليمان بن بريدة بن الحصيب عن أبيه: «أن رجلًا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هل في الجنة من خيل؟ قال: **إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها علىٰ فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت إلَّا فعلت**. قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم

(١) مسلم برقم (١٨٩٢).

يقل له مثل ما قال لصاحبه، قال: إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك»[(١)].

وسنده ضعيف، لكنه جاء من طريق أخرىٰ مرسلًا بسند صحيح، وله شاهد من حديث بريدة ﷺ فيرتقي بذلك إلىٰ درجة الحسن، كما في السلسلة الصحيحة للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٣٠٠١).

ويقصد الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا: أنَّ هؤلاء مقطوع لهم بالجنة، شهد لهم بذلك رسول الله ﷺ، وسيأتي -إن شاء الله- ذكر بعض الأحاديث الدالة علىٰ ذلك.

(الفردوس) اسم من أسماء الجنة، وهو اسم لأعلىٰ الجنة وأوسطها.

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«إنَّ في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنَّه أوسط الجنة، وأعلىٰ الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنة»**[(٢)].

(بالنور تسرح) أي: بمن عليها من أهل النور والوضاءة والبهاء والحسن، **(تسرح)** أي: تذهب حيث شاء راكبها، وفي بعض النسخ **(في الخلد تسرح)**: والخلد هي الجنة؛ لأنَّها دار النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، وفي هذا أن أهل الجنة يتزاورون فيها ويغدون ويروحون لتتم لذتهم، وليكمل أنسهم وسرورهم، نسأل الله الكريم من فضله.

ثم قال:

سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

---

(١) الترمذي برقم (٢٥٤٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٩٨٧).

هذا تفسير وبيان للرهط بذكر أسمائهم، وهؤلاء الستة مع الأربعة الخلفاء هم العشرة المبشرون بالجنة، كما بشرهم بذلك النبي ﷺ في الحديث الثابت الصحيح، فهم الرهط الذين لا ريب في دخولهم الجنة، ولا ريب أنَّهم علىٰ نُجُبِ الفردوس في جنة الخلد يسرحون.

وقد ورد في بشارتهم بالجنة أحاديث، منها ما رواه الترمذي عن عبد الرحمن ابن عوف -رضي الله تعالىٰ عنه- عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة**»(١).

وفي الترمذي وابن ماجه عن سعيد بن زيد مثله(٢).

وقد جمعهم أحد النُّظَّام في بيتين فقال:

للمُصطفَىٰ خَير صَحْبٍ نَصَّ أنَّهُم ... فِي جَنَّةِ الخُلدِ نَصًّا زَادَهُم شَرَفَا

هُم طَلحَةُ وابنُ عوفٍ والزُّبَيرُ مَعَ ... أَبي عُبَيدةَ وَالسَّعْدَان وَالخُلَفَا

(**سعيد**) هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل، ابن عمِّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله تعالىٰ عنهما-.

(**وسعد**) هو ابن أبي وقاص.

(**وابن عوف**) هو عبد الرحمن.

(**وطلحة**) هو ابن عبيد الله.

---

(١) الترمذي برقم (٣٧٤٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٠).

(٢) الترمذي برقم (٣٧٤٨)، وابن ماجه برقم (١٣٣).

(وعامر فهر) هو أبو عبيدة عامر بن الجراح الفهري القرشي.

(والزبير) هو ابن العوام.

(الممدَّح) أي: الذي له المدائح الكثيرة، والمدائح الكثيرة لهؤلاء جميعًا، ومن أعظم هذا المدح تبشيرهم بالجنة.

وينظر في مناقب هؤلاء علىٰ الخصوص كتاب «الرياض النضرة في مناقب العشرة» للمحب الطبري.

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ ... وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

ولمَّا ذكر الناظم هؤلاء تكلم عن الصحابة عمومًا فقال: (**وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِم**) أي: لا يكن قولك الخير وكلامك الحسن خاصًّا بهؤلاء الذين ذكروا؛ بل قل خير قول في الصحابة جميعهم، فكلهم عدول، أهل فضل ونُبْل.

والصحابي: هو الذي لقي النبيﷺ مؤمنًا به ومات علىٰ ذلك، فكل من كان بهذه الصفة فهو من الصحابة وقل فيه خير قول.

ولمَّا ذكر الله في سورة الحشر المهاجرين والأنصار قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

فذكر الله لمن جاء بعدهم صفتين هما: سلامة الصدر، وسلامة اللسان.

وهكذا يجب أن يكون صاحب السنة تجاه الصحابة فلا يحمل عليهم في قلبه غلًّا، ويكون سليم اللسان فلا يقدح فيهم، ولا يخوض فيما شجر بينهم؛ بل يقول عنهم ما يزيد حبهم في القلوب.

والناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أشار إلىٰ تحقيق هاتين الصفتين بقوله: (**وقُلْ خَيرَ قَولٍ**) وقد

مر معنا أن القول إذ أطلق يشمل قول القلب وقول اللسان، ويكون المعنىٰ: قل فيهم خير قول بقلبك بأن يكون سليمًا من الغِلِّ والحقد ولا يحمل تجاههم إلا الخير، وبلسانك بأن يكون سليمًا من الطعن والقدح ولا تتكلم عنهم إلا بخير.

(ولَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وتَجرَحُ): لما أَمر ورغَّب صاحبَ السنة في أن يقول في الصحابة خير قول، حذره من أن يقع في الطعن والتجريح لأي أحد منهم.

(طعانًا) أي: كثير الطعن، والمقصود النهي عن الطعن في الصحابة، وليس المقصود النهي عن المبالغة في الطعن، فقد يأتي علىٰ وزن (فعَّال) ما لا يُراد به المبالغة كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]. أي: ليس بذي ظلم.

وفي الحديث عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «**ليس المؤمن بالطعَّان ولا اللعان ولا الفاحش والبذيء**»[١]؛ أي: ليس بذي طعن، وليس بذي لعن، هذا مع عموم المسلمين، فكيف بالأمر مع الصحابة المعَدَّلين.

(تجرح) الجرح هو الكَلْمُ، فالخوض فيما شجر بين الصحابة والنيل منهم ليس دأب أهل السنة ولا من منهجهم، بل هو شأن أهل الأهواء وسبيل أهل الضلال.

والناظم هنا يقرر عدالة الصحابة ومكانتهم، الذين شرفهم الله بصحبة نبيه ﷺ وسماع الوحي منه غضًّا طريًّا، فهم عدول ثقات، وهم حملة الدِّين ونقَلتُه للأمة.

يقول ابن مسعود -رضي الله تعالىٰ عنه-: «مَن كان متأَسِّيًا فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ؛ فإنَّهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلَّها تكلفًا، وأقومَها هديًا، وأحسنَها حالًا، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٣٨٣٩)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٣٢٠).

لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنَّهم كانوا علىٰ الهدىٰ المستقيم».

ومن هنا يُعلم أنَّ أيَّ طعن في الصحابة فإنما هو طعن في الدين؛ لأن الطعن في الناقل طعن في المنقول؛ لأن الصحابة هم الذين نقلوا الدين؛ ولذا ما من حديث نرويه عن النبي ﷺ إلا والواسطة بيننا وبينه أحد الصحابة، فالطعن فيهم طعن في الدين.

ولذا يقول أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيتم الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلموا أنه زنديق؛ لأن الدين حق، والقرآن حق، وإنما نقل لنا ذلك الصحابة، فهؤلاء أرادوا الجرح في شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، وهم بالجرح أولىٰ، وهم زنادقة».

فتكفير الصحابة وتكذيبهم دسيسة من دسائس اليهود، وليس المقصود به الطعن في الصحابة ذاتهم، وإنما المقصود الحيلولة بين الناس وبين الدين، فعندما يُروِّج الروافض أن أبا هريرة رضي الله عنه كذَّاب أو غيرَه من الصحابة؛ فإنَّ مَن انطلت عليه هذه الدعاية ينصرف عن الدين ولا يثق به ولا يطمئن لعدم ثقته بمن نقله، فإن الطعن في الناقل طعن في المنقول، وأيُّ ثقة تبقىٰ في دين يُرمىٰ حملته بالكذب ويُتَّهمون بالكفر، وبهذا يُعرَف مراد القوم.

وقد حذَّر النبي ﷺ من سب الصحابة أشد التحذير، وأمر بالإمساك عن القدح فيهم أو الطعن.

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[1].

---

(١) البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤١).

وثبت عنه ﷺ فيما رواه عنه ابن مسعود ﷺ أنَّه قال: «**إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا**»(١). والمراد: إذا ذُكروا بغير الجميل.

فالصحابة -رضي الله تعالىٰ عنهم- لا يُذكرون إلَّا بالخير والجميل والإحسان، مع الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان، خلاف ما يفعله ذوو القلوب المنكوسة والعقول المعكوسة من خوضٍ في الصحابة أو بعضهم طعنًا وتنقُّصًا وسبًّا وتجريحًا، ففعلوا نقيض ما أمروا به، واقترفوا ضد ما دُعوا إليه.

روىٰ مسلم في صحيحه عن عائشة -رضي الله تعالىٰ عنها- قالت لعروة بن الزبير: «يا ابن أخي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبيﷺ فسبُّوهم!»(٢).

نعوذ بالله من الزيغ والبهتان، ونسأله سبحانه ألَّا يجعل في قلوبنا غِلًّا لأحد من أهل الإيمان، وأن يغفر للصحابة الأبرار العدول الأخيار، ولكل من اتبعهم بالخير والإحسان.

ثم إنَّ الناظم لمَّا بيَّن مكانة الصحابة، وحثَّ علىٰ قول الخير فيهم، وحذَّر من الطعن فيهم، قال مبينًا الدليل علىٰ ما ذكر:

فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ   وَفِي الفَتْحِ آيٌ للصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

ما سبق هو تقرير لمعتقد أهل السنة في الصحابة، وهذا البيت فيه دليل ذلك المعتقد؛ ولذا فإنَّ المنظومة علىٰ اختصارها ذُكِرت فيها المباحث بأدلتها.

وقوله (**فقد نطق...**) من قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (١٤٤٨)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٣٤).

(٢) مسلم برقم (٣٠٢٢).

نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية:٢٩].

(**الوحي**) هو القرآن الكريم كلام الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

(**المبين**) الواضح البيِّن الذي لا لبس فيه ولا غموض، والمبيِّن للشرائع والأحكام، والموضح لطريق الحق والهدىٰ من الباطل والضلال.

(**بفضلهم**) الجار والمجرور متعلق بالفعل (نطق)، والقرآن مليء بالأدلة التي تبين فضل الصحابة، ومن ذلك ما أشار إليه الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

(**وفي الفتح آي للصحابة تمدح**) وفي نسخة (**في الصحابة تمدح**) يشير إلىٰ أنَّ الوحي مليء بالأدلة الدالة علىٰ فضل الصحابة، وينبه في الوقت نفسه علىٰ كثرة الآيات في سورة الفتح التي تمدح الصحابة وتبين فضائلهم.

وعند تأمل هذه السورة نجد مواضع كثيرة فيها مشتملة علىٰ مدح الصحابة:

ففي أول السورة قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح:٤].

ثم بعدها بآيات: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:١٠].

ثم ذكر حال المخلَّفين من الأعراب، ثم قال: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:١٨].

ثم بعدها بآيات قال: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح:٢٦].

ثم ختم السورة بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح:٢٩].

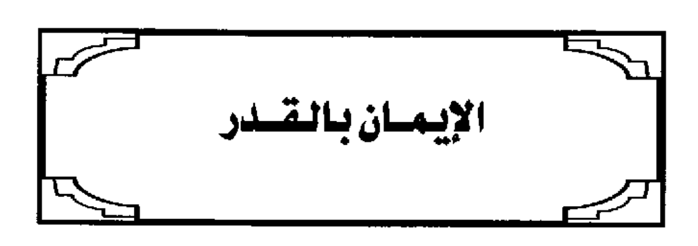
فكل هذه الآيات في فضل الصحابة، بل الآية الأخيرة فيها ذكر فضل الصحابة في القرآن، وبيان فضلهم في التوراة والإنجيل، بذكر مثلهم في التوراة وهو أنَّهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾.

ومثلهم في الإنجيل وهو أنَّهم: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ﴾.

وهذه الآية احتج بها بعض السلف منهم الإمام مالك علىٰ كفر الروافض؛ لأن الله يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ﴾.

وبهذا أنهىٰ الناظم الكلام عن الصحابة؛ حيث بيَّن مكانتهم وفضلهم، وحذَّر من الطعن فيهم والجرح لهم، وقرَّر بإيجاز عقيدة أهل السنة والجماعة فيهم -رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم أجمعين-.

* * *



الإيمان بالقدر

٢١- وَبِالْقَدَرِ المَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ ... دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ، وَالدِّينُ أَفْيَحُ

هذا البيت في إثبات الركن السادس من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر.

كما جاء في حديث جبريل المشهور، قال: «أخبرني عن الإيمان. قال: **أنْ تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**». وهذا جزء من حديث طويل خرجه مسلم عن ابن عمر عن أبيه عمر -رضي الله تعالىٰ عنهما-.

والحديث له قصة كما في مسلم، فإن ابن عمر جاءه رجلان فقالا له: «إنَّ قِبَلَنَا قومًا يقرءون القرآن، ويقولون: إن الأمر أُنُفٌ ولا قدر. فقال ابن عمر: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم وأنَّهم برآء منِّي، والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أنَّ لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قُبل منه حتىٰ يؤمن بالقدر، فإني سمعت أبي يقول: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ...» وذكر الحديث[1].

فالإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين، وعمود من أعمدته، وإنِ انهدم فلا يبقىٰ إيمان ولا دين، فالدين له فروع كثيرة ولكنه يقوم علىٰ ستة أصول لا ينفك بعضها عن بعض؛ منها الإيمان بالقدر، وبزوال شيء منها ينهدم الدين ولا يبقىٰ.

---

(١) مسلم برقم (٨).

ولذا جاء عن ابن عباس -رضي الله تعالىٰ عنهما- قال: «القدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله، وكذَّب بالقدر؛ فقد نقض تكذيبُه توحيدَه»؛ أي: أنَّه إذا لم يكن إيمان بالقدر فليس هناك توحيد.

والكفر بالقدر كفر بالله كما قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القدر قدرة الله».

وقد جاء في القرآن نصوص كثيرة واضحة الدلالة ليس فيها أدنىٰ إشكال في أن الأمور كلها بقدر:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ:٢-٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٤٠].

فكل شيء بقدرٍ؛ الأعيانُ والصفاتُ، فأعيان المخلوقات وكذلك ما يقوم بها من صفات كالحركات والسكنات والكلام والسكوت كلها بقدر.

وقد جاء عن ابن عباس -رضي الله تعالىٰ عنهما- عند البخاري في خلق أفعال العباد[1]: «كل شيء بقدر حتىٰ وضعك يدك علىٰ خدك».

ولا تسقط ورقة من شجرة إلا بقدر، حتىٰ العجز والكيس بقدر قدَّره الله وقضاه، كما قالﷺ: «**كلُّ شيءٍ بقدر حتىٰ العجز والكيس**» رواه مسلم[2] من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

---

(١) برقم (٩٦) معلقًا.

(٢) مسلم برقم (٢٦٥٥).

فكل شيء بقدر ولا يمكن أن يكون في الكون شيء لم يُرِدْهُ الله ولم يخلقه؛ إذ الملك ملكه، والخلق خلقه، والإيمان بهذا واجب، وقد أجمع أهل السنة عليه.

وتتلخَّص عقيدتهم في الإيمان بالقدر: بأن يؤمن العبد بأنَّ الله سبق في علمه وجود الكائنات، وما يعمله العباد من خير وشر، وكتب كلَّ ذلك في اللوح المحفوظ، وأنَّ وجود أيِّ شيء من ذلك إنَّما يكون بمشيئته، وأنَّه سبحانه الخالق لكلِّ شيء.

وعليه؛ فالإيمان بالقدر لا يكون إلا بالإتيان بمراتب القدر، وهي أربع مراتب:

١- **الإيمان بعلم الله الأزلي**، وأنه أحاط بكل شيء علمًا، وأنه علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣].

يقول تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ:١-٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:١٦].

٢- **الإيمان بالكتابة**، وأن كل شيء كُتب ودُوِّنَ في اللوح المحفوظ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٢-٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله تعالىٰ عنهما- قال رسول الله ﷺ: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه علىٰ الماء»** رواه مسلم(١).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، فجرىٰ فِي تلك الساعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة»** رواه أحمد والترمذي(٢).

٣- الإيمان بالمشيئة، وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال رسول الله ﷺ في وصيته لابن عباس -رضي الله تعالىٰ عنهما-: **«واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضرُّوك بشيء؛ لم يضروك إلَّا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجَفَّت الصحف»**(٣).

وللشافعي أربعة أبيات يقول عنها ابن عبد البر: إنها من أثبت ما نسب إليه، ومن أحسن ما قيل في القدر نظمًا:

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِن لَم أَشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إِن لَم تَشَأْ لَم يَكُنْ

خَلَقْتَ العِبَادَ عَلَىٰ مَا عَلِمْتَ ... وَفِي العِلْمِ يَجْرِي الفَتَىٰ وَالمُسِنْ

---

(١) مسلم برقم (٢٦٥٣).

(٢) أحمد في «المسند» برقم (٢٣٠٨٣)، والترمذي برقم (٢١٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢٠١٧).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٩٥٧).

عَلَىٰ ذَا مَنَنتَ وَهَذَا خَذَلتَ ... وَهَذَا أَعَنتَ وَذَا لَم تُعِنْ

فَمِنْهُم شَقِيٌّ وَمِنْهُم سَعِيدٌ ... وَمِنْهُم قَبِيحٌ وَمِنْهُم حَسَنْ

٤- **الإيمان بالإيجاد والخلق**، وأن الموجد الخالق للأشياء كلِّها هو الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

فهذه هي مراتب القدر، وليس هناك مخلوق إلا ويمر بهذه المراتب، وهذه المراتب لا إيمان بالقدر إلا بالإيمان بها، وكل مرتبة منها عليها عشرات الأدلة من الكتاب والسنة، وقد جمع أحدهم هذه المراتب في بيت واحد فقال:

عِلْمٌ كِتَابَةُ مَولَانَا مَشِيئَتُهُ ... وَخَلْقُهُ وَهوَ إِيجَادٌ وَتَكوِينُ

ثمَّ إنَّه قد نشأ في الأمة فرقتان ضلَّتا في هذا الباب: فرقة كان ضلالها بنفي القدر، وأخرىٰ بالغلو في إثباته، وكلاهما علىٰ طرفي نقيض، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، وخير الأمور الوسط.

وغلاة منكري القدر كانوا ينكرون القدر بمراتبه الأربعة، وهؤلاء ذكر غير واحد من أهل العلم أنهم انقرضوا، ثم صار أمر خَلَفِهم إلىٰ إثبات العلم والكتابة وإنكار المشيئة والإيجاد، فيقولون: «إن الله علم فعل الإنسان وكتبه، ولكنه لم يشأه ولم يوجده، وإنما خلقه الإنسان».

وكان **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «ناظروا القدرية بالعلم، فإن جحدوه كفروا، وإن أقروا به خصموا».

وهؤلاء يسمَّون: القدرية النفاة، وهم المعتزلة، وهم الذين ورد فيهم أنهم مجوس

هذه الأمة؛ لقولهم بخالِقَين؛ كالمجوس الذين قالوا بإثبات خَالِقَين: النور والظلمة، والمعتزلة أثبتوا خَالِقَين: الله وهو خالق الأعيان، والإنسان وهو خالق أفعاله.

ويقابل هؤلاء القدرية المجبرة وهم الجبرية الجهمية، وهؤلاء غلوا في إثبات القدر، قالوا: أفعال العباد بقدرة الله ولا قدرة ولا مشيئة للعبد فيها؛ بل هو كالورقة في مهب الريح، مجبور علىٰ فعل نفسه، والفاعل الحقيقي هو الله، والإنسان ليس له مشيئة؛ بل هو مثل الورقة في مهب الريح، ومن هنا سُمُّوا جبرية، وهؤلاء لا يطبقون مذهبهم في كل شيء؛ بل يطبقونه في حالات دون حالات، وهذا تناقض، والتناقض دليل فساد المذهب.

وهذه عادة أهل البدع الوقوع في التناقض، فإنه لو زنىٰ الجبري وترك الصلاة وارتكب الموبقات فاعترض عليه أحد قال: أنا مجبور كالورقة في مهب الريح، بينما هو نفسه لو جاء شخص وضربه أو اعتدىٰ علىٰ ماله أو حقٍّ من حقوقه وقال: أنا كالورقة في مهب الريح؛ لم يقبل منه الجبري ذلك، وهذا هو التناقض، فهو في الأمور التي يحبها يقول: أنا مجبور، وإذا فُعل به ما يكره ترك مذهبه.

ومن هنا يعلم أن مذهب أهل البدع ليس عن عقيدة؛ وإنما هو عن أهواء وشهوات.

ولذا قال بعض أهل العلم لأحدهم: «أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري»؛ لأنه إذا فعل الطاعة قال: أنا الفاعل لها بمشيئتي ولا قدرة لله عليها، وإذا فعل المعاصي قال: أنا مجبور ولا مشيئة لي، وهذا يبين أنَّهم أهلُ أهواء ومتبعون لحظوظ النفس.

ويُرد علىٰ الفرقتين بقوله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

ففي قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ رد علىٰ الجبرية.

وفي قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ رد علىٰ القدرية.

(وبِالقَدَرِ المَقدُورِ أَيقِنْ) أي: آمن بالقدر المقدور؛ أي: الصادر عن الربِّ سبحانه مقدرًا محكَمًا، وقد عرفنا أنَّه لا إيمان بالقدر إلَّا بالإيمان بمراتبه الأربعة.

وقوله: **(أَيْقِن)** اليقين ضد الشك، والمراد: أي لا يكن في قلبك أيُّ شكٍّ فِي ذلك، فاليقين انتفاء الشك، وهو تمام العلم وكماله، فإذا وجد شكٌّ أو ترددٌ أو ظنٌّ؛ ذهب اليقين، ولا يكفي العلم فقط بل لابد من اليقين.

(فَإِنَّهُ دِعامَةُ عقدِ الدِّينِ): **(الدِّعامة)** بكسر الدال-: عماد البيت وأساس البناء، و**(العِقْد)**- بكسر العين-: القلادة، فالدين عبارة عن عِقد ينتظم أمورًا كثيرةً، وله شُعب متنوعة وأجزاء متعددة وأعمال وفيرة، وله أعمدة ودعائم يقوم عليها بناؤه، والإيمان بالقدر هو أحد هذه الأعمدة والدعائم التي يقوم عليها هذا البناء، وهذا يؤكد أن زوال هذا الركن يؤدي إلىٰ زوال الدين والإيمان، وانفراط هذا العقد المبارك.

(والدِّين) (أل) هنا للعهد، وهو إما ذهني أو ذكري، وهو هنا ذهني؛ أي: الدين المعهود وهو دين الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

ولا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(أَفيحُ): أي: واسع، فيه أعمال كثيرة، وطاعات عديدة، وعبادات متنوعة وأحكام جليلة، ولكنه يقوم علىٰ أعمدة راسخة وأسس متينة، ومن تلك الأعمدة: **الإيمان بالقدر.**



وينبغي أن يعلم أنه لا يتنافىٰ مع الإيمان بالقدر فعل الأسباب؛ بل إنَّ من تمام الإيمان بالقدر فعل الأسباب.

ويوضحه حديث علي ﷺ عن رسول الله ﷺ عندما قال له بعض الصحابة: «فِيمَ العمل؟ أفي أمر مستأنف أم في أمر قدر وقضي؟ قال: **بل فيما قدر وقضي**. قالوا: فَفِيمَ العمل؟ قال: **اعملوا، فكلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له؛ فمَن كان مِن أهل السعادة يسره الله لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة يسره لعمل أهل الشقاوة**»(١).

وهذه الكلمة من النبي ﷺ فيها بَردُ اليقين والشفاء؛ ولذا لما قال لهم ذلك كان منهم أمران: آمنوا بالقدر، وتنافسوا في فعل الأعمال، واجتهدوا في الإتيان بالطاعات.

وقوله ﷺ: «**اعملوا**» لا يُوجَّه لمن لا مشيئة له، بل هو موجه لمن له مشيئة يختار بها ما يريد، وهذا يدل علىٰ أن الإنسان عنده مشيئة بها يختار ما يريد، وهذا متقرِّر عند كل الناس فِي أمر الدنيا.

وقوله ﷺ: «**فكلٌّ ميسر لما خلق له**»؛ أي: أن مشيئة العبد التي يعمل بها تحت مشيئة الله، فالعبد له مشيئة بها يختار ويريد وليس مجبَرًا كالورقة في مهبِّ الريح.

فإذا كان الأمر كذلك؛ فإن علينا أن نحرص علىٰ ما ينفعنا ونستعين بالله ونطلب منه العون والتوفيق، كما قال ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة ﷺ: «**احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله**»(٢).

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٤٨)، ومسلم برقم (٢٦٤٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

الإيمان باليوم الآخر

٢٢- وَلَا تُنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا ... وَلَا الحَوْضَ وَالمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

٢٣- وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظِيمُ بِفَضْلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

٢٤- عَلَىٰ النَّهْرِ فِي الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

٢٥- وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ ... وَقُلْ فِي عَذَابِ القَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ

هذه الأبيات يتحدث فيها الناظم عن الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان الستة، وقد مر في الأبيات السابقة بعض هذه الأركان، وهذه الأركان الستة مترابطة لا ينفك بعضها عن بعض، والإيمان ببعضها يوجب الإيمان ببعضها الآخر، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

وقد جمع بين هذه الأركان في نصوص كثيرة من القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦].

فالإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الدين، ومن لا يؤمن باليوم الآخر لا يؤمن بالله.

والناظم يتحدث هنا عن هذا الركن العظيم، ولأن المنظومة مختصرة لا مجال فيها للبسط والإطناب، فإنَّه أشار إلىٰ بعض الأمور الكائنة في اليوم الآخر مُنَبِّهًا بذلك إلىٰ الأمور الأخرىٰ التي لم يتمكن من ذكرها؛ مراعاة للاختصار.

وقد ذكر في هذه الأبيات الأربعة جملة من أمور يوم القيامة؛ فذكر منكرًا ونكيرًا، والحوض، والميزان، وإخراج عصاة الموحدين من النار، والشفاعة، وعذاب القبر.

والإيمان باليوم الآخر ضابطه: الإيمان بكل ما أخبر الله به وما أخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت، وهذا من أجمع ما يكون في تعريف الإيمان باليوم الآخر؛ لشموله لكلِّ ما يكون بدايةً من دخول القبر إلىٰ افتراق الناس إلىٰ فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بأشراط الساعة؛ لأنها أمارات وعلامات علىٰ دنوِّها وقرب مجيئها، قال تعالىٰ: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد:١٨].

وفي حديث جبريل قال: «أخبرني عن الساعة؟ قال: **ما المسئول عنها بأعلم**

من السائل، قال: أخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»[(١)].

فالساعة لها علامات كبرى تكون عند قرب قيامها، وعلامات صغرى تكون قبل ذلك، فالإيمان بهذه العلامات من الإيمان باليوم الآخر.

ثم الإيمان بالقبر وفتنته وعذابه ونعيمه، وأنَّ الناس يُفتنون في القبور، قالﷺ: «عذاب القبر حق»[(٢)]، وقد كان يتعوذ منه دبر كلِّ صلاة.

(وَلَا تُنْكِرَنْ): (لَا) ناهية، و(تُنْكِرَن) من الإنكار وهو الجحد وعدم الإثبات.

(جهلًا): مفعول لأجله؛ أي: لا تنكر وجودهما لأجل جهلك وبسبب قلة علمك.

(نكيرًا ومنكرًا): هذان ملكان من ملائكة الله، زرق العيون، سود الوجوه، كما في الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ: «إذا قبر الميت -أو قال: أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنَّك تقول هذا، ثُمَّ يفسح له في قبره سبعون ذراعًا فِي سبعين، ثُمَّ يُنوَّر له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلىٰ أهلي فأخبرهم، فيقولان: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتىٰ يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنَّا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه،

(١) تقدم (ص٦٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٧٢)، ومسلم برقم (٥٨٤).

فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبًا حتىٰ يبعثه الله من مضجعه ذلك»[1].

وسبب هذه التسمية لأنهما يأتيان علىٰ صورة منكرة لم يعهدها الإنسان، وليس فيها أنسٌ للناظرين، ويُسمَّيان الفتَّانان؛ لأنهما يفتنان الناس في قبورهم.

فالإيمان بالمنكر والنكير من الإيمان باليوم الآخر.

وقد سأل رجل الإمام أحمد: «هل نقول المنكر والنكير أو الملكين؟ قال: المنكر والنكير هكذا هو».

فالحديث صح في ذكر هذين الاسمين، فيجب الإيمان بهذين الاسمين.

والمعتزلة الذين يحكمون عقولهم في الشرع يردون هذا ولا يؤمنون به، ويقولون: لا يصح أن يقال عن بعض ملائكة الله أنه منكر ونكير؛ فأنكروا هذا بالعقل، وهذا من غلبة الجهل وقلة العلم من هؤلاء بالشرع، ولذا قال الناظم: (**جَهلًا**)؛ أي: لا تنكرن يا صاحب السنة بسبب الجهل هذا الأمر.

وهذا إشارة منه إلىٰ أنه لا ينكر منكرًا ونكيرًا إلا الجاهل، أما العالم بالكتاب والسنة فإنه يؤمن به.

والمعتزلة وإن كانوا أهل كلام فإنَّهم ليسوا أهل علم.

ولذا قال أبو يوسف: «العلم بالكلام جهل، والجهل بالكلام علم».

فالعلم: قال الله، قال رسولهﷺ، قال الصحابة، فالمتكلم وإن كان صاحب فصاحة وبيان ومنطق وجدل فإنَّه جاهل لا علم له.

ثُمَّ إنَّ هذين الملكين يأتيان العبد في قبره ويجلسانه ويسألانه: مَن ربك؟

---

(١) الترمذي برقم (١٠٧١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» برقم (١٠٧١).

وما دينك؟ ومَن نبيك؟ ولذا من الأمور المهمة نشر هذه الأصول الثلاثة بين الناس، وتعليمهم إياها لأنَّها أول ما يسأل عنه الإنسان في قبره، ولذا كان من نصيحة الإمام محمد بن عبد الوهاب للأمة تأليفه لرسالته الجليلة «الأصول الثلاثة وأدلتها».

وعلىٰ ضوء جواب الإنسان علىٰ هذه الأسئلة وتثبيت الله له من عدم تثبيته يكون الناس علىٰ قسمين: قسم يُعذَّبون في قبورهم، وقسم يُنعَّمون.

وعذاب القبر حق، قال الله في حق آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦]. فهم الآن يُعذَّبون في القبر يوميًّا إلىٰ قيام الساعة، وهذا حال كل كافر بالله، أمَّا أهل التوحيد ممن هم عصاة وأهل كبائر ليس تعذيبهم في القبر كتعذيب الكافر، وإنَّما يُعذَّبون علىٰ قدر كبائرهم، وأما المؤمن فإنَّه مُنَعَّم في قبره.

ولا يجوز إنكار عذاب القبر ونعيمه بالعقل والمنطق والتجارب، خاصة تجارب الملاحدة حيث قالوا: «حفرنا القبور فلم نجد جنة ولا نارًا، ولم نَرَ عذابًا ولا نعيمًا»، وليكن؛ فإنَّ الله تعالىٰ يقول في صفة المتقين: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:٢-٣]؛ أي: يؤمنون بكُلِّ ما غاب عنهم مِمَّا أخبرتهم به رسل الله عليهم السلام.

ثُمَّ إنَّ الناظم قد بدأ كلامه عن الإيمان باليوم الآخر بالكلام عن الملكين منكر ونكير؛ إشارة إلىٰ أنَّ القبر وما فيه هو أول منازل الآخرة، وأنَّ من مات قامت قيامته، والمؤمن يؤمن بهذا وبكل ما يكون بعده؛ فنؤمن بالنفخ بالصور؛ وهو قرن يُنفخ فيه، والموكول به إسرافيل، والنفخات الثلاث: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام.

ويعض العلماء جعلها نفختين، والصحيح أنها ثلاث، وكلها ذكرت في القرآن:

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل:٨٧].

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

فينفخ في الصور النفخة الأولىٰ فيفزع الناس، ثم ينفخ فيه فيصعقون، ثم ينفخ فيقومون لرب العالمين، وفي الحديث أن بينهما أربعين، ولا يُدرىٰ أربعين ماذا؟ وجاء في وصف قيامهم بأنَّهم: «**يقومون حفاةً عراةً غرلًا**»(١).

وكذلك الإيمان بالحشر؛ أي: حشر الناس في عرصات يوم القيامة لله، ويحشرون كلهم من أولهم إلىٰ آخرهم، يُجمَعون علىٰ صعيد واحد: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٧].

وكذلك الإيمان بدنو الشمس من الخلائق، وتفاوت الناس في العرق، ومن يظلهم الله في ظله ومن لا يُظلُّهم.

وكذلك الإيمان بالدواوين، ومجيء الرب لفصل القضاء، والإيمان بالصراط، وكل ما جاء في الكتاب والسنة.

وفي ذكر الناظم للمنكر والنكير، وتحذيره من إنكار وجودهما، وإنكار ما يقومان به من مهامَّ بأمر الله ﷻ، وهما ملكان من الملائكة؛ إشارةٌ إلىٰ وجوب الإيمان بالملائكة عمومًا، وبأسمائهم ووظائفهم وأوصافهم وأعدادهم الواردة في الكتاب والسنة، إجمالًا فيما أجمل وتفصيلًا فيما فُصِّل، بل الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصوله العظام.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥٩).

(وَلَا الحَوضَ والمِيزَانَ إِنَّكَ تُنصَحُ)؛ أي: ولا تنكرن جهلًا الحوض المورود، والذي أعده الله لنبيه ولأمته، وجاء وصف هذا الحوض في السنة أنَّ: «**طوله شهر، وعرضه شهر، وماءه أحلىٰ من العسل، وأطيب من ريح المسك، وعدد كيزانه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا**»[1].

وأحاديث الحوض متواترة كما ذكر ذلك السيوطي وغيره، وذكر أنه مروي عن خمسين صحابيًّا.

وجاء في الحديث: «**لكلِّ نبي حوض**»[2].

وفي بعض الأحاديث ذكر ﷺ: «**أن بعض الناس يذاد عن هذا الحوض فيقول النبي: أصحابي أصحابي، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[3]، وهو محمول علىٰ مَن ارتدَّ عن الإسلام ومات مرتدًّا.

ومِنَ العجب أن يحمل الروافض هذا الحديث علىٰ صحابة النبي ﷺ، مع أنَّهم ومَن علىٰ شاكلتهم هم المعنيون بهذا الحديث؛ لأن الصحابة لم يغيروا، ولم يحدثوا بعده، كما قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

وأمَّا الذين بدَّلوا وحرَّفوا هم الروافض، حتىٰ إنهم حرَّفوا القرآن وزادوا فيه وأنقصوا، فهم رموا الصحابة بما هم أهله.

والشاهد: أن الإيمان بالحوض المورود واجب، ولا ينكره إلا جاهل بالحديث.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٤٣)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٥٨٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥٨٢)، ومسلم برقم (٢٣٠٤).

(**والميزان**): أي: ولا الميزان، فإن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالميزان الذي ينصب يوم القيامة: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

فتوزن الأعمال والدواوين والأشخاص، وهو ميزان حقيقي له كفتان يوضع علىٰ كِفَّة الحسنات، ويوضع علىٰ كِفَّة السيئات.

ومن ذلك حديث البطاقة، والشاهد فيه ذكر الكِفَّتين، وهو قوله: «**فتوضع البطاقة في كفة، والسجلات في كفة**».

وجاء في بعض الآثار: «**له لسان وكِفَّتان**»، وهو مروي عن ابن عباس -رضي الله تعالىٰ عنهما-، ذكره أبو الشيخ من طريق الكلبي، ويروىٰ أيضًا عن الحسن، ولم يأتِ ذكر اللسان في حديث مرفوع.

وأحاديث الميزان متواترة، والقرآن مليء بالآيات عن الميزان، وهي موازين تزن بمثاقيل الذر: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

ويدخل تحت هذا: الإيمان بالدواوين، وأخذ الكتاب باليمين أو بالشمال من وراء الظهر، وما يتبع ذلك من نعيم أو عذاب، ومن انقسامٍ إلىٰ فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

٢٣- وَقُـلْ يُخْـرِجُ اللهُ الْعَظِـيمُ بِفَـضْلِهِ ... مِـنَ الـنَّارِ أَجْسَادًا مِـنَ الفَحْـمِ تُطْرَحُ

٢٤- عَلَىٰ النَّهْـرِ فِي الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحِـبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

هذان البيتان يذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيهما أهل الكبائر من عصاة الموحدين الذين أُدخلوا النار بسبب كبائرهم وذنوبهم، وأنَّهم يخرجون علىٰ هذه الهيئة التي

ذكر، وأنَّهم يُطرحون علىٰ أنهار الجنَّة فيحيون بمائه، وتعود لهم صحتهم، وتزدان هيئتهم.

وقد أخذ هذا رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله تعالىٰ عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمَّا أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وَلَكِنْ ناس أصابتهم النار بذنوبهم، فأماتتهم إماتةً، حتىٰ إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائرَ ضبائرَ، فبثوا علىٰ أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون نباتَ الحِبَّةِ تكون في حميل السيل.** فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية». رواه مسلم(١).

وقوله: «ضبائرَ»؛ أي: جماعات.

وفي الصحيحين عنه -رضي الله تعالىٰ عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ، ثم يقول الله تعالىٰ: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا، فيُلقون في نهر الحياء أو الحياة -شكَّ مالكٌ- فينبتون كما تنبت الحِبَّةُ في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»**(٢).

(**وَقُل يُخرِجُ اللهُ العَظِيمُ بِفَضلِهِ**)؛ أي: يخرجهم من النار، وإنما هو فضل من الله، وحتىٰ إذنه للشافع فضل من الله وتشريف له؛ أي: للشافع.

(**مِنَ النَّار أَجسَادًا مِنَ الفَحمِ**) لأن النار أهلكتهم وأماتتهم وأحرقتهم حتىٰ صاروا فحمًا، والفحم هو الجمر الطافي، وهو أسود اللون.

---

(١) مسلم برقم (١٨٥).

(٢) البخاري برقم (٢٢)، ومسلم برقم (١٨٤).

(تطرح)؛ أي: يلقون علىٰ النهر، فالجار والمجرور في قوله (علىٰ النهر) متعلق بالفعل المضارع (تُطرَحُ).

(الفردوس): اسم من أسماء الجنة، ويطلق أيضًا علىٰ أعلىٰ الجنة.

وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس؛ فإنه أعلىٰ الجنة، ووسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن**»[1].

(**كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيلِ**) وفي بعض النسخ (**كحِبَّةِ حَمِيلِ السَّيلِ**): وهما بمعنىٰ واحد.

(**والحِبُّ**) -بالكسر-: هو بذور الصحراء مِمَّا ليس بقوت، وقيل: هو نبت صغير ينبت في الحشيش، وأمَّا (**الحَبَّة**) -بفتح الحاء-: فهي ما يزرعه الناس.

(**وحميل السيل**)؛ أي: الذي يحمله السيل؛ لأن السيل إذا جاء حمل معه البذور، ثم يلقيها علىٰ جنبتيه، ثم تحيا هذه البذور وتنبت بماء السيل، وهكذا الشأن يكون في هؤلاء المخرَجين.

(**إِذْ جَاءَ يَطفَحُ**)؛ أي: إذ جاء ذلك السَّيْل؛ يعني وقت مجيئه، (**يَطفَحُ**)؛ أي: يفيض.

يُقَال: طفح الإناء؛ أي: امتلأ وارتفع الماء فيه.

وهؤلاء الذين ضُرب لهم هذا المثل هم من أهل الكبائر والعظائم فيما دون الشرك، وأمَّا المشركون الكفار فهم مُخلَّدون في النار أبد الآبدين، لا يُقضىٰ عليهم فيموتوا، ولا يُخفف عنهم من عذابها، ولا يخرجون منها أبدًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ

---

(١) تقدم (ص٦١)

كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٦-٣٧].

فهذا شأن الكفار ومآلهم، وأمَّا مرتكبو الكبائر وعصاة الموحدين فحكمهم عند أهل السنة أنَّهم تحت المشيئة، إن شاء الله عذبهم، وإن شاء غفر لهم، وإن أدخلهم النار فلا يخلدون فيها، بل يخرجون بشفاعة الشافعين، وبرحمة أرحم الراحمين.

والبيتان يتضمنان الرد علىٰ الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: إنَّ مرتكب الكبيرة مخلد في النار.

وفي البيتين أيضًا إشارة إلىٰ الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، والإيمانُ بذلك وبكافَّة التفاصيل الواردة في الكتاب والسنة، المتعلقة بالجنة والنار هو من الإيمان باليوم الآخر.

٢٥- وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ القَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ

(وإنَّ رسول الله): فيه الإيمان بالرسول ﷺ وبجميع خصائصه.

والرسول: هو من بعثه الله بوحيه الكريم وذِكْرِهِ الحكيم؛ مبشِّرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

والمراد بـ: (رسول الله) هنا؛ أي: محمد ﷺ، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وقائد الغرِّ المحجَّلين، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، الشافع المشفَّع -صلوات الله وسلامه عليه-.

(للخلق): إشارة إلىٰ الشفاعة العظمىٰ التي تكون في عرصات يوم القيامة،

والتي يغبطه عليها الأولون والآخرون، وهذه الشفاعة من الرسول ﷺ تكون لجميع الخلائق بأن يبدأ الله في حسابهم.

وحديث الشفاعة حديث متواتر، قد ورد من عدَّة أوجه عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ منهم: أبو بكر، وابن عمر، وابن عباس، وأبو هريرة، وأنس، وحذيفة وغيرهم -رضي الله تعالىٰ عن الصحابة أجمعين-.

ومن هذه الأحاديث ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالىٰ عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مِمَّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم، فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم.**

فيأتون آدم عليه السلام **فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نوح.**

فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض، وقد سمَّاك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فيقول: إن ربي عز وجل **قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها علىٰ قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ إبراهيم.**

فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات -فذكرهن أبو حيان في الحديث-، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسىٰ.

فيأتون موسىٰ، فيقولون: يا موسىٰ، أنت رسول الله، فضَّلك الله برسالته وبكلامه علىٰ الناس، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه، فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ.

فيأتون عيسىٰ، فيقولون: يا عيسىٰ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيًّا، اشفع لنا ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فيقول عيسىٰ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله -ولم يذكر ذنبًا-، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ محمدﷺ.

فيأتون محمدًاﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلىٰ ربك ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي ﷻ، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه علىٰ أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب. فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي

نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرىٰ»[(١)].

ويدخل في عموم قول الناظم: (**للخلق شافع**) الإيمان بجميع أنواع الشفاعات الواردة المختصة بالنبي ﷺ، مثل: شفاعته لأهل الجنة بدخول الجنة، وشفاعته لعمه أبي طالب بأن يُخفف عنه العذاب، وشفاعته لأهل الكبائر مِمَّن استحقوا دخول النار بألَّا يدخلوها، ومَنْ دخلها منهم بأنْ يخرج منها، وهذه الشفاعة يشاركه فيها الأنبياء والصالحون والملائكة.

(**وقُل فِي عَذَابِ القَبرِ حَقٌّ مُوضَّحُ**): أي: آمِن وصدِّق بعذاب القبر.

و(**القبر**): مفرد، جمعه: قبور وأقبر، وهو من نعمة الله ومنته علىٰ بني آدم أن هداهم لهذا الأمر تكريمًا وإحسانًا، قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس:٢١]؛ أي: جعل له قبرًا يُوارىٰ فيه بدنه إكرامًا له وتفضلًا عليه، ولم يجعله مِمَّن يلقىٰ علىٰ وجه الأرض فيتعفَّن ويتأذىٰ منه الناس، أو تأكله الوحوش والطيور والسباع.

(**موضح**)؛ أي: موضح في الكتاب والسنة؛ ولذا يجب علىٰ كل مسلم أن يقول: عذاب القبر حق.

والأدلة علىٰ أن عذاب القبر حقٌّ من الكتاب والسنة كثيرة، قال الله تعالىٰ عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

وعن عائشة رضي الله عنها: «أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر

---

(١) البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤).

فقال: **نعم، عذاب القبر حق**. قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلىٰ صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر». رواه البخاري [(١)].

وفي رواية لأحمد: **«أيها الناس، استعيذوا بالله من عذاب القبر، فإنَّ عذاب القبر حق»**[(٢)].

وعن أبي هريرة -رضي الله تعالىٰ عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا تشهَّد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»**. رواه مسلم[(٣)].

* * *

(١) تقدم (ص٧٩).

(٢) أحمد في «المسند» برقم (٢٥٠٢٥).

(٣) مسلم برقم (٥٨٨).

حكم مرتكب الكبيرة والتحذير من مذهبي الخوارج والمرجئة

٢٦- وَلَا تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو العَرْشِ يَصْفَحُ

٢٧- وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

٢٨- وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْزَحُ

هذه الأبيات تشتمل علىٰ بيان حكم مرتكب الكبيرة، وهي أول المسائل التي نشب فيها الخلاف بين فرق الأمة، فنشأت مذاهب الخوارج والمعتزلة والمرجئة، والناظم في هذه الأبيات بيَّن أوَّلًا قول أهل السنة وهو القول الحق، ثم ذكر قول الخوارج محذِّرًا منه، ثم ذكر قول المرجئة محذِّرًا منه.

بدأ بالقول الحق فقال: (**وَلَا تُكْفِرَنْ أَهلَ الصَّلَاةِ وإِنْ عَصَوا ...**):

(**لا**): ناهية؛ والمعنىٰ: لا تعتقد كفر أهل الصلاة وإن عصوا.

كما في الحديث: «**مَن صلَّىٰ صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، واستقبل قبلتنا؛ فهو المسلم، له ما لنا، وعليه ما علينا**»[1].

وفي قوله: (**أهل الصلاة**): إشارة إلىٰ كفر تارك الصلاة، وأنَّ مَن لا يصلي فهو كافر ليس بمسلم، والأدلة علىٰ كفر تارك الصلاة في الكتاب والسنة كثيرة جدًّا،

---

(١) البخاري برقم (٣٩١).

قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١].

وقال تعالىٰ مخبرًا عن أصحاب الجحيم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤٢-٤٣].

وروىٰ مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله -رضي الله تعالىٰ عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**»(١).

وفي المسند وغيره عن بريدة -رضي الله تعالىٰ عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(٢).

وفي المسند وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله تعالىٰ عنهما-، عن النبي ﷺ أنَّه ذكر الصلاة يومًا فقال: «**مَن حافظ عليها؛ كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومَن لم يحافظ عليها؛ لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبَي بن خلف**»(٣).

وروىٰ **الترمذي عن عبد الله بن شقيق قال**: «كان أصحاب رسول الله ﷺ **لا يرون** شيئًا من الأعمال تركه كفر غيرَ الصلاة»(٤).

والنصوص في هذا المعنىٰ كثيرة.

(**وإن عصوا**): سواء ارتكبوا كبائر أو صغائر، فلا يجوز تكفيرهم بذلك،

---

(١) مسلم برقم (٨٢).

(٢) أحمد في «المسند» برقم (٢٣٣٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٤١٤٣).

(٣) أحمد في «المسند» برقم (٦٥٧٦)، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بإسناد حسن». مجموع فتاواه (١٠/ ٢٧٨).

(٤) الترمذي برقم (٢٦٢٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» برقم (٢٦٢٢).

فهو رَحِمَهُ اللَّهُ يتحدث عن حكم المسلم المصلي إذا ارتكب معاصيَ دون الكفر، فإنه لا يكفر ولا يخرج من الدِّين، أما إذا وقع في كفر أو شرك فأمر آخر.

أما هنا فالناظم يتكلم عن أهل الصلاة إذا وقع من أحدهم ذنوب دون الشرك بالله، فإنه لا يجوز تكفيره باتفاق أهل السنة والجماعة ما دام يعلن إسلامه، ولم يأتِ بأمر مكفِّر، أمَّا إذا جاء بأمرٍ مكفِّر فإنَّه يَكفُرُ، وفي عامَّة كتب الفقه يُعقد باب حكم المرتد، وفيه تبيين الأمور التي مَن قالها أو فعلها كفر وارتد عن الإسلام، ولشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة نافعة مختصرة بعنوان: «نواقض الإسلام» ذكر فيها أمورًا عشرة ينتقض بفعل أيٍّ واحد منها الإسلام.

ثُمَّ في تكفير المعيَّن لابد من إقامة الحجة عليه، فإذا أقيمت عليه الحجة، فإنه حينئذٍ يكفره أهل العلم؛ لأنهم أعلم بأحوال الناس ومن يستحق منهم التكفير ومن لا يستحق، وأما عامة الناس فشأنهم الاستفادة من أهل العلم.

والأدلة علىٰ أنَّ أهل الصلاة لا يَكفُرون وإن عصوا كثيرة، من ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

والخطاب للمطيع والعاصي، وناداهم جميعًا باسم الإيمان، وفي هذا دليل علىٰ أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر.

وكذلك قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحجرات:٩].

والاقتتال من كبائر الذنوب، ومع ذلك سماهم مؤمنين؛ فدلَّ ذلك علىٰ أن ارتكاب الكبائر لا يخرج من الملة.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ [البقرة:١٧٨]، وهذه وردت في شأن القاتل، فسمَّىٰ القاتل أخًا لولي المقتول، والأخوَّة هنا أخوَّة الدين، فدلَّ ذلك علىٰ أن القتل وغيره من كبائر الإثم لا ينتقل به المسلم من الدين.

ولمَّا كانت المنظومة مختصرة لا يمكن استيعاب الأدلة فيها، اكتفىٰ الناظم بالإشارة إلىٰ قوله ﷺ: «**كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوَّابون**»[1].

ولهذا قال: (**فكلهم يعصي**): فإذا كان تكفير أهل المعاصي سائغًا فلا يبقىٰ أحد عندئذٍ علىٰ الإسلام، فإنَّ النبي ﷺ أخبر في هذا الحديث الذي أشار إليه الناظم أنَّ كل بني آدم خطاء.

وفي الحديث الآخر قال: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم**»[2].

(**وذو العرش يصفح**): كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وهذا فيه دلالة علىٰ عظيم عفو الله، وجميل صفحه، وسعة مغفرته، وكمال رحمته، وأنَّه سبحانه لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره، فمن تاب؛ تاب الله عليه، والحسنات ماحية للذنوب، والمصائب كفَّارات، والله ذو الفضل العظيم.

(**ذو العرش**): ما يقال فيه (ذو) شأنه شأن المضافات إلىٰ الله، وهي علىٰ نوعين:

١- **إضافة الصفة إلىٰ الموصوف**: كما في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨]. فالجلال والإكرام وصفان لله ﷻ.

٢- **إضافة المخلوق إلىٰ الخالق**: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر:١٥]. فالعرش مخلوق من مخلوقات الله، وهذه الإضافة تقتضي التشريف والتكريم.

---

(١) الترمذي برقم (٢٤٩٩)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» برقم (٢٤٩٩).

(٢) الحاكم في المستدرك برقم (٧٦٢٣)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٩٦٧).

والعرش هو أكبر المخلوقات، وهو سقفها، وهو على المخلوقات كالقبة، والعرش حقيقي، وهو في اللغة: سرير الملك، كما في قوله: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ [النمل:٢٣]؛ أي: ملكة سبأ.

وعرش الرحمن له قوائم كما في الحديث: «**فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش**»[1].

وله حَمَلة، وهم من الملائكة، وعددهم ثمانية: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٧]. وهناك ملائكة حافُّون من حول العرش، وصفات العرش كثيرة.

ويجب الإيمان بوجود العرش، ولا يجوز الخوض فيه بالتأويلات الفاسدة، بل نؤمن بأنَّه عرش حقيقي عظيم كريم مجيد، ونؤمن بجميع صفاته الواردة في القرآن والسنة، ونؤمن بأن الله مستوٍ عليه استواءً يليق بجلاله، كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

أما أهل الكلام فلا يؤمنون بالعرش؛ بل يؤولونه بتأويلات فاسدة، وكذلك يحرِّفون معنى الاستواء، فقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ما من كلمة من هذه الآية إلا وقد حرَّفها هؤلاء، ولهم شُبه بها يجحدون الاستواء.

من أعظمها: لو كان الله مستويًا على العرش للزم أن يكون محتاجًا إليه.

وأساس هذه الشبهة قياس الخالق بالمخلوق، وفَهْمُ الصفة المضافة إلى الله على ضوء فهم الصفة المضافة إلى المخلوق، فهم وجدوا أنَّ المخلوق إذا استوى على شيء يكون محتاجًا إليه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا

---

(١) البخاري برقم (٤٦٣٨)، ومسلم برقم (٢٣٧٤).

وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف:١٢-١٣].
فلو غرق الفلك لغرق مَن عليه، ولو سقطت الدابة لسقط من عليها، فدلَّ علىٰ احتياجه إلىٰ الفلك والأنعام وإلىٰ كل ما يستوي عليه.

ثم جاءوا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ولم يفهموا من الاستواء المضاف في الآية إلىٰ الله إلا عين استواء المخلوق، وقالوا: يلزم من إثبات ذلك احتياجه إلىٰ العرش، فبناء علىٰ هذه الشبهة التي في عقولهم، نفوا استواء الله علىٰ العرش، وبعد ذلك هم أمام أحد خيارين: إما أن يقولوا: الله ليس فوق ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارجه، وإما أن يقولوا: الله في كل مكان، فهم فرُّوا من شرٍّ ثم وقعوا في شرورٍ أعظمَ وبلاءٍ أشدَّ.

وعودًا علىٰ مرتكب الكبيرة، فالقول الحق فيه: أنه لا يكفر، ولا يقال: إنه مؤمن كامل الإيمان، وإنما يقال: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو يقال: مؤمن ناقص الإيمان.

ثم انتقل الناظم إلىٰ ذكر قولين باطلين في المسألة فقال:

(ولا تعتقد رأي الخوارج ...):

(لا تعتقد): لا تؤمن، ولا تَدِنْ.

(رأي الخوارج): عبَّر عنه بأنه رأي؛ لأنه رأي من نتائج عقولهم ومن نسج أفكارهم، لا يقوم علىٰ دليل من الكتاب والسنة.

والخوارج إنما سُمُّوا بذلك لأمرين:

١- أنهم خرجوا علىٰ الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ وكفَّروه وناصبوه العداء.

٢- أنهم خرجوا علىٰ السنة ففارقوها؛ سواء فيما يتعلق بولي الأمر أو بالمسائل الأخرىٰ.

فالناظم يحذِّر من الخوارج، وقد صحت الأحاديث في التحذير منهم.

قال الإمام أحمد: «صحت من عشرة أوجه».

فهو يحذر من رأي الخوارج عمومًا، ومن رأيهم في مرتكب الكبيرة خصوصًا، فإن مذهبهم في مرتكب الكبيرة أنه بذلك يكون كافرًا خارجًا من الملَّة، وهو يوم القيامة من المخلدين في النار أبد الآباد.

والمعتزلة قالوا بقول الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة، واختلفوا في شيء واحد.

فاتفقوا أنه يخرج من الإيمان، وأنه يُخلَّد يوم القيامة في النار.

وخالفوهم في مسألة التنصيص علىٰ أنه كافر، فقالت المعتزلة: ليس بمؤمن وليس بكافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين، فحقيقة قولهم: ليس عنده شيء من الإيمان ولم يدخل في الكفر، وفي الحقيقة مؤدىٰ المذهبين واحد.

(**إنَّه مَقَالٌ لِمَن يَهوَاهُ**): هذا تعبير دقيق؛ لأن هذه الفرق والمذاهب في حقيقة أمرها مجرد أهواء بها يتركون الكتاب والسنة؛ ولذا جاء في الحديث: «**وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء**»[1]. فهو يمتلئ قلبه بالهوىٰ فيعمىٰ بصره، ولا يهتدي إلىٰ حق، ولا يبصر نصًّا ولا حديثًا، بل يمضي في هواه.

والذي يهوىٰ مقال الخوارج لا يحصل من ورائه إلا الخسران والخزي والفضيحة.

ولهذا قال الناظم: (**يُردِي ويَفضَحُ**)، فمآل من يهوىٰ هوىٰ الخوارج: الخسران والردىٰ في الدنيا والآخرة، وكذلك يفضح ويخزىٰ، ولا أعظم من هذا الخزي بأن يكفِّر

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» بهذا اللفظ برقم (٦٩)، وقد صححه الألباني في تحقيقه للسنة.

المسلمين، ويترك الملحدين، ويتسلط على أهل الإسلام، ويسلم منه عُبّاد الأوثان.

ثم انتقل إلىٰ قول المرجئة فقال: (ولا تك مرجيًّا ...):

ما وصف به الناظم المرجئة من أحسن ما يوصفون به، فإن المرجئة يمزحون بالدين ويلعبون به، وكلما غلا المرء في الإرجاء كان مزحه ولعبه بالدين أكبر، فغلاة المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والإيمان عندهم المعرفة فقط، فأيُّ مزحٍ ولعبٍ بالدين أعظم من هذا؟! وأيُّ فتح لباب المعاصي والموبقات أعظم من هذا؟!

ينقل عن أحد المرجئة أنه مرَّ علىٰ رجل يشرب الخمر، فشتمه المخمور، فقال المرجي: أهذا جزائي وقد جعلتك مؤمنًا كامل الإيمان؟!!

والإرجاء في اللغة: التأخير، قال تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف:١١١].

وإنما سُمي المرجئة بذلك؛ لأنهم أخَّروا العمل عن الإيمان، وقالوا: العمل ليس جزءًا من الإيمان.

ثم افترق المرجئة إلىٰ فرق:

* **قسم قالوا**: الإيمان المعرفة فقط.
* **وقسم قالوا**: إنه مجرد التصديق.
* **وقسم قالوا**: إنه مجرد النطق.
* **وقسم قالوا**: إنه مجرد النطق والاعتقاد.

وهم متفاوتون في الإرجاء، متَّفقون علىٰ إخراج العمل من مسمىٰ الإيمان، وبقدر حظهم من الإرجاء والغلو فيه يستحقون من الوصف الذي ذكره الناظم.

ووجه اللعب والمزح في الدين علىٰ ضوء هذه العقيدة: أنَّ الفاسق إذا قيل

له: إيمانك مثل إيمان النبي ﷺ فهل يُقبل علىٰ الدين؟ أم أنَّه سيقول: إذا كان إيماني تامًّا كاملًا وهذه حالي مثلَ إيمان النبي ﷺ، فما الحاجة إلىٰ الالتزام بالدين، فتكون النتيجة إذن هي اتِّخاذ الدين لهوًا ولعبًا.

والغلاة من المرجئة يقولون: كما أنَّه لا ينفع مع الكفر طاعة فإنَّه لا يضر مع الإيمان ذنب، وهذا قول في غاية الخبث والفساد، وهو سبيل لترك الصلوات، ومنع الزكاة، وترك الصيام، والحج وغير ذلك من الطاعات، وذريعة لفعل الفواحش والموبقات، ولا يرتاب عاقل أنَّ هذا لعب بالدين، وأيُّ عبث أفظع وأشد من هذا العبث؟!

وعلىٰ كلٍّ؛ فهذه الأبيات الثلاثة اشتملت علىٰ بيان أقوال الطوائف في مرتكب الكبيرة، وهي ثلاثة أقوال: قول أهل السنة والجماعة؛ وهو قول عدل وسط، وقولان متناقضان.

* * *

تعريف الإيمان وزيادته ونقصانه

٢٩- وَقُـلْ إِنَّمَـا الإِيمَـانُ قَـوْلٌ وَنِـيَّةٌ ... وَفِعْـلٌ عَلَـىٰ قَـوْلِ النَّبِـيِّ مُـصَرَّحُ

٣٠- وَيَـنْقُصُ طَـوْرًا بِالْمَعَاصِـي وَتَـارَةً ... بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الـوَزْنِ يَرْجَحُ

قوله: (**وَقُلْ إِنَّمَا الإِيمَانُ ...**) إلخ.

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت عقيدة أهل السنة في الإيمان، وأنه عندهم يقوم علىٰ ثلاثة أركان: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالقلب والجوارح.

وقد دلَّ علىٰ دخول هذه الأمور الثلاثة في الإيمان أدلة كثيرة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهي لا تُحصَىٰ لكثرتها.

والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كعادته يدعو صاحب السنة إلىٰ العقيدة الصحيحة السالمة من الشوائب فيقول: (**قل إنما الإيمان ...**).

(**قَوْلٌ**): وذلك بأن يقول المرء بلسانه ما أمره الله به، وهو علىٰ قسمين:

١- **أصلٌ**: وهو قول ما يقوم عليه الدين وينبني؛ وهو الشهادتان، وفي الحديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله ...**»(١).

٢- **وفرع**: وهو ما يُبنىٰ علىٰ هذا الأصل وينمو عليه، وهو سائر الطاعات التي

(١) البخاري برقم (٢٩٤٦)، ومسلم برقم (٢١).



تؤدىٰ باللسان؛ كالتسبيح، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ونحو ذلك.

(وَنِيَّة): أي: اعتقاد صحيح في القلب يبني عليه عمله، قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات ...**»[1]، فإذا كان عند الإنسان قول وعمل بلا نية في قلبه فهو المنافق، وهو الذي يكون ذا أعمال صالحة في الظاهر وباطنه بخلاف ذلك، قال الله تعالىٰ في بيان حال المنافقين: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة:١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون:١].

(وفِعْلٌ): أي: أن العمل داخل في مسمَّىٰ الإيمان، ولا يقول بخروجه إلا المرجئة، وقد سبق الكلام عليهم، والفعل هو العمل، وهو شامل لعمل القلب مثل: المحبة، والخشية، والإنابة، والحياء، والتوكل وغيرها من أعمال القلوب.

وعمل الجوارح مثل: الصلاة، والصيام، والزكاة، والجهاد، وبر الوالدين، وصلة الأرحام وغيرها من أعمال الجوارح.

ومن الأحاديث الجامعة لهذه الأمور الثلاثة: حديث أبي هريرة المعروف بحديث شعب الإيمان: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[2].

فهذا الحديث الجامع دلَّ علىٰ دخول ما يكون باللسان والجوارح والقلب

---

(١) البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) البخاري برقم (٩)، ومسلم برقم (٣٥).

في مسمىٰ الإيمان.

أما دلالته علىٰ ما يكون باللسان ففي قوله: «**أعلاها: قول لا إله إلا الله**»، والقول يشمل قول القلب وقول اللسان عندما يطلق.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

فالمراد بقوله ﴿قُولُوٓاْ﴾؛ أي: بقلوبكم وألسنتكم، ولذلك لا ينصرف القول إلىٰ القول باللسان فقط إلا عندما يُقيَّد، قال تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران:١٦٧]، وهي صريحة في أن القول يكون بالقلب واللسان، ولذلك أهل السنة عندما يقولون في كتبهم: الإيمان قول؛ فهو شامل لأمرين: قول القلب، وقول اللسان.

وأمَّا دلالته علىٰ دخول ما يكون بالجوارح في مسمىٰ الإيمان ففي قوله: «**وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق**» وهذا يدل علىٰ دخول الأعمال في مسمىٰ الإيمان، فإماطة الأذىٰ عمل يقوم به الإنسان وهو جزء من الإيمان وشعبة من شعبه.

وأمَّا دلالته علىٰ دخول ما يكون بالقلب في مسمىٰ الإيمان ففي قوله: «**والحياء شعبة من الإيمان**» والحياء عمل من أعمال القلوب، وهو داخل في مسمىٰ الإيمان، فالخشية، والتوكل، والرغبة، والرهبة وغيرها من الأعمال القلبية المأمور بها، كلها داخله في مسمىٰ الإيمان.

(عَلَىٰ قَولِ النَّبيِّ مُصَرَّحُ): (**مُصَرَّح**): مبتدأ مؤخر خبره شبه الجملة، (**علىٰ**

قول النبي) وهذه الأمور الثلاثة مصَرَّحٌ بها كما قال الناظم في قول النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، فمن قال بذلك فقوله مبنيٌّ علىٰ ما جاء عن الرسول ﷺ.

ومما يدل دلالة صريحة علىٰ دخول الأعمال في مسمىٰ الإيمان حديث وفد عبد القيس، وهو ثابت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس -رضي الله تعالىٰ عنهما-، عن النبي ﷺ أنه قال لوفد عبد القيس: «**آمركم بأربع: الإيمان بالله، وهل تدرون ما الإيمان بالله؟: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمس**»[1]، وهو صريح في دخول العمل في مسمىٰ الإيمان، والنصوص في هذا المعنىٰ كثيرة.

(**وينقُصُ طَورًا** ...): أي: الإيمان ينقص تارة، ففي هذا البيت يقرر الناظم أن الإيمان يزيد وينقص، ويقوىٰ ويضعف.

أما الزيادة فمصرح بها في القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ [مريم:٧٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾ [الإسراء:١٠٩].

والهدىٰ والخشوع من الإيمان.

وأمَّا النقصان فمصرَّح به في السنة؛ قال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين** ...»[2]، وهذا النقص لا تحاسب عليه المرأة؛ لأنها مأمورة بترك الصلاة

---

(١) البخاري برقم (٥٣)، ومسلم برقم (١٧).

(٢) البخاري برقم (٣٠٤)، ومسلم برقم (٧٩).

والصيام وقت الحيض.

وقوله ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1].

وقد جاءت آثار عن الصحابة صريحة في أن الإيمان يزيد وينقص، فعن عمير بن حبيب الخطمي أنه قال: «الإيمان يزيد وينقص. قيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبَّحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه».

وفي هذا الباب ورد عنهم وعن السلف عمومًا آثار كثيرة، بل هو محل إجماع وموضع اتفاق.

(**بِطَاعَتِهِ يَنمِي**): أي: أنَّ الإيمان يزيد بطاعة الله، يُقال: نمىٰ يَنْمي نَمْيًا ونماءً؛ أي: زاد وكَثُرَ، وفي نسخة: (**بِطَاعَتِهِ يَنمُو**) وهو بمعناه، يُقال: نما ينمو نُمُوًّا؛ أي: زاد وكَثُرَ.

قال في اللسان: «نمىٰ: النماءُ: الزيادة. نمىٰ ينمي نَمْيًا ونماءً: زاد وكثر، وربَّما قالوا: يَنْمو نُمُوًّا»[2].

(**وفي الوَزنِ يَرجَحُ**): أي: أنه في الميزان يوم القيامة يثقل؛ لزيادته بالطاعات والبعد عن معاصيه.

وفي هذين البيتين بيَّن الناظم أمرين حول عقيدة أهل السنة في الإيمان هما:

١ - أن الإيمان قول وعمل.

---

(١) مسلم برقم (٤٩).

(٢) «لسان العرب» لابن منظور (٨/ ٤٥٥١).

٢- أنه يزيد وينقص.

فالأول فيه رد علىٰ المرجئة، والثاني فيه رد علىٰ المرجئة وكذلك علىٰ الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: إن الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص.

والذي أفسد علىٰ جميع هؤلاء دينهم هو اعتقادهم أن الإيمان كلٌّ واحدٌ لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله.

ثُمَّ إنَّ الإيمان يزيد بأمور ينبغي علىٰ المسلم أن يحرص عليها ليزداد إيمانه؛ منها: تدبُّر القرآن، ومعرفة أسماء الله وصفاته، والتفكر في آيات الله ومخلوقاته، ودراسة سيرة الرسول ﷺ، وسير الأخيار من المؤمنين، والاجتهاد في فعل الطاعات.

وينقص بأمور ينبغي علىٰ المسلم أن يحذرها ليسلم إيمانه؛ منها: اتباع خطوات الشيطان، وطاعة النفس الأمارة بالسوء، والافتتان بالدنيا، ومخالطة أهل الشر والفساد، والغفلة والإعراض، والانسياق وراء الشهوات.

والمسلم العاقل ينصح لنفسه في إيمانه لتثقل به موازينه يوم لقاء الله ﷻ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨].

والناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يشير إلىٰ هذا المعنىٰ عندما قال: **(وَفِي الوَزنِ يَرجَحُ)**.

* * *

التحذير من الرأي، ومن القدح في الحديث وأهله

٣١- وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ   فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَىٰ وَأَشْرَحُ

٣٢- وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ   فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

(ودع): أي: اترك، واحذر، واجتنب.

(آرَاءَ الرِّجَالِ وقَولَهُم): أي: لا تبنِ دينك وعقيدتك علىٰ الآراء المتكلفة والأقوال المحدَثة، بل ابْنِهَا علىٰ الكتاب والسنة ففيهما السلامة والعصمة، وقد جاء عن السلف -رحمهم الله- نقول كثيرة في التحذير من الآراء وذم الرأي وأهله، من ذلك.

قول عمر -رضي الله تعالىٰ عنه-: «إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء الدِّين، أعيتهم السنة أن يحفظوها فأعملوا عقولهم»(١).

وقال عليٌّ -رضي الله تعالىٰ عنه-: «لو كان الدِّين يُؤخذ بالرأي لكان مسح باطن الخفِّ أولىٰ من مسح ظاهره»(٢).

والمراد بالرأي هنا؛ أي: الرأي المذموم القائم علىٰ الحَدْس والظن والعقل

---

(١) الدارقطني في «سننه» برقم (١٢).

(٢) أبو داود برقم (١٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» برقم (١٦٢).

المجرد مع تعطيل النصوص وإهمالها والصدود عنها والإعراض، وهو الرأي الذي أُحدِثت به البدع، وأُنشئت به الضلالات، وعُطِّلت به الأسماء والصفات، فمثل هذه الآراء العاطلة والتقريرات الباطلة لا ينبغي لمسلم أن يُرعيها باله؛ بل الواجب أن تطرح، وأن يُحذَّر منها، وألَّا يُغتر بتزيين أهل الباطل لها.

يقول الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «عليك بالأثر وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإنَّ الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم».

قوله: (**آرَاءَ الرِّجَالِ**): ذِكْرُ الرجال هنا لا مفهوم له، فالرأي الباطل مذموم سواء كان من الرجال أو النساء، ولكن ذَكَرَ الرجال؛ لأنهم أصحاب الرأي في الغالب.

(**فَقَولُ رَسُولِ اللهِ**): أي: الصحيح الثابت عنه ﷺ.

(**أزكى**): أي: أطهر وأنقى وأخلص، وفي بعض النسخ: (أولى)؛ أي: بالأخذ والتقدم.

(**وأَشرحُ**): أي: للصدر وللفؤاد والقلب، وأدعى للطمأنينة، والناس يوم القيامة لا يُسألون إلَّا عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:٦٥]. فلا يُسألون عن آراء الرجال وأقوالهم وإنما يُسألون عمَّا جاءتهم به رسل الله -عليهم صلوات الله وسلامه-.

قوله: (**وَلَا تَكُ مِن قَومٍ ...**) إلخ: هذا البيت في غاية التناسق مع الذي قبله؛ حيث أشاد الناظم في البيت الأول ضمنًا بحملة السنة ونقلة الحديث من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فهؤلاء هم خير الناس وأفضلهم، فليس عندهم آراء منطقية ولا فلسفات عقلية ولا أقوال متكلفة، وإنَّما الذي عندهم تمسك بالنصوص والتزام بالسنة النبوية، ثُمَّ حذَّر في هذا البيت من طريق أهل اللهو والباطل الذين يطعنون في هؤلاء الأئمة الأفذاذ والعلماء الأمجاد فقال:

(وَلَا تَكُ)؛ أي: احذر أن تكون يا صاحب السنة، ويا من هداك الله إلىٰ لزوم هدي خير الأمة.

(مِن قَومٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِم): أي: مِمَّن اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وهذا شامل لأهل البدع والأهواء، وأهل الفسق والفجور، فإنَّ الجميع يشتركون في ذلك بين مُقِلٍّ ومُستكثِرٍ بسبب جهلهم بالسنة، ومَن جهل شيئًا عاداه.

(فَتَطعَن فِي أَهلِ الحَدِيثِ وتَقدَحُ): وهذه نتيجة اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا: السخرية بأهل الحق والتهكُّم بالمتمسكين بالسنة، والوقيعة في أهل الخير والفضل والنبل، وهذه هي حيلة المفاليس في كلِّ زمان وأوان.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ [المطففين:٢٩-٣١].

ولو كان القوم أهل حق وحجة لنَافحوا عنه بالبرهان، ولَقابلوا الحجةَ بالحجةِ، والدليلَ بالدليلِ، ولكن لا حيلة للعاطل المفلس إلَّا التهكم والسخرية والاستهزاء، ومن علامات أهل الأهواء والبدع الوقيعة في أهل الحديث والأثر، وهذا من أعظم العقوق وأشد اللؤم؛ إذ أهل الحديث لم يأتِ منهم إلَّا الأيادي البيضاء والجميل والإحسان.

قال بعض أهل العلم في بيان فضل أهل الحديث وبيان بعض مآثرهم ومناقبهم:

جَزَىٰ الله أَصْحَابَ الحَدِيثِ مَثُوبَة ... وَبَوَّأهم فِي الخُلْدِ أَعْلَىٰ المَنَازِلِ

فَلَولَا اعتِنَاهُم بِالحَدِيثِ وَحِفْظِهِ ... وَنَفيِهم عَنهُ ضُرُوب الأَبَاطِلِ

وَإِنفَاقِهِم أَعْمَارهم فِي طِلَابه ... وَبَحثِهِمُ عَنهُ بِجِدٍّ مُوَاصِلِ

لَمَا كَانَ يدري مَن غَدَا مُتَفَقهًا ... صَحِيح حَدِيثٍ مِن سَقِيمٍ وَبَاطِلِ

وَلَم يَستَبِنْ مَا كَانَ فِي الذِّكْرِ مُجْمَلًا ... وَلَم يَدْرِ فَرْضًا مِن عُمُومِ النَّوَافِلِ

لَقَد بَذَلُوا فِيهِ نُفُوسًا نَفِيسَةً ... وَبَاعُوا بِحَظٍّ آجِلٍ كُلَّ عَاجِلِ

فَحُبُّهُم فَرْضٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ... وَلَيسَ يُعَادِيهِم سِوَىٰ كُلِّ جَاهِلِ

نسأل الله أن يجزيهم عنَّا وعن المسلمين خير الجزاء، وأن يرفع درجاتهم في عليين، وأن يجعل لهم لسان صدق في الآخرين، وأن يغفر لنا ولهم أجمعين.

* * *



خاتمة النظم

٣٣- إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ ... فَأَنْتَ عَلَىٰ خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

لمَّا أنهىٰ النَّاظم منظومته وقد جمع فيها أهم أصول عقيدة أهل السنة، ختم بهذا البيت؛ ليؤكِّد فيه علىٰ أهمية هذا المعتقد، وأهمية المحافظة عليه.

فقوله: (إِذَا مَا اعتَقَدتَ الدَّهرَ...) إلخ: أي: إذا كنت يا صاحبي علىٰ هذه العقيدة المأخوذة من كتاب الله وسنه رسوله ﷺ، ومن أهلها المتمسكين بها، المحافظين عليها فأنت علىٰ خير ما بقيت علىٰ هذا المعتقد.

(إذا): أداة شرط لِمَا يُستَقبَل من الزمان، و(ما) زائدة.

(اعتقدت): الاعتقاد مأخوذ من العقد، وهو الربط؛ لأن أمور العقيدة لابد من ربط القلب عليها بحيث يكون الإيمان بها جازمًا بلا شكٍّ ولا ارتياب، فإنْ وُجِدَ الشك والريب فما ثَمَّ عقيدة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥]؛ أي: أيقنوا ولم يشكوا.

(الدهر): أي مدة حياتك وطوال عمرك، وفي هذا أنَّ المعتقد لا ينفع إلَّا إذا بقي عليه العبد إلىٰ أن يتوفاه الله، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

وقال ﷺ في الدعاء للميت: «اللهم من أحييته منَّا فأحيه علىٰ الإسلام، ومن

توفيه منّا فتوفه على الإيمان»[1].

(يا صاح): مُرخَّم صاحب؛ أي: يا صاحبي، وهذا من لطف الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ وحسن تودده، وكريم نصحه -رحمه الله وغفر له وجزاه خير الجزاء وأوفره-.

(هذه): الإشارة هنا إلى الأصول العظيمة المذكورة في هذه المنظومة، وهي أصول جليلة مبنية على الكتاب والسنة، مَن تمسك بها نجا، ومن انحرف عنها كان من الهالكين.

(فَأَنتَ): أي: كائن، وهو واقع في جواب الشرط.

(عَلَىٰ خَيرٍ تَبِيتُ وتُصبِحُ)، وفي نسخة: (تُمسِي وتُصبِحُ): أي: ما دمت على هذه الأصول مقيمًا، وبها متمسكًا فصباحك ومساؤك ونومك واستيقاظك كله في خير وعلى خير.

وفي هذا إشارة إلى أنَّ المعتقد الصحيح يورث السلامة والخير في كل حال، ويثمر العواقب الحميدة والخير المستمر وحسن المآل، ويدعو إلى الطاعات الصالحة، والأخلاق الحميدة، والآداب الكريمة، وخير الأعمال.

وفي هذا أيضًا دعوة إلى الثبات على هذا المعتقد الحق، والحذر من التلوُّن والتنقُّل، كما هو الحال عند أهل الأهواء.

أمَّا أهل السنة فعقيدتهم ثابتة، وإيمانهم راسخ، ويقينهم مستمر بتوفيق من الله عَزَّ وَجَلَّ.

ثبتنا الله جميعًا على الإيمان، ورزقنا حسن الختام.

---

(١) أبو داود برقم (٣٢٠١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» برقم (٣٢٠١)، وانظر: «أحكام الجنائز» (ص١٥٧).

وبهذا أنهىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المنظومة، وهي علىٰ وجازتها حَوَت أصول المعتقد، وأسس الإيمان، وما لم يُذكر فيها يدلُّ عليه ما ذكر، والله أعلم.

وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

* * *

الخاتمة

وفيها التنبيه علىٰ أمرين:

* الأول:

عدد أبيات هذه المنظومة ثلاثة وثلاثون بيتًا فقط، رواها عنه غير واحد من تلاميذه دون زيادة علىٰ ذلك، منهم:

١ - الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «سير أعلام النبلاء»، وفي «العلو»: «أنشدنا أبو العباس أحمد بن عبد الحميد، قال: أنشدنا الإمام أبو محمد بن قدامة سنة ثمان عشرة وستمائة، أخبرتنا فاطمة بنت علي الوقاياتي أخبرنا علي بن بيان، أخبرنا الحسين ابن علي الطناجيري حدثنا أبو حفص بن شاهين: أنشدنا أبو بكر بن أبي داود لنفسه هذه القصيدة، وجعلها محنته»[1] وذكر الأبيات.

٢ - الإمام أبو بكر بن محمد بن الحسين الآجري.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الشريعة»: «أملىٰ علينا أبو بكر بن أبي داود في مسجد الرصافة في يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة تسع وثلاثمائة ...»[2] وذكر الأبيات.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٣٣)، و«العلو» (٢/ ١٢٢٠).

(٢) «الشريعة» (٥/ ٢٥٦٣).

٣- عبيد الله الفقيه.

قال ابن أبي يعلىٰ في «طبقات الحنابلة»: «أنبأنا علي المحدث، عن عبيد الله الفقيه قال: أنشدنا أبو بكر بن أبي داود من حفظه لنفسه»[1]، وذكر الأبيات.

٤- أبو بكر أحمد بن إبراهيم.

قال أبو الحسن علي بن محمد المعافري المالقي في كتابه «الحدائق الغناء»: «قرأت علىٰ أبي الحسين أحمد بن حمزة بن علي بن الحسن بدمشق عن أبي العز أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن كادش السلمي العكبري قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري، قال: أنشدنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم قال: أنشدنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث لنفسه في السنة رَحِمَهُ اللَّهُ»[2]، وذكر الأبيات.

ولم يزد جميع هؤلاء فيما ذكروه من أبيات هذه المنظومة علىٰ ثلاثة وثلاثين بيتًا.

وقد جاء في آخر كتاب «السنة» لابن شاهين[3] بعد نهاية الكتاب -وهو من لحق بعض النساخ- إيرادٌ لهذه المنظومة مع زيادة سبعة أبيات بعد الأبيات المتعلقة بالعشرة المبشرين بالجنة، فأصبح مجموع أبيات المنظومة بهذه الزيادة أربعين بيتًا.

والأبيات المزيدة هي:

---

(١) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٣).

(٢) «الحدائق الغناء» (ص١٧٦).

(٣) انظر الكتاب اللطيف لشرح مذهب أهل السنة (ص٢٥٥).

وسبطي رسول الله وابني خديجة	وفاطمة ذات النقا أمدح
وعائش أم المؤمنين وخالنا	معاوية أكرم به ثم امنح
وأنصاره والمهاجرون ديارهم	بنصرتهم عن كبة النار زحزحوا
ومن بعدهم فالتابعون لحسن ما	حذوا فعلهم قولًا وفعلًا فأفلحوا
ومالك والثوري ثم أخوهم	أبو عمرو الأوزاعي ذاك المسبح
ومن بعدهم فالشافعي وأحمد	إماما هدىً من يتبع الحق يفصح
أولئك قوم قد عفا الله عنهم	وأرضاهم فأحببهم فإنك تفرح

ولا شك في أنَّ هذه الأبيات المزيدة ليست لابن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إذ جميع من رووا القصيدة من تلاميذه لم يذكروا هذه الزيادة، ومن بينهم ابن شاهين رَحِمَهُ اللَّهُ كما تقدم في رواية الذهبي للمنظومة من طريقه وليس فيها هذه الزيادة، مِمَّا يدل علىٰ أنَّها زيدت في القصيدة بعدُ.

ثمَّ وَجدت أنَّ ثلاثة من هذه الأبيات قد زادها ابن البناء رَحِمَهُ اللَّهُ كما نبَّه علىٰ ذلك السَّفَّاريني في شرحه لهذه المنظومة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «لوائح الأنوار السنية»: «هذه الثلاثة أبيات وأولها قوله: وعائش أم المؤمنين، وثانيها: وأنصاره والمهاجرون ديارهم، وثالثها: ومن بعدهم والتابعون ... ليست من كلام الناظم الذي هو الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود، بل من كلام العلامة المحقق ابن البناء من أئمة علمائنا»[1].

---

(١) «لوائح الأنوار السنية» (٢/ ١٠٥).

وعلىٰ هذا فتبقىٰ أربعة أبيات هي مزيدة علىٰ النظم ولا يُدرىٰ من زادها، لكننا نقطع أنَّها ليست لابن أبي داود -رحمه الله تعالىٰ-، ولا تصح نسبتها إليه.

أمَّا معاني هذه الأبيات فلا شك في حسنها وأهميتها، علىٰ ضعفٍ في تراكيبها وأوزانها، حتىٰ إنَّ القارئ لها ليدرك بمجرد قراءتها أنَّها مقحمة مزيدة.

* **الثاني**:

ابن أبي داود صاحب هذا النظم إمام من أئمة السلف، وعلم من أعلام الأمة، مشهود له بالفضل والإمامة والعلم، بل كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بحور العلم وأوعية السنة وحفَّاظ الحديث، وقد سبق أن أشرت في صدر هذا الشرح إلىٰ طرف من النقول عن بعض الأئمة في الثناء عليه وبيان إمامته وفضله وحفظه وإتقانه.

ورأيت هنا أنَّ مِن المناسب الإشارة إلىٰ بعض ما قيل فيه بغير حق سواء مِمَّا ثبت عن قائله أو لم يثبت، لتبرئة ساحة هذا الإمام والدفاع عنه، فإنَّ مِمَّا يُتقرَّب به إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ الذب عن أعراض علماء المسلمين، وتبرئتهم مِمَّا يُنسب إليهم زورًا وباطلًا أو علىٰ غير وجهه الصحيح، ونسأل الله أن يبارك في جميع علمائنا المتقدمين منهم والمتأخرين، وأن يجزيهم خير الجزاء وأوفره.

وأهم ما وقفت عليه منسوبًا إلىٰ ابن أبي داود أمران:

* **أولًا**: نسبة الكذب إليه، وهي نسبة لا تصح ولا تثبت.

قال ابن عدي: «حدثنا علي بن عبد الله الداهري: سمعت أحمد بن محمد ابن عمر بن كركرة: سمعت علي بن الحسين بن الجنيد: سمعت أبا داود يقول: ابني عبد الله كذاب. قال ابن صاعد: كفانا ما قال أبوه فيه»[1].

(١) «الكامل في ضعفاء الرجال» (٤/ ٢٦٥-٢٦٦).

وهذا إسناد غير ثابت.

قال المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الداهري وابن كركرة لم أجد لهما ذكرًا في غير هذا الموضع، وقول ابن صاعد: «كفانا ما قال أبوه فيه» إن أراد هذه الكلمة فإن كانت بلغته بهذا السند فلا نعلمه ثابتًا، وإن كان له مستند آخر فما هو، وإن كان أراد كلمة أخرىٰ فما هي»[١].

قال ابن عدي: «ولولا شرطنا لما ذكرته[٢] ... وهو معروف بالطلب، وعامة ما كتبه مع أبيه، وهو مقبول عند أصحاب الحديث، وأمَّا كلام أبيه فما أدري أيش تبين له منه»[٣].

هذا إن ثبت، وثبوته محل نظر كما تقدم، وقد شكك الحافظ الذهبي في ثبوت هذا، وأشار إلىٰ بعض المحامل التي يمكن أن يُحمل عليها إن صحَّ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ **في «تذكرة الحفاظ»**: «أما قول أبيه فيه؛ فالظاهر أنَّه إن صح عنه فقد عنىٰ أنَّه كذَّاب في كلامه لا في الحديث النبوي، وكأنه قال هذا وعبد الله شاب طري ثُمَّ كبر وساد»[٤].

وقال في «سير أعلام النبلاء»: «قلت: لعل قول أبيه فيه -إن صح- أراد الكذب في لهجته لا في الحديث؛ فإنه حجة فيما ينقله، أو كان يكذب ويُوَرِّي في كلامه، ومن زعم أنه لا يكذب أبدًا فهو أرعن، نسأل الله السلامة من عثرة الشباب، ثم إنَّه

---

(١) «التنكيل» للمعلمي (١/ ٢٩٨).

(٢) أي: لولا شرطه في كتابه من أن يذكر كلَّ من تُكُلِّم فيه وإن كان الكلام غير قادح.

(٣) «الكامل في ضعفاء الرجال» (٤/ ٢٦٦).

(٤) «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧٧٢).

شاخ وارعوىٰ ولزم الصدق والتقىٰ»[١].

وذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الميزان» وقال: «إنما ذكرته لأنزهه»[٢].

وخلاصة القول: أن نسبة هذا إليه محل نظر، بل ليس عليه مستند صحيح، وإن ثبت فهو محمول علىٰ أمور لعلها كانت منه في مرحلة الشباب في حديثه وكلامه الخاص، لا فيما يحدِّث به عن رسول الله ﷺ، فإنَّ شأنه أجلُّ، وقدره أنبلُ من ذلك، بل هو معدود عند أهل العلم في كبار الحفاظ، ومن الأئمة العدول الثقات، فمن حاول لمزه بهذا فإنَّما يُزري علىٰ نفسه، لاسيما إن كان مبنيًّا علىٰ الهوىٰ والشنآن والباطل، وقد مرَّ معنا قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته السَّنيَّة:

وَلَا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ ... فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

* ثانيًا: نُسب إليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيءٌ من النصب.

والمراد بالنصب؛ أي: نصب العداء لآل النبي ﷺ، ولم يثبت عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيءٌ من ذلك، بل ثبت عنه ضد ذلك ونقيضه، وهو ولاء آل البيت ومحبتهم والثناء عليهم وذكر فضائلهم ومآثرهم، بل لم يتحقق في ترجمته مَن الذي نسبه إلىٰ النصب وما حجته علىٰ ذلك، إلَّا أنَّ هذه التهمة أُلصِقت به في حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبرَّأ نفسه منها، ولم يجعل من رماه به في حِلٍّ.

قال أحمد بن يوسف بن الأزرق: «سمعت أبا بكر بن أبي داود غير مرَّةٍ يقول: كلُّ من بيني وبينه شيء -أو قال:- كلُّ مَن ذكرني بشيء فهو في حِلٍّ إلَّا من رماني

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٣١).

(٢) «ميزان الاعتدال» (٤/ ١١٦).

ببغض علي بن أبي طالب»[١].

وخير شاهد ودليل علىٰ سلامته من هذه التهمة قصيدته هذه التي بين أيدينا، والتي أبان فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، فقد قال فيها بعد أن ذكر الخلفاء الثلاثة:

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ بِالخَيْرِ مُنْجِحُ

وقد جاء عنه أنَّه قال في تمام هذه القصيدة: «هذا قولي، وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقول من أدركنا من أهل العلم، وقول من لم ندرك من أهل العلم مِمَّن بلغنا قوله، فمن قال عليَّ غير ذلك فقد كذب».

وعلىٰ كلٍّ؛ فقد أطبق أهل العلم علىٰ إمامة ابن أبي داود وفضله وتوثيقه والاحتجاج به، وعدِّه من أئمة السلف الأجلاء، ومن العلماء الثقات النبلاء، فلم يبقَ أيُّ معنىٰ للطعن فيه أو التقليل من شأنه وقدره ونبله.

وللإمام المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام نفيس وتحقيق متين في تبرئة ابن أبي داود مِمَّا نُسب إليه من النصب وغيره، أجاد فيه وأفاد، وأحسن الدفاع عن هذا الإمام الجليل والذب عنه[٢]، فجزاه الله خيرًا علىٰ نصحه ودفاعه عنه وعن غيره من أئمة المسلمين، ورحم الله ابن أبي داود وغفر له ولجميع علماء المسلمين، وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات؛ إنَّه هو الغفور الرحيم.

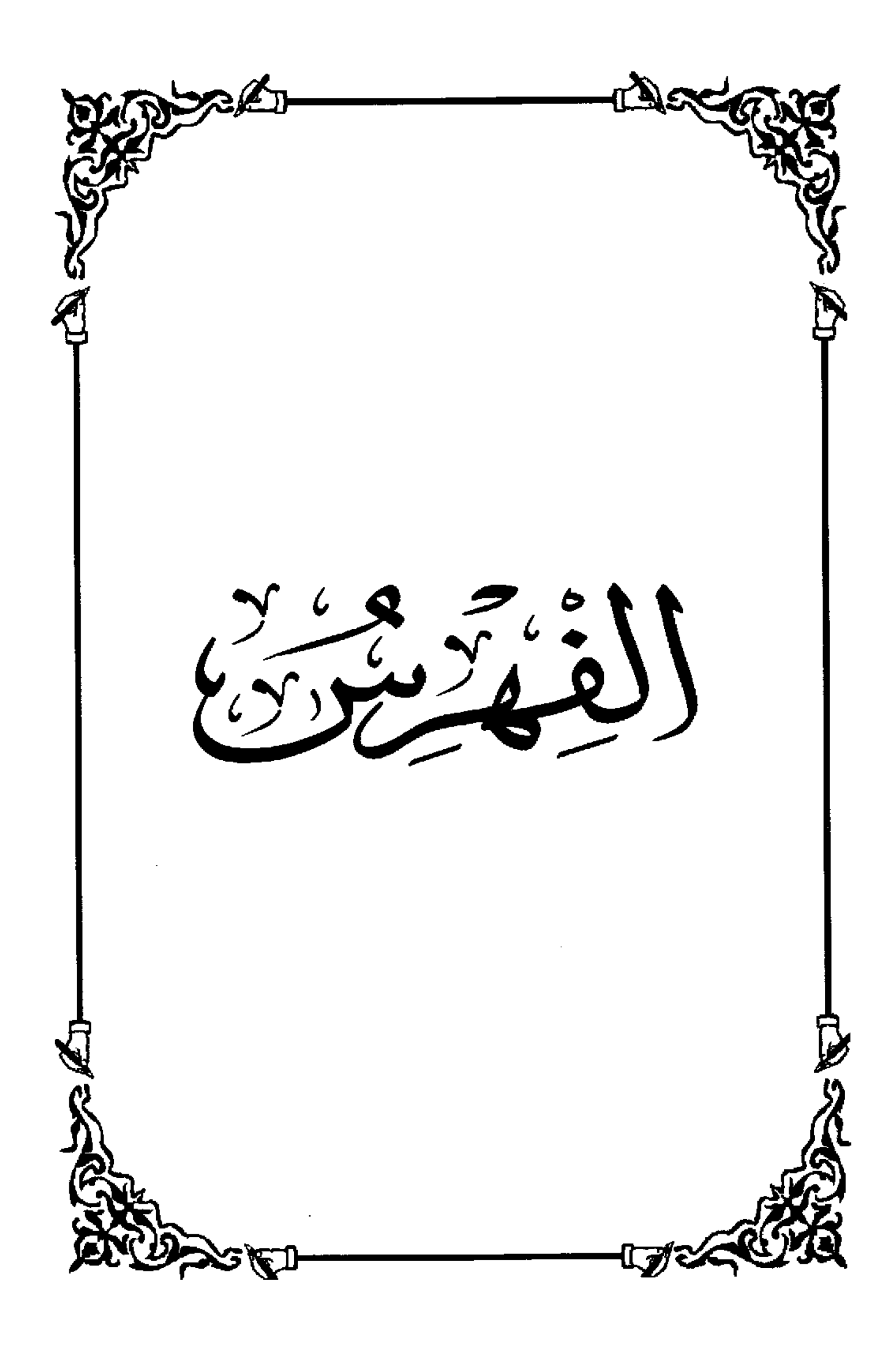
وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

---

(١) «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٦٨).

(٢) انظر: «التنكيل» للمعلمي (١/ ٢٩٧-٣٠٥).


الفهرس

فهرس الموضوعات

